شبكة ومنتديات ليلاس الثقافية

روائع من عبق الرومانسيات

رومانسيات عربية

احتاج للقلب النابض بين أضلعك ..
احتاج للاهتمام الذي لا تظهره إلا لي ..
احتاج لابتسامة هي نبراس سعادتي ..
احتاج لدفء منك في ليالي السوداء الباردة ..
احتاجك يا نبض قلبي ..

www.liilas.com

رومانسيات عربية قصيرة . أحتاجك . بقلم: مها هشام



الملخص الداخلي ...

بقلم :مها هشام
تدقيق :حسن الخلق
تصميم : Omima

نظر للمنزل الكبير الشامخ و الذي أصبح الآن ملكه وحده بعد أن كان ملكا لجده . . تحرك بهدوء و روية يمسك حقيبته الرياضية و التي تحتوي في داخلها ملابسه سيبييت هنا يومين يتجه إلي شركته و مصنع النسيج الخاص به من هنا . .

لقد وفي بوعده و ها هو يأتي لرؤية جده . . فتح باب المنزل الكبير بمفتاحه حيث يملكه هو و سار في أروقة المنزل يتجه لغرفته قبل الذهاب لجده . . لفت انتباهه صوت بكاء طفل صغير يبكي للحظات ثم ينطق بحروف يجعلها كلمة مضحكة . . تعجب سيف من صوت الطفل . . طفل صغير في منزله . . هدا مستغرب جدا . . فكر إنه من الممكن أن يكون حفيد الخادمة الكبيرة . . تجاهل الأمر و هو يكمل طريقه . . لكن صوت الطفل الذي عاد للبكاء بجدة جعله بدون إرادة يتجه حيث الصوت . . ليجده أخيرا

في غرفة قرب غرفته . .
قطب حاجبيه مفكرا باستغراب . . " هذه غرفتها . . الغزال الجبان "كما يطلق عليها . . ابنة عمه الجبانة التي تحاول دائما الاختباء منه عندما تعلم بتواجده في المنزل . . تقضي فترة تواجده مختبئة هنا و هناك كمن يلعب لعبة التخفي . . لم يعلم سبب ذلك . . لكنه لم يهتم . . فكل ما كان يهمه هي زيارته لجده و قضاء الوقت معه . .
وجد الطفل ينام علي السرير و يرفع بقدميه الصغيرتين بالهواء يبكي بصوت مرتفع . . يحاول الوصول إلي الفتاة النائمة بطريقة خاطئة علي السرير . . جسدها ملقي علي الأرض و جزئها العلوي يرتكز علي طرف الفراش الكبير . . ترتح رأسها علي ذراعها المتشبثتين بغطاء السرير . . دموع جافة كانت تجري علي خديها . . خصلات شعرها البنية الشقراء تحيط وجهها بعشوائية

أثارت جنونه . . نحى ذلك جانبا إلي جانب دقات قلبه التي ضربت بقوة لا يعلم سببها . . لكنه يرجعها إلي هجومه الغير مقصود علي محرابها الخاص . . نظر له الطفل بفضول و قد صمت عن البكاء في محاولة لدراسة الغريب المتطفل الذي عبر عالمه . . و بمفاجأة كان يبتسم له الصغير . . ليخفق قلبه برعب . . ابتسامة الصغير أثارت ارتباكه . . رفس بأقدامه يهتف بكلمات بحروف واضحة لكنها غير مفهومة . . يرفع ذراعيه يطالب بحمله . .
بإرادة مسلوبة كان سيف يضع حقيبته علي الأرض و يمد ذراعيه ليحمل الصغير الذي أخذ يخر بضحكاته . . لمس بأنامله الصغيرة وجنتيه و ذقنه المغطاة بشعيرات صغيرة منمقة . . ابتسم سيف للطفل الذي يحاول جاهدا العبث بملامح وجهه . . ليهتف بصوت لطيف ناعم . .

_ماذا تفعل أيها الصغير ؟؟

دار بنظره في الغرفة و الطفل لا يزال متعلقا بين ذراعيه .. يحرك أنامله الصغيرة علي وجه سيف ذو الملامح الحادة ..

تحركت في مكانها بعدم راحة .. و شهقة مكتومة مشبعة بالبكاء تخرج من فمها الصغير .. لفتت أنظاره ليجدها كما كانت نائمة بوضع متعب علي الأرض و دموع تتساقط بغير وعي منها .. تتمتم بكلمات آلمت قلبه بقوة .. و وجع السنين يزداد .. ذنب كبير لا يزال يقض مضجعه و يعكر حياته ..

_أبي ..

بألم وضع الصغير مكانه علي السرير و يتجه إلي حيث تجلس .. يخفض جسده قربها يجلس القرفصاء .. و يهمس بهدوء

_ريداء .. استيقظي ..

اعتلت شهقاتها و ازدادت دموعها انسكابا علي وجنتيها و يصاحبها بكاء الصغير من

جديد ..

مد كفه و هو يضعها علي جسد الصغير بمحاولة لإخباره إنه لا يزال هنا .. و بيده الأخري كان يلمس بتردد كتف ريداء المغطاة بثوبها الذهبي .. يهزها برفق و يهتف مناديا

_ريداء .. ريداء استيقظي ..

اخيرا بصوت فزع كانت تستيقظ و بعيون فزعة محملة بالدموع تنظر له بخوف و عدم استيعاب .. تنظر للدخيل علي غرفتها .. عيونها تتراكض علي ملامحه تحاول معرفة من هو .. ليضربها الإدراك و هي تضع كفها بصدمة

_سيف ..

ابتسم بسخرية لها .. و ارتفع جانب فمه ساخرا يردد علي مسامعها اللقب الكريه..

_مرحبا غزالتي الجبانة ..

لا يزالان بنفس الوضعية يجلس قربها و كفه تلامس الصغير الذي يتمتم بكلماته الخاصة

و التي لم تدرك بوجوده ريداء حتى اللحظة
.. كشرت بوجهها و قد نسيت حزنها و
ألمها و هي تمتاز بالغيظ من كلمته
الساخرة..
_أخبرتك أنني أكره اللقب الغبي هذا ..
هز أكتافه و هو ينهض بعيدا عنها .. لتدرك
أخيرا وجوده و تسمع الآخر يقول بسخرية
_لكنه يعجبني .. "نظر لها من فوق كتفه
يراها ترفع الصغير تحتضنه و تستمد من
جسده الصغير القوة و الشجاعة .. تتمسك
به أمامه .. دوما كانت كذلك و لكنها
جبانة كفأرة صغيرة بل كغزالة ترتعد خوفا
أمام أنياب الأسد " لمن هذا الصغير ؟؟ لا
تخبريني إنكِ تزوجتِ دون دعوتي لزفافكِ؟!
لوت شفتيها باستياء و هي تردد بحنق منه و
من تصرفاته التي تربكها دوما .. دائما ما
كان يشكل عليها خطرا .. فكانت تتواري
دوما بعيدا عن عينيه و عن تواجده ..

_لم أفعل أكيد كنت ستعلم لو فعلت .. و
هذا مؤيد أخي ..
دار بجسده لينظر لها بشمولية و حاجبيه
يرتفعان بصدمة و دهشة سرعان ما اختفت
علي وجهه و بقي الاستنكار علي ملامح
وجهه القاسية ..
_أخاكِ ؟؟
قضمتَ شفتيها و هي تردد بحياء .. و
خجل كأنه يعلم إن هذا الطفل غير
شرعي..
_أجل ..
لم يجبرها علي الحديث أكثر و هو يري
نظراتها تتجه باضطراب في المكان و تشد
بذراعيها علي جسد الصغير الذي تذمر من
ذلك و أخرج اعتراضا صغيرا منزعجا ..
جعلت ذراعيها تتحرك بلين بعيدا عنه ..
_حسنا يا صغيرة أنا سأذهب لجدي
للاطمئنان .. أراكِ لاحقا .. إلي اللقاء أيها

الصغير . .
أشار للطفل و هو يحمل الحقيبة الخاصة به . . فما كان من الصغير إلا أن رفع كفه يلوح له يريده . . لكن سيف ابتسم له قبل أن يذهب . .

_لا يا صغيري . . هذا رجل شرس . . لا تقترب منه . .

قالت ريداء للصغير الذي تغضنت ملامحه بحزن لمغادرة سيف . . نظر لها بانزعاج و شفته السفلي مقلوبة دليل حزنه . . فما كان من ريداء إلا أن تبتسم لمنظر أخاها الحبيب و هو يمثل الحزن . . طبعت قبلات عديدة علي وجهه و هي تقول له ببشاشة و قد تناست مشكلتها

_هيا لنبدل الحفاض و نطعم هذا البطن الجائع يا صغيري . .

لاغاها الصغير و هو يصفق بكفيه الصغيرتين . . و تعلو ضحكاته . . لتصل إلي قلب أخته التي تداعب بطنه بمحبة لتعلي الابتسامة و تتسع علي شفتيها . . تاركة الهم و الحزن لوقت آخر . .

خرج من سيارته بعد أن ركنها بقرب المنزل الموجود بمزرعته .. انتظر حتى أتي الحارس ليدخل السيارة في الكراج الخاص به .. سمع صوت الطفل الصغير يخرج بكلمات غير مفهومة .. قطب حاجبيه مستغربا و هو يسير باتجاه الصوت ليجد مؤيد يجلس في مقعده المحكم الإغلاق يقيد حركته .. إنها فعلا تقيد حركته حتى لا يصاب بالتلوث مرة أخري ..

هي حريصة جدا عليه .. خاصة بعد تلك الأزمة التي لازمت الصغير قبل عشرة أيام .. أيام قضاها بقربها و قرب الصغير .. يهتم بهم و يراعيهم .. فقط هي الأيام الثلاثة الماضية فكر إنه بحاجة للاختلاء بنفسه بعيدا عن تأثيرها علي عقله و قلبه و مشاعره .. بحاجة للتفكير بها و بهذا المرض الذي ينهش بعظامه و جسده .. و قد اتخذ القرار أخيرا ..

تقدم من الصغير الذي كان يناغي فراشة تحوم حوله و تغيظه ليمسكها فيما هو عاجز عن الحركة .. ابتسم للطفل الصغير الذي تهللت أساريره بقوة و هو يري منقذه أمامه .. رفع ذراعيه في محاولة متحدثة غير مفهومة يطالبه بحمله و فك أسره من المقعد الخانق ..

تقدم من الطفل و انخفض لمستواه متسائلا عن مكان أخته و عن وجود الصغير وحيدا في الحديقة .. لم يطل تساءله كثيرا و هو يتقبل ذراعي الصغير الذي التفت حول عنقه بل و شبك أنامله الصغيرة في خصلات شعر سيف القصيرة الكثيفة ..

_اهدأ .. سأفك قيدك ..

قال سيف بحنان و ابتسامة تزين وجهه .. و كأن الصغير قد فهم كلامه فقد كف عن الحديث بكلماته التائهة و حروفه المتلاعبة..

يحب الصغير جدا .. يحبه لأنه مثله تماما

عاش في وضع كوضعه .. في يوم ما كان يطلق عليه الطفل اللقيط .. لكن كل هذا مضي بفضل جده .. لكن في ذلك الوقت لم يكن هناك من يدافع عنه و يحمي قلبه و نفسه من كلام الناس التي كانت تنزل علي جلده كضربات السوط .. الصغير محظوظ بوجود أخته التي تحبه و ستحميه من كل شيء قد يمسه و يصيبه بضرر ..

سيف سعيد جداً إن مؤيد لن يواجه في حياته ما واجهه سيف .. سيلاحقه بعض الكلام أكيد لكنه سيكون أقوي .. سيكون أقوي بوجود من حوله يساندونه ..

رفع الصغير بين ذراعيه .. ليطلق الأخير ضحكاته الجميلة و الشقية ..

_إنه سعيد برؤيتك ..

نظر لمصدر الصوت ليجدها تقف كالشمس المشرقة و قد ساعدها جو المزرعة علي النضارة و الحيوية .. اكتسبت بعض السمرة و شعرها ازداد لمعانا فبدت شمس حياته التي يتمناها و هي بعيدة المنال .. كما عينيها الرائعتين الزرقاء كبحيرة ماء عذبة .. ابتسم لها مبعدا تأثيرها الكبير عليه .. قائلا و هو ينظر لمؤيد بين ذراعيه ..

_و أنا أيضاً سعيد به .. له تأثير كبير علي .. "كما أخته .. أكمل في عقله صامتا .. ليردف مستغربا "كان وحده ..

رفعت حذاء صغير في كفها .. تقول بابتسامة ..

_ذهبت لأجلب حذاءه .. أريده أن يسير قليلا ..

_هل بدأ المشي ؟

تساءل باستغراب و هو ينظر للصغير الذي يلعب بجيب قميص سيف الأبيض ..

لتبتسم ريداء و هي تسير لحيث يقف حاملا أخاها .. لتقول و كفها تحاول إدخال قدم الصغير في حذائه ..

_إنه يحاول .. يسير قليلا مرتكزا علي الأثاث لكنه يسقط من جديد .. يحتاج للتمرين الدائم .. ها قد ارتدي حذائه .. ستراه يسير الآن ..

رفعت رأسها لتنظر له بعد أن كانت منكبة علي قد الصغير الذي يقبع في أحضانه تلبسه حذائه .. و قد كانت قريبة جدا منه .. فوجئت بنظراته الموجهة لها .. نظرات أثارت الكهرباء في جسدها .. و مشاعر جمة تلاعبت في قلبه .. تلك اللمعة في عيونه الرصاصية كانت توترها و ترتجف لها أوصالها ..

لم تدرك مدي تأثيرها عليه كما لا يعلم مدي تأثيره عليها .. ابتلعت ريقها و هي تبحث عن ابتسامة بلهاء تزيح عنها التوتر .. مدت كفها للصغير الذي قفز لأحضانها سريعا .. لتتراجع قليلا للخلف ثم تضع الصغير علي الأرض .. و تقول محدثة سيف ..

_افتح ذراعيك و قل له تعال ..

نظر لها سيف للحظات ظنت إنه لم يسمعها .. لكنه كان ينخفض بجسده و يجلس القرفصاء مادا ذراعيه للصغير الذي كان يتراقص بوقفته قبل أن يقول

_تعال مؤيد ..

تركت ذراعي الصغير الذي سرعان ما كان يسير بخطواته الصغيرة و السريعة المتهورة متهاديا إلي ذراعي سيف و تتبع ريداء بحذر حتى تتلقفه بسرعة في حال اختل توازنه و يقط .. أخيرا تلقفه سيف بسرعة مبهوتا لسير الصغير ..

_لقد غبت طويلا إذا ..

قال بدهشة و هو يمسك الصغير بين ذراعيه .. لتبتسم ريداء و هي تقف قربه تنظر لهما .. لا تستطيع معرفة ماهية المشاعر التي تضرب حواجز روحها و حصون قلبها ..

_أجل .. لقد غبت طويلا .. لكن الأطفال صغار السن ينمون بسرعة كبيرة ..
نظر لها و هي تقف قربه و عقله يردد بعذاب "و أنت تزدادين حلاوة بسرعة كبيرة"
_مؤيد يريد اللعب .. فقد استيقظ منذ لحظات و هو في قمة نشاط ..
قالت تبعد أي تفكير أحمق بعد تلك الكلمات التي نطقت بها .. كيف يمكنها أن تقول إنه غاب طويلا .. ألم تتمكن سابقا لو لم تراه .. لكنها اشتاقت له .. شعور بأن الحياة عادت لها منذ رأته قبل لحظات يلاعب أخاها جعلها تدرك أنها كانت تفتقده بشدة ..
_إذا لنلعب سويا ..
قال بمرح و هو يدغدغ الصغير بأنامله .. لتقول معترضة باهتمام و قلق ..
_لكنك جئت من سفر .. لابد تحتاج للراحة ..

_انا في قمة نشاطي ..
قال و قد تجددت الطاقة في جسده .. لا يعلم السبب .. رغم إن المرض يجعله منهك القوي .. لكن يبدو إن مرآها سعيدة جعلت التعب و الإرهاق يهرب من جسده..
هزت كتفيها باستسلام و اتجهت لجلب الكرة الصغيرة و الذي يحبها أخاها .. بدأوا بلعب الكرة تحت صوت ضحكاتهم الثلاثية .. فقد بدوا سعيدا جدا بضحكات الصغير المرح و الذي لا يعلم بعد ما يدور في العالم من حوله .. كل همه إمساك الكرة التي تدحرج بين قدميه الصغيرتين و قدمي أخته..
حمله سيف و بدأ بالركض بعيدا عن ريداء التي تحاول إمساكهم .. و تحت أصوات الضحكات العالية و المليئة بالمرح .. كانت ريداء مستمتعة بلمس كف سيف أو لمس

أحتاجك

ذراعه .. تعجبها الكهرباء الناتجة عن ذلك التلامس .. كأنها كانت بحاجة لفرصة لتلمسه و تشعر بوجوده .. أما هو فقد كان يستغل الفرص أيضا ليشعر بملمس كفها الذي تبعث في جسده شعلات نارية و تزيد من عذابه و عذاب قلبه .. قلبه الذي كان يرفرف حوله بسعادة .. سعادة حقيقية شعر بها لأول مرة في حياتها .. سعادة بسببها و أخيها ..

البداية ...
الفصـ الأولـ ـل ...

الهاتف علي المكتب الخشبي الأسود اللون يجبره علي الاستجابة .. لم يكن في مزاج يسمح له بالحديث .. لديه الكثير .. الكثير من العمل .. يجب أن ينهيه .. كما هناك أيضا الصداع الذي يلازمه منذ فترة .. تنهد بضيق و هو يفكر "متى ستصل السكرتيرة الكسولة ؟؟" رنين الهاتف المزعج و إصرار المتصل جعله يرفع رأسه المنكب علي الأوراق ليمسك السماعة بنزق و يرد بغيظ ..

_سيف يتحدث !.

_أوه بني .. كنت أظنك لن تستجيب .. قال الصوت الضعيف عبر الأثير .. ليغمض سيف عينيه للحظة قبل أن يطلق تنهيدة بطيئة و هو يجيب بهدوء احتل جسده بعد أن علم هوية المتصل ..

_آسف جدي .. لكن لدي الكثير من العمل .. كيف حالك ؟؟

جاءه الصوت برجفة تدل علي كبر السن .. و هو يقول بشوق ..

_أنا بخير و أشتاق لك .. لم أراك منذ مدة .. الجميع هنا .. لكنني أريد أن أراك أنت..

ابتسامة حلوة اعتلت وجهه .. ابتسامة لا يختص بها إلا ذلك الرجل الوحيد الذي يقدره علي وجه الأرض كلها بعد أن كانا اثنين .. و لن يكذب إن قال إنه يحبه .. لكنه لم يعترف بذلك بعد .. ابتسم كأنه يرى جده .. ليردد بصبر كبير و وعد تخلل كلماته ..

_أمهلني فقط يومين و سأنهي الأعمال العالقة بالصفقة الأخيرة ثم سأكون أمامك .. لن أتأخر .. فقط يومين ..

سمع تنهيدة الرجل العجوز من خلال الهاتف قبل أن يقول بحبور ..

_هذا خبر جيد .. كنت أظنني سأنتظر وقت أطول ..

_لم أتأخر يوما عند طلبك لرؤيتي جدي ..

قال بلوم محبب لنفس جده .. قبل أن يقول الأخير

_أعلم بني .. سأنتظرك بعد يومين .. اهتم بنفسك جيدا ..

قال جملته الأخيرة قبل أن يغلق السماعة مودعا حفيده .. نظر سيف للهاتف للحظات قبل أن يعود مرة أخرى للأوراق .. محاولا عدم التفكير كثيرا .. لكي ينهي الأعمال سريعا و يفي بوعده لجده ..

&&&&&&&

اتسعت عينيها في وجهها كأنهن ثقبين كبيرين بل بحيرتين كبيرتين أغرقتهما المياه حتى انتهت حدودهن .. و فمها يغلق و يفتح كالسمكة دون قدرة على النطق بكلمة .. صدمة كبيرة ألجمتها الصمت و حتى التنفس .. جاهدت لتتنفس ببطء .. و أخيرا كانت

الأنفاس تتراكض للدخول إلى رئتيها ..
بدخول الهواء إلى جسدها كانت الدموع
تجري بسرعة على وجنتيها .. و سرعان
ما ارتفع صوت نحيب مزق الأجواء لقسوته و
حدته ..

_اهدئي ريداء ..

قالت صديقتها بحزن و هي تنظر لها عاجزة
عن مواساة صديقتها المنكوبة

اخرجت أنفاس حارة غارقة بالشفقة .. و
قبل أن تنطق بكلمة كانت تسمع ريداء تقول
بهمس مختنق من البكاء .. و من بين
شهقاتها ..

_من فضلك بشرى أريد البقاء وحدي ..

_هذا لا يجوز ريداء ..

قالت بشري باعتراض سريع .. لكن ريداء
كانت تسير بضعف لتجلس على السرير
الذي يرقد عليه أخاها الصغير .. و تعطيها
ظهرها تخفي عنها ملامحها التي تبدلت لتردد
بهمس

_أنا بخير .. من فضلكِ اتركيني ..

نظرت لها بشرى مطولة قبل ان ترفع كتفيها
بقلة حيلة و هي تتقدم بسرعة تقبل صديقتها
على وجنتيها الرطبتين .. و تردد هاتفة
باهتمام

_حسنا عزيزتي .. اهتمي بنفسك و
تذكري إن الصغير بحاجتك الآن ..

هزت رأسها ريداء بصمت دون أن ترد
عليها .. و كل ما تحتاجه هو خروج
صديقتها لتعود للبكاء من جديد .. لا تزال
الحاجة للبكاء ملحة جدا في نفسها .. فقط
قطعت بكاءها حتى لا تكون مصدر شفقة
لصديقتها ..

نظرت لأخيها النائم بسلام لا يدري عما
يدور حوله بعد أن سمعت صوت الباب يغلق
من جديد .. و دموع الألم عادت تتدافع من
جديد في عينيها .. بعجز وضعت كفها

على فمها لتخنق شهقاتها كي لا تزعج الصغير . .
لا تصدق إنه كان سيكون في عداد الموتى قبل يومين . . كانت ستكون نهايته لو إنها تأخرت قليلا في مغادرة المنزل . . لو إنها لم تقرر في تلك الساعة بأخذه لقضاء نهارها معه . . كان سيكون في الماضي . . بسبب من ! . . والدتها ؟ والدتها كانت السبب في كل ذلك . . كيف ؟؟ و لماذا ؟؟ و أخاها الصغير ؟؟ إنه ابن . . . . .
وضعت كفا على فمها تمنع عقلها من نطق الكلمة . . فلا قدرة لديها على نطقها . . لكن فكرها كان يصر ليقول بكل ألم و جرح والدتها . . إنها زانية . . كيف ذلك ؟؟ كيف لوالدتها أن تكون كذلك . . كانت تظنها فقط تشعر بالقهر . .
لكن زنا . . و قتل . . و مخدرات . . كم من شاب قتل بتلك الأشياء الحقيرة العفنة و والدتها كانت لها اليد في ذلك . . عقلها أصبح مشلولا من الحقائق القاتلة . . الحقائق التي تقتل روحها و تنزف قلبها . .
ثم تذكرت خالد . . كيف ستواجهه ؟؟ كيف ستريه وجهها ؟؟ كيف ردت له الجميل بالقتل و تفجير منزله . . كل ذلك بسبب ميراث . . بضعة حفنات من النقود أمي . .
_أمي !! ماذا فعلتِ يا أمي ؟؟
ناحت بصوت خرج عن سيطرتها . . لقد كادت تقتل ابن زوجها . . كيف فعلت ذلك ؟؟ و أنا كيف هنت عليها ؟؟ ابنها كان سيموت أيضا و لم تهتم . . لم تكن تعلم إنه ليس بالمنزل و هذا يعني إنها ضحت بابنها لمصلحتها و مصلحة عملها السيئ . . و لم تكن تعلم إن تدمير والدتها وصلت لنفس خالد التي حقنتها بالمخدرات . .
وضعت رأسها على السرير تنوح بصوت

مرتفع اختنق بفراشها .. و كفيها تحيط
راسها بجروح لا تزال تنبثق في قلبها ..
&&&&&&&&&
نظر للمنزل الكبير الشامخ و الذي أصبح
الآن ملكه وحده بعد ان كان ملكا لجده ..
تحرك بهدوء و روية يمسك حقيبته الرياضية
و التي تحتوي في داخلها ملابسه سيبيت هنا
يومين يتجه إلى شركته و مصنع النسيج
الخاص به من هنا ..
لقد وفي بوعده و ها هو يأتي لرؤية جده ..
فتح باب المنزل الكبير بمفتاحه حيث يملكه
هو و سار في أروقة المنزل يتجه لغرفته و
يضع أشياءه قبل الذهاب لجده ..
لفت انتباهه صوت طفل صغير يبكي
للحظات ثم ينطق بحروف يجعلها كلمة
مضحكة لكونها تخرج غير مفهومة ..
تعجب سيف من صوت الطفل .. "طفل
صغير في منزله ؟؟" هتف في فكره

وحاجبه مرتفع بدهشة
هذا مستغرب جدا .. فكر إنه من الممكن
أن يكون حفيد الخادمة الكبيرة .. تجاهل
الأمر و هو يكمل طريقه .. لكن صوت
الطفل الذي عاد للبكاء بجدة جعله بدون
إرادة يتجه حيث الصوت .. ليجده أخيرا
في غرفة قرب غرفته ..
قطب حاجبيه مفكرا باستغراب .. " هذه
غرفتها .. الغزال الجبان "كما يطلق عليها
.. ابنة عمه الجبانة التي تحاول دائما
الاختباء منه عندما تعلم بتواجده في المنزل
.. تقضي فترة تواجده مختبئة هنا و هناك
كمن يلعب لعبة التخفي .. لم يعلم سبب
ذلك .. لكنه لم يهتم .. فكل ما كان يهمه
هي زيارته لجده و قضاء الوقت معه ..
وجد الطفل ينام علي السرير و يركل بقدميه
الصغيرتين بالهواء يبكي بصوت مرتفع ..
يحاول الوصول إلى الفتاة النائمة بطريقة

خاطئة على السرير .. جسدها ملقى على الأرض و جزئها العلوي يرتكز على طرف الفراش الكبير .. تريح رأسها على ذراعيها المتشبثتين بغطاء السرير .. دموع جافة كانت تجري على خديها .. خصلات شعرها البنية الشقراء تحيط وجهها بعشوائية أثارت جنونه ..

نحى ذلك جانبا إلى جانب دقات قلبه التي ضربت بقوة لا يعلم سببها .. لكنه يرجعها إلى هجومه الغير مقصود على محرابها الخاص .. نظر له الطفل بفضول و قد صمت عن البكاء في محاولة لدراسة الغريب المتطفل الذي عبر عالمه .. و بمفاجأة لسيف كان الصغير يبتسم له .. ليخفق قلب سيف برعب .. ابتسامة الصغير أثارت ارتباكه .. بل و أثارت حفيظته .. رفس بأقدامه يهتف بكلمات بحروف واضحة لكنها غير مفهومة .. يرفع ذراعيه يطالب بحمله ..

بإرادة مسلوبة كان سيف يضع حقيبته على الأرض و يمد ذراعيه ليحمل الصغير الذي أخذ يخر بضحكاته .. بدأ مؤيد يلمس بأنامله الصغيرة وجنتي سيف و ذقنه المغطاة بشعيرات صغيرة منمقة .. ابتسم سيف للطفل الذي يحاول جاهدا العبث بملامح وجهه و وضع إبهامه الصغير في حدقتي عينيه الرصاصيتين .. ليهتف بصوت لطيف ناعم ..

_ماذا تفعل أيها الصغير ؟؟

دار بنظره في الغرفة و الطفل لا يزال متعلقا بين ذراعيه .. يحرك أنامله الصغيرة علي وجه سيف ذو الملامح الحادة ..

تحركت في مكانها بعدم راحة .. و شهقة مكتومة مشبعة بالبكاء تخرج من فمها الصغير .. لفتت أنظاره ليجدها كما كانت نائمة بوضع متعب على الأرض و دموع تتساقط بغير وعي منها .. تتمتم بكلمات آلمت قلبه

بقوة . . و وجع السنين يزداد . . ذنب كبير
لا يزال يقض مضجعه و يعكر حياته . .
_أبي . .
بألم وضع الصغير مكانه علي السرير و يتجه
إلى حيث تجلس . . يخفض جسده قربها
ليجلس القرفصاء . . و يهمس بهدوء
_ريداء . . استيقظي . .
اعتلت شهقاتها و ازدادت دموعها انسكابا
على وجنتيها و يصاحبها بكاء الصغير من
جديد . .
مد كفه و هو يضعها علي جسد الصغير
بمحاولة لإخباره إنه لا يزال هنا . . و بيده
الأخرى كان يلمس بتردد كف ريداء المغطاة
بثوبها الذهبي . . يهزها برفق و يهتف مناديا
_ريداء . . ريداء استيقظي . .
أخيرا بصوت فزع كانت تستيقظ و بعيون
فزعة محملة بالدموع تنظر له بخوف و عدم
استيعاب . . تنظر للدخيل علي غرفتها . .

عيونها تتراكض علي ملامحه تحاول معرفة من
هو . . ليضربها الإدراك و هي تضع كفها
بصدمة
_سيف . . ! !
ابتسم بسخرية لها . . و ارتفع جانب فمه
ساخرا يردد على مسامعها اللقب الكريه . .
_مرحبا غزالتي الجبانة . .
لا يزالان بنفس الوضعية يجلس قربها و كفه
تلامس الصغير الذي يتمتم بكلماته الخاصة
و التي لم تدرك بوجوده ريداء حتى اللحظة
. . كشرت بوجهها و قد نسيت حزنها و
ألمها و هي تتميز غيظا من كلمته
الساخرة . .
_أخبرتك أنني أكره اللقب الغبي هذا . .
هز أكتافه و هو ينهض بعيدا عنها . . لتدرك
أخيرا وجوده و تسمع الآخر يقول بسخرية
_لكنه يعجبني . . "نظر لها من فوق كتفه
يراها ترفع الصغير تحتضنه و تستمد

من جسده الصغير القوة و الشجاعة . .
تمسك به أمامه . . دوما كانت كذلك و
لكنها جبانة كفأرة صغيرة بل كغزالة ترتعد
خوفا أمام أنياب الأسد " لمن هذا الصغير
؟؟ لا تخبريني إنكِ تزوجتِ دون دعوتي
لزفافك؟!
لوت شَفتيها باستياء و هي تردد بحنق منه و
من تصرفاته التي تربكها دوما . . دائما ما
كان يشكل عليها خطرا . . فكانت تتوارى
دوما بعيدا عن عينيه و عن تواجده . .
_لم أفعل أكيد كنت ستعلم لو فعلت . .
وهذا مؤيد أخي . .
دار بجسده لينظر لها بشمولية و حاجبيه
يرتفعان بصدمة و دهشة سرعان ما اختفت
علي وجهه و بقي الاستنكار علي ملامح
وجهه القاسية . .
_أخاكِ ؟؟
قضمتَ شفتيها و هي تردد بحياء . .

و خجل كأنه يعلم إن هذا الطفل غير
شرعي . .
_أجل . .
لم يجبرها علي الحديث أكثر و هو يرى
نظراتها تتجه باضطراب في المكان و تشد
بذراعيها على جسد الصغير الذي تذمر من
ذلك و أخرج اعتراضا صغيرا منزعجا . .
جعلت ذراعيها تتحرك بلين بعيدا عنه . .
_حسنا يا صغيرة أنا سأذهب لجدي
للاطمئنان . . أراكِ لاحقا . . إلى اللقاء أيها
الصغير . .
أشار للطفل و هو يحمل الحقيبة الخاصة به
. . فما كان من الصغير إلا أن رفع كفه يلوح
له بيده . . لكن سيف ابتسم له قبل أن
يذهب . .
_لا يا صغيري . . هذا رجل شرس . . لا
تقترب منه . .
قالت ريداء للصغير الذي تغضنت ملامحه

بحزن لمغادرة سيف .. نظر لها بانزعاج و
شفته السفلي مقلوبة دليل حزنه .. فما كان
من ريداء إلا أن تبتسم لمنظر أخاها الحبيب
و هو يمثل الحزن .. طبعت قبلات عديدة
على وجهه و هي تقول له ببشاشة و قد
تناست مشكلتها
_هيا لنبدل الحفاض و نطعم هذا البطن
الجائع يا صغيري ..
لاغاها الصغير و هو يصفق بكفيه الصغيرتين
.. و تعلو ضحكاته .. لتصل إلى قلب
أخته التي تداعب بطنه بمحبة لتعتلي
الابتسامة و تتسع علي شفتيها .. تاركة
الهم و الحزن لوقت آخر ..

&&&&&&&&

_جدي ..
قال و هو يفتح باب غرفة جده الذي يرقد
علي السرير بسبب مرضه و الذي يجبره
على النوم أغلب الأوقات في سريره طلبا
للراحة ..
ابتسم العجوز بمحبة و سعادة و هو يرى
حفيده يدخل من باب الغرفة أراد الاعتدال
لكن سيف سارع لجده .. و ابتسامة
وسيمة تزين وجهه .. ابتسامة محبة و
احترام .. قبل جبينه بمحبة ..
_كيف حالك جدي ؟؟ ها قد أتيت كما
وعدتك ..
ربت الجد بكفه المجعدة على كف حفيده
الحبيب و يطالعه بعيون مشتاقة ..
_دائما ما تفي بوعدك بني .. دائما ..
ابتسم له سيف بغموض و هو يدرك المغزى
من ذلك الكلام المبهم .. ليقول مغيرا
الموضوع ..
_أخبرني كيف هي صحتك الآن ؟؟
_أنا بخير .. الطبيب يزورني كل فترة قصيرة
.. و ريداء لا تتركني أبدا .. تذكرني
بمواعيد الدواء تهتم بطعامي جيدا .. الفتاة

الصغيرة مسكينة . .
قطب جبينه مستغربا . . و هو يقول بتساؤل و اهتمام حقيقي . .

_لقد مررت بها قبل قليل و رأيتها تبكي و معها طفل تقول إنه أخاها . .

_مسكينة . . والدتها الشمطاء سجنت قبل يومين بعدة تهم . . تهمة القتل العمد فقد قامت بتفجير منزل زوجها المتوفى أبا خالد و تهمة ترويج المخدرات و تهمة خلط الأنساب . . فكنا نعتقد إن مؤيد طفل أبا خالد . . لكن الصغير مجهول النسب . .

"طفل غير شرعي " شرد بعقله بعيدا غير مصدق ما أخبره به جده . . مرددا الكلمات بذهول "تجارة مخدرات . . تهمة قتل . . و قضية نسب . . فتاة وحيدة بلا سند و كاهلها محملا بالأعباء . . أم مجرمة . . و طفل بلا نسب و غير شرعي . . تماما مثله أو ما كان مثله إن صح القول في إحدى الأيام " ابتلع تلك الغصة التي لا تزال تستحكمه كلما نطق الكلمة . . لم يُشفى من تلك الآثار . . رغم إدعاءه اللامبالاة و البرود طوال حياته بعد تلك الفترة الصعبة التي مر بها من تمرد و ثورة و عصيان علي كل من حوله . .

نظر لجده الذي يربت علي كفه كأنه علم بما يفكر و ها هو يخبره بأبسط الطرق إنه موجود بجانبه . . رسم ابتسامة باهتة علي فمه يطمأن العجوز القلق . .

_ريداء لم تهدأ منذ علمت بالأمر . .

قال الجد بألم علي حفيدته التي ترعاه . .
ليقول سيف باستياء من تلك المرأة الحقيرة و التي كرهها طوال حياته لسوء أخلاقها و هو يتذكر حالة ابن عمه . .

_ليس سهلا أن تكون الأم بهذا الشر و هذا الانحطاط . . تماما كوالدته . . ربت على كفه التي تجلس بقربه . . ليقول مبتسما

للعجوز ..
_عليك أن ترتاح الآن .. أنا سأذهب لطلب الراحة ايضا .. و عند العشاء سنتحدث و نلعب الشطرنج فأنا مشتاق للخسارة أمامك ..
ضحك جده ملئ فمه ضحكة أسعدت سيف و جلبت الابتسامة على فمه ..
فكلاهما يعلم إن الفائز دائما هو سيف لكنه يتراجع في اللحظة الأخيرة ليجعل الفوز لصالح جده .. تنازل لا يقدمه إلا له .. فهو أبدا لا يتنازل لأحد .. لكن جده يمثل له "كل شيء" .. بخلاف ابنه الذي يمثل له "لا شيء" و لم يصل حتى اللحظة لمسامحته فلا تزال آلام الماضي تتحرك في قلبه .. قبل جبين العجوز قبل أن يغادر ..

&&&&&&&

بعد مدة من خروج سيف كانت قد اهتمت بأخيها الصغير و قد قررت بعد صراع طويل مع نفسها أن تهاتفه .. فهي تحتاج للاعتذار له .. امسكت الهاتف بكف مرتعش تنظر له بألم .. و قبل أن تخونها شجاعتها .. مسحت دموعها بجدة بظاهر كفها ثم ضربت الأرقام سريعا .. وضعته علي أذنها تسمع صوت الرنين الذي يعادل طرقات قلبها بالعنف .. ثم قالت بمجرد أن سمعت الرد ..
_خالد ؟!
قالت بارتعاش قبل أن تسمع صوته الهادئ يقول بمحبة ..
_نعم أختي ..
أغمضت عينيها بألم و هي تتمسك بالهاتف بعنف .. تهتف بنفسها " أرجوك لا تقلها .. لا تفعل ذلك بي .. "
_ريداء .. هل لازلت هنا ؟؟
تنفست بعمق قبل أن تقول بهمس مرتعش ..
_أنا .. أريد مقابلتك للتحدث معك ..

_حسنا أختي تعالي غدا و معك مؤيد لتناولي معنا طعام الغذاء ..
_لا .. لا أستطيع .. سآتي في وقت آخر ..
_حسنا أختي ..
قال برقة و قبل أن تنهي الحديث قال بسرعة
_ريداء ..
_أجل خالد ؟!
ردت بنعومة .. لتسمعه يقول بإصرار ..
_أنت لا ذنب لك ريداء .. أنا لا أتهمك صدقيني ..
أغلقت الهاتف لتعود و تنتحب من جديد .. صوته يعلو بالبكاء .. طرقات علي باب غرفتها ثم فتحه دون أن يسمع الإذن ..
_هل لازلتِ تبكين ؟؟
سمعت صوته يقول بغيظ .. لترفع وجهها المحمر من كثرة البكاء .. دون أن تتفوه بكلمة سار حيث تجلس علي السرير منهارة ليقول و هو يقف مراقبا لها ..
_مع من كنتِ تتحدثين ؟؟
_خالد أخ مؤيد .. أقصد هو ..
و قبل أن تكمل بصوت مرتعش .. قال بتفهم
_فهمت ..
_من أخبرك ؟؟
سألت بحزن .. ليقول بهدوء ..
_جدي .. و هو قلق عليك ..
_الأمر كبير على نفسي ..
قالت بألم و نشيج يعتلي قلبها .. رغم ضيقها من إخباره بالأمر ..
_لا أحد يختار والدته ريداء !!
قال باستياء و بعض الألم في صوته .. لترفع رأسها تنظر له مليا .. هل تشفق عليه ؟؟
تعلم إنه يقصد نفسه أيضا فوالدتها لم تكف عن ذكر والدته في كل الفرص .. و نعته مرارا و تكرارا باللقيط رغم عدم صحة

الأمر .. فسيف كان طفل شرعي .. و ها هي تمنح اللقب نفسه لابنها مؤيد .. و تصف باسوأ الصفات .. عادت للبكاء من جديد و كأنها تذكرت الفاجعة .. تنهد بقهر قبل أن يجلس القرفصاء مقابلا لها ..

_يكفي بكاءً ريداء .. البكاء لن يحل الأمر ..

هزت رأسها بالنفي و هي تردد بين شهقاتها

_كلما تذكرت الأمر أشعر بالاختناق .. هل تعلم إن مؤيد كان سيموت في الانفجار ؟؟ صغيري المسكين هناك الكثير ليواجهه مستقبلا ..

_أنت لن تتركيه وحيدا .. أنت قوية لتحملي كل هذا .. تذكري إن مؤيد في حاجتك لتقاتلي من أجله ..

سكتت عن البكاء ثم نظرت له مطولا بعيون منتفخة محمرة و قد فقدت رونقها لشدة بكاءها ..

_حقا ؟؟

قالت بعدم تصديق و ثقة بقدراتها قبل أن يمنحها ابتسامة نادرة جدا لها .. ابتسامة من أعماقه وصلت لأعماقها .. لترتعش ابتسامة باهتة علي شفتيها .. نهض من جلوسه و هو يردد بحزم

_ننتظر قدومك على العشاء .. إياك و التأخير ..

هزت رأسها بالموافقة و هي تبتسم قبل أن يغادر تاركا إياها تلملم شمل نفسها ..

&&&&&&&

أصوات ملاعق تطرقع على الأطباق أمامهم .. يصاحبها صوت الجد السعيد بعودة حفيده الغائب كثيرا .. يحادثه سيف الذي يحاول قدر جهده السيطرة على قلبه و عقله عدم التوجه إلى تلك المخفضة رأسها بإصرار تتلاعب بالطعام في طبقها .. و هو يحاول التركيز في الحديث مع جده .. يؤلمه ما تمر به

هذه الطفلة المسكينة .. غزالته الحلوة ..
لاقت الكثير في حياتها .. موت والدها
الذي يكبله و يمنعه من التقدم خطوة و يعذب
ضميره كل ليلة .. و ها هي ترى الأصعب
بمواجهة القوم الذي لا يرحم الضحية أبدا ..
بسبب والدة غير مسئولة و مجرمة بحق ..
حاول جهده من جديد في التركيز مع جده
الذي يسأله بلطف

_كم من الوقت ستبقى هنا بني ؟؟

ابتسم له سيف مطمئنا .. و هو يرد
بسرعة ..

_لا تقلق سأبقى هنا حتى تمل مني جدي
.. فسأذهب لعملي من هنا كل صباح ..

ضحك الجد بخفوت و هو يرد بمحبة ..

_أنت تعلم إنني لن أفعل .. لكن أليس صعبا
الذهاب من هنا للعمل ؟

سأل بقلق .. ليقول سيف بالنفي ..

_لا جدي .. لا تقلق بشأن ذلك ..

و قبل أن ينهي الحديث .. كان جرس الباب
يطرق بإزعاج .. ضارب بالهدوء في عرض
الحائط .. قطب سيف حاجبيه منزعجا
من الدخيل دون ان يعرف من هو .. لكن
يكفي أن يعكر صفو الجلسة الهادئة .. و
عندما اتجهت الخادمة لفتح الباب و ظهر
الضيف الثقيل تعكرت ملامح وجهه بانزعاج
حقيقي .. و بسرعة كانت عيناه تتجه إلي
ريداء لتجدها قد انتعشت كزهرة برية أمام
قطرات الماء .. اعتصر قلبه بقهر و غضب
و بعيدا عن ذلك كان الألم ينضب في عروقه
و جنبات قلبه ..

_حماتك تحبك حداد ..

سمع جده يقول بترحيب لابن ابنته .. سمع
صوته المزعج يقول بتعنت و غرور ..

_أعلم ذلك جدي .. فهي و ابنتها
محظوظات بي .. كيف حالك سيف ؟؟
أراك هنا ..

_بخير . .

قال سيف باقتضاب و هو يشعر بجدران الغرفة تطبق على صدره و شرارات الغضب الخفية تكاد تحرقان كليهما عندما وجده يجلس بقرب ريداء و يقول بحلاوة ناعمة منزلقة من فمه . .

_كيف حالك يا حلوة ؟؟

لترد عليه بخجل و وجنتيها تتضرجان بالدماء . .

_بخير . . كيف حالك و حال عمتي ؟؟ لَمَ لم تأتي معك ؟؟

نظر حداد للخادمة التي وضعت أمامه طبق له و ملاعق . . بنظرات خفية مغازلة لكن سيف التقطها بسرعة . . قبل أن يرد بتهكم . .

_عمتك بصحة جيدة . . تدور بين المؤسسات الخيرية . . دعك منها و أخبريني هل ما سمعناه صحيح ؟؟

شحب وجه ريداء و هي تسمع تلك الكلمات التي كانت قلقة منها . . تركت الملعقة تسقط في الطبق محدثة القليل من الضجة قبل أن ترد ببهوت . .

_ماذا سمعت ؟؟

ترك ما يقوم به من سكب للطعام قبل أن ينظر لها بعيونه الزرقاء الضيقة لكن الجميلة . .

_إن والدتك تم القبض عليها بعدة تهم ؟؟

عم الصمت قليلا قبل ان تقول بصوت متحشرج ضعيف . . و رأسها انخفض للأسفل بخزي . . قلبها قرع بين جنبات أضلعها . .

_أجل . . هذا ما حدث . .

_يا إلهي . . أنت . .

_عن إذنكم . .

قالت بسرعة تقطع عليه الاسترسال بالحديث و تنهي الشعور بالخزي و هي تبتعد و دموعها بدأت تسكب مأساتها علي خديها

بألم .. نظر له الجد بلوم و هو يقول ..

_لم فعلت ذلك حداد ؟؟

_لم أقصد جدي ..

قال بصدق و عيونه تطلق الندم و ينظر في أعقابها .. و لم يرى نظرة الآخر الذي يود قتله حقا بسبب ما فعله هاتفا في أعماقه ببركان ثائر يحاول كبته "الأحمق .. ألم يري الفرحة التي اعتلت وجهها لمرآه .. لكن هي الحمقاء هنا .. غبية "كم يود لكمه عدة مرات علي وجهه الوسيم و الذي يجلب له الفتيات الغبيات تماما كريداء ..

نهض من مكانه و هو يقول بجمود ..

_جدي أنا سأذهب للراحة فلدي الكثير من العمل غدا كما تعلم السفر في السيارة أمر متعب .. سررت برؤيتك حداد من فضلك أن تساعد جدي في العودة إلى غرفته قبل أن تغادر .. و أبلغ تحياتي لعمتي .. عمتم مساءا ..

قال بسرعة ليتركهما خلفه كأن الطير علي رؤوسهم .. لقد أفسد الجلسة الهانئة بمجيئه .. لكنه لم يهتم بكل ذلك و هو يعود لتناول الطعام فيما كان الجد ينظر له بحنق دون أن يفصح عما يعتمل قلبه من حنق و سخط ..

&&&&&&&

مر بجانب غرفتها في طريقه إلى غرفته .. و سمعها تبكي بمرارة .. كز على أسنانه بغيظ و قهر و هو يهتف بغضب هامس لروحها الغبية ..

_كفي ..

دخل غرفته باستياء .. مغلقا الباب بقدمه بعصبية شديدة و أنامله تتحرك بسرعة على أزرار قميصه تخلعه بعد أن شعر بالضيق .. بصدر عاري و أفكار جهنمية اتجه إلى النافذة يشعل سيجاره ليحرق ما تبكي لديه من أعصاب .. حنق .. سخط و كل

المشاعر السلبية تهاجم عقله و قلبه . .
_غبية . . حمقاء تركض خلف شخص تافه مثل حداد . .
"حداد" الشخص الذي يمقته . . لم يكرهه يوما لكنه يمقته و يمقت تصرفاته الصبيانية و يمقت حب الأخرى له . . لم يعترف للآن إنه كان يشعر بالغيرة منه منذ صغرهم أو منذ قدومه هنا و إنهاء حال التمرد . . ذكرى بعيدة لطفلة شقراء بعيون مستاءة و غاضبة لكنها خائفة و تدعي القوة تماما كغزال جبان . . تحتمي بجسد صبي لا يكبرها سوى بعامين ينفخ عضلاته التي لم تبرز بعد و يواجهه هو ذو الرابعة عشر عاما و يكبره بأربعة أعوام . . ينظر لهم بسخرية رغم الغضب في عينيه لتأديب تلك الصغيرة الجبانة و التي هتفت بصوت مرتعش طفولي . .
_لا تقترب . . فإن حداد سيضربك على وجهك . .

ضحكاته الساخرة ملأت المكان و هو يرى تأثير تلك الكلمات على حداد الذي نفخ نفسه كالبالون . . لكنه يعلم فرق القدرات الجسدية . . فحداد بنيته ضعيفة في حين بنية سيف قوية و ممتلئة لا تناسب طفل بالرابعة عشر . .
_يكفي سيف . . لقد أخفتها . . وأنت لا تثيرين غضبه و لا تخرجين للشارع . .
_لكنني أخرج للعب معك حداد . .
قالت بحزن ليقول حداد بنزق . .
_أنت تفسدين اللعبة ريداء . .
ثم تركها و غادر لتواجه الوحش لوحدها . . تنظر له بعيونها الواسعة و التي امتلأت بالدموع للكلمات النزقة . . و نظراته الساخرة تراقب كل ذلك . . لكنه قطب حاجبيه بغضب قبل أن يقول بخفوت . .
_غبية . .
ذكرى مماثلة لكن كانوا قد كبروا كثيرا . .

فأصبحت صبية حلوة تثير في نفسه الشابة الإعجاب و أدرك إنه يحبها .. و آلمه أن تحتمي بحداد ابن عمتهم و الشخص الذي يمقته سيف .. لكنها فعلت و هي تركض و تختبئ خلف حداد تقول بصوت غاضب لكنه ضعيف ..

_أنت شخص مقيت و كريه تماما كما تقول أمي تفسد كل شيء تمسكه يداه و قد أفسدت ثوبي الجميل .. تستحق ما فعلته بك ..

رأي تشبثها بقميص حداد الذي يقف بينهم و يحاول فهم الموضوع و حرقة بسيطة تضرب وجهه في الخدوش البسيطة التي صنعتها علي وجهه لأنه أفسد فستانها المثير .. و الذي كانت ترتديه لحداد .. سمعها تخبر ذلك بقطتها الصغيرة .. فاشتعل قلبه بالنيران و هو يشعر بالغيرة و الغضب لكون الثوب قصير .. و ببساطة يسكب كوب العصير خاصتها علي ثوبها فيفسده ..

كانت المرة الأخيرة التي يتواجهان بها كهذه المواجهات الطفولية و قد تكررت تلك المواجهات كثيرا بينهم .. كلما زارت منزل الجد بصحبة والدها .. و دائما كان حداد بينهم .. هو دائما بينهم و لن يحصل عليها .. هتف بمرارة و هو يرى الشخص الذي يفكر به يخرج من المنزل متباهيا بنفسه .. مما جعله يبتعد عن النافذة و هو يهتف بغضب

_غبيــان ...

&&&&&&&&&

شدت على جسد شقيقها و هي تنظر للمنزل البسيط الذي يقبع أمامها و تحيطه حديقة صغيرة من كل الجوانب .. بخلاف المنزل الذي عاشت به من قبل و الذي كان يشعرها بالبرود .. رغم ضخامته .. تقدمت بتردد إلى البوابة الحديدة الصغيرة و

التي أصدرت صوتا ضعيفا يدل على القدم ..
لاغي الطفل بين ذراعيها و هو سعيد بهذه النزهة الجميلة بعيدا عن الجدران الدائمة من حوله .. عدلت حزام الحقيبة على كتفها و حاولت تعديل الخصلات الصغيرة الشقراء التي تنافرت من الجديلة الشقراء على كتفها .. للحظة نظرت للخلف تريد الهرب ..
تشعر بالعار من التقدم خطوة و مواجهة الحقائق في وجهها ..
بين ترددها و مسيرها المستمر كانت تصل إلى المنزل .. و قبل أن تتخاذل أكثر كانت تمد كفها تضغط على جرس الباب .. مد مؤيد كفه يقلدها لكن ذراعه القصيرة لم تساعده .. ابتسمت ببهوت لمحاولته المستميتة ..
فتح باب المنزل من قبل "منه" التي وقفت تنظر لها و لم تخطئ بنظرات اللوم التي مرت على ملامحها .. لقد قرأتها ريداء بسرعة .. مما جعلها تخفض رأسها بخجل .. لكن سرعان ما تداركت "منه" الموقف و هي تهتف بترحيب ..
_أهلا ريداء تفضلي عزيزتي ..
تقدمت خطواتها ببطء و استحياء .. و هي تردد بصوت منخفض ..
_جئت لأتحدث مع خالد .. هل هو بخير ؟؟ ألم يصيبه شيء من الانفجار ؟؟
سألت بصوت متقطع و ألم لمسته "منه"
يستوطن روح ريداء لتبتسم تخفف عنها ..
_إنه بخير .. لم يكن بالمنزل عند الانفجار اطمئني ..
راحة و اطمئنان اكتسح جسدها .. لكن الحمل الثقيل لا يزال قابعا على كتفيها و صدرها ..
_تفضلي ريداء بالجلوس ..
نظرت بأرجاء المنزل الجميل .. بأرائكه

القديمة لكن الأنيقة و مقاعد السفرة في جانب آخر من الصالة .. جلست ريداء علي إحدى أرائك الصالة

_مبارك الحجاب ..

قالت بابتسامة مرتعشة و هي تنظر لغطاء الرأس الذي نزعته "منه" ليظهر شعرها الأسود الغجري ..

_شكرا .. العقبي لك ..

_إن شاء الله .. انا سألبس نقابا ليغطي وجهي بعد الفضيحة و لأخفيه عن الناس..

قالت ريداء بألم و هي تمسك بالطفل الذي يصارع لأن يخرج من قيد ذراعيها ..

_هوني عليك اختي ..

خرجت الكلمة من فم خالد المبتسم بتسامح و هو يدخل في مجال نظرها .. ليقول بطيبة

_لا تحملي نفسك فوق طاقتها .. و أنت لا يد لك بما فعلته والدتك ..

_أنت بخير ؟؟

سالت بدموع تحتقن بعيونها و هي تقف مقابلة له و الصغير بين ذراعيها .. ازدادت ابتسامته و هو يقول بعذوبة

_بكامل صحتي أختي .. لا تقلقي .. و كفي عن الخجل و القلق بشأن ذلك الموضوع..

ثم نظر للصغير الذي يحاول لفت انتباهه و قد تعرف عليه ..

_مؤيد يا صغيري ..

لاغاه الصغير و ابتسامة حلوة تزين وجهه الطفولي .. حمله خالد بين ذراعيه يرفعه عاليا و يحتضنه بقوة و الصغير لم يكف عن الكركرة .. مما حمل الضحكة للفتاتين المتابعتين لكليهما .. حمل الطفل علي ذراعه ليقول لزوجته..

_ألن نشرب أي شيء حبيبتي ..

نظرت له "منه" لتفهم إنه يريد التحدث مع ريداء و لا يريد إحراج الأخيرة بوجودها ..

لم تنزعج بذلك فهذه دماثة أخلاق زوجها الحبيب .. و مسئوليته اتجاه الآخرين ..

ابتسمت بعذوبة ..

_حالا .. هلا أعطيتني هذا الجميل ..

قالت و هي تشير لمؤيد .. ليناولها إياه خالد و هو يردد بتحذير مازح ..

_حسنا .. لكن لا تكثري من تقبيله فأنا أغار ..

تعالت ضحكات "منه" و هي تتجه إلي المطبخ .. و ابتسامته الحلوة تزين محياه الطيب .. نظر لها ليجدها تبتسم ببهوت..

_لترى ما الذي يزعجك أختي .. و يعكر صفو ابتسامتك ..

ماتت ابتسامتها و هي تخفض رأسها تجلس علي الأريكة حيث أشار لها ..

_أخي خالد .. أنا خجلة جدا مما حدث لك بسبب والدتي ..

_اسمعيني جيدا و لا أريد إعادة كلامي .. أنت تربية بيتنا كنا معا تحت سقف واحد اعتبرتك أختي .. سعدت جدا إن علاقتنا توطدت بوجود مؤيد .. نحن نخرج لهذا العالم و لدينا والدين لم نقم باختيارهم .. شعورك بالخجل ليس في محله .. فهذا ليس باختيارنا بل هو مفروض علينا .. كما إنني أنظر لك دائما كابنة الصديق الطيب ذو الطباع الحسنة العم طلال .. ليس ابنة نادين لأنك لم تأخذي أيا من صفاتها .. فلا تحملي نفسك وزر الآخرين .. هل هذا واضح أختي ؟؟

هزت رأسها بموافقة و هي ترسم ابتسامة مرتعشة ..

_اتفقنا إذا .. سنتناول العشاء .. و ستزوريننا من جديد فهذا بيتك أختي و مفتوح لك في كل وقت ..

_لا داعي للعشاء فأنا لم أخبر جدي بأنني

ساتاخر . .
قطب جبينه باعتراض و هو يقول بجزم . .
_هاتفيه و اخبريه إنك ستتأخرين . . لا وجود للاعتراض . .
ابتسمت هذه المرة كم تحمل الكثير من الإعجاب و المحبة لهذا الرجل الحنون . . لم تتخيل إنه سيرفض مسامحتها . . فهي لم تشك بذلك للحظة واحدة . . .
وضعت السماعة علي أذنها تستمع للرنين في الجهة الأخرى . . ألقت نظرة على خالد و زوجته يلاعبان مؤيد الذي يضحك بسعادة معهما . . سريع جدا في تقبل الآخرين . .
فكرت قبل أن تسمع كلمة "مرحبا" علي الطرف الآخر . . أربكت كيانها دون أن تدري سبب ذلك . .
_سيف . . هذه أنا ريداء . . من فضلك هلا أخبرت جدي إنني سأتناول العشاء في منزل أخي خالد . . لقد أصر على دعوته و

سألبيها . . و لا أريد لجدي أن يقلق لتأخيري . .
قالت بثرثرة طويلة و ارتباك واضح في رعشة صوتها . . ليعم الصمت قليلا قبل أن يقطعه سيف بقوله . .
_متى ستعودين للمنزل ؟؟
_عند التاسعة بلا شك . .
قالت و هي تنظر للساعة . . ليقول سيف بجزم
_أعطني العنوان لآتي لأخذك . .
_آآه . . لا داعي لذلك . .
هتفت بسرعة لكنه قال ببعض الحدة . .
_ريداء أنا ابن عمك و لن أسمح لك بالذهاب مع شخص غريب . . إن الناس لا تعلم إنك تعتبرينه أخ لك . . هلا أعطيتني العنوان و بدون نقاش . .
بحسم أنهى كلماته . . لتردد على مسامعه العنوان . . و تنهي المكالمة . . لم تعلم سبب

هذا الاستسلام .. كان يجب أن تصرخ في وجهه بألا يملي عليها الأوامر .. لكنها في منزل خالد و لا تريد لفت انتباهه بحدوث إشكال بينها و بين ذلك السيف ..

عند الساعة التاسعة و بعد أن أنهوا عشاءا طيبا .. كان جرس المنزل يدق ..

ابتسمت بقلق و هي تقول لخالد ..

_لابد إنه سيف ..

_سأذهب لاستقباله ..

قال خالد و هو يسارع لاستقبال ابن عمها .. سارت ريداء خلفه بقلق .. فتح خالد الباب ليقابله شخص طويل و ذو ملامح وسيمة ساكنة لا تعبير فيها ..

_مرحبا .. جئت من أجل ريداء ..

ابتسم له خالد و هو يفتح الباب على مصراعيه و هو يقول بترحيب .. _تفضل بالدخول ..

_لا داعي لذلك .. الوقت متأخر ..

قال سيف بنوع من الخجل لهذا الترحيب الكبير و بسبب كلامه الودي .. رغم شعور الغيرة الذي يضرب قلبه بسبب ريداء ..

_فنجان قهوة لن يؤخركم كثيرا ..

قال خالد بإلحاح .. لينظر إلى ريداء علها تسعفه .. لكن الأخيرة أخبرته بصمت ألا يحرج خالد فقبل باستسلام ..

_خالد أخي و زوجته منه و هذا سيف ابن عمي .. إنه دائم السفر لذلك لم تراه يوما ..

قالت ريداء بتعريف .. ليقول خالد بابتسامة ..

_أهلا و سهلا بك سيف ..

خالد يعلم جيدا من هو سيف .. فقصته و قصة النسب التي لحقت به منذ صغره مشهورة و معروفة جدا خاصة في هذه المدينة الصغيرة .. لكنه لم يود إخباره .. أما الآخر فعلم إنه معروف لدي خالد .. و هذا ما سبب له بعض الألم ..

_شكرا لك ..
جلسوا جميعا على الأرائك الموجودة يتسامرون بشتى الأحاديث .. فسرعان ما يختلط الشخص العربي في الحديث مع الغرباء .. اجتماعي بطبعه .. عند نهاية السهرة نهض سيف بشكر خالد على استضافته ..
في السيارة نظر لها سيف و هي تحتضن أخاها النائم بعمق و ملتف بغطائه الخاص ..
_أرى إشراقتك من جديد .. هل الحديث مع خالد يبعث للراحة ؟؟
_أكثر شخص كانت تهمني نظرته هي خالد .. لأنه أكثر متضرر بهذه الحكاية و أجل أراحني الحديث معه و هو يخبرني إنني لازلت أخته.. و إنه لا يحملني وزر ما فعلته أمي..
قالت ريداء بصدق و راحة كبيرة تنبعث من كلماتها .. و لم تشعر بالنيران التي تشتعل قربها .. ردد بجفاف ..
_هذا جيد ..

"تهتم بجميع من حولها و بمشاعرهم و تظن إنني مصنوع من حجر .. غبي" هتف بغضب في داخل نفسه ..
&&&&&&&
في عشاء اليوم التالي كانت ريداء تتلاعب بملعقتها بتوتر .. تستمع بشرود لحديث جدها و سيف الذي علمت إنه سيبقى هنا طويلا .. لا تدري لماذا .. أجبرت نفسها إن تتجاهل وجوده القليل طوال اليوم ...
سحبت نفسا عميقا لتبعد توترها .. و توجه الحديث لجدها ..
_جدي ..
توقف الحديث بينهم .. و لفت انتباههم لها..
_سأذهب غدا لزيارة أمي بالسجن ..
قالت بتوتر و غصة تستحكم حلقها ..
وضع جدها ملعقته بدهشة ..
_لماذا يا ابنتي تودين إيلام نفسك ؟؟

_احتاج لزيارتها جدي .. احتاج لذلك ..
قالت بألم و نزيف قلبها يتصاعد .. ليقول
جدها مهونا عليها الأمر ..
_تعلمين أن التحقيق لم ينتهي بعد .. و لا
أظن إنهم سيسمحون لك بزيارتها ..
_أعلم .. لكنني سأحاول .. أرجوك
جدي أن تسمح لي ..
تنهد الجد بتعب ليقول بعد تفكير ..
_حسنا إذا .. سيذهب معك سيف ..
_لكن جدي ..
قالت باعتراض و هي تنظر لسيف الصامت
بقهر .. ردد الجد بجزم و إصرار ..
_لن أسمح لك بالذهاب لذلك المكان وحدك
ريداء .. " ثم نظر لسيف يسأله " هل
يزعجك الذهاب معها سيف بني ؟؟
تنحنح سيف و هو يتلقي نظرات غضب و
امتعاض .. ليقول لجده بسكون ..
_لا جدي .. سأذهب معها في صباح الغد

ازداد غضبها و هي تتلقى استحسان جدها
له و لموافقته و بغضب صامت كانت تتلقى
طعامها دون أن تدرك طعمه ..
بعد أن انتهى العشاء بدأ الحديث بين الجد و
حفيده فيما غادرت هي المكان بقهر تحت
نظراتهم الساكنة و الممتعضة من تصرفها ..
كانت تدور بغضب في غرفتها .. تنظر تارة
لأخيها النائم علي السرير .. و تارة أخري
تستمع لحديثهم بالخارج .. تنتظر ذهابه
لغرفته .. تود أن تفجر قنبلتها الموقوتة في
وجهه .. تنهدت بغيظ من إصرار جدها
.. لن تسمح بذلك ..
سمعت صوت خطوات واثقة سريعة تسير
بالرواق .. توقفت تلك الخطوات عند باب
غرفتها للحظة .. شعرت بالارتباك أزعجها
.. لكن تلك الخطوات عادت للمسير من
جديد .. كما عاد قلبها للوثب من جديد
بعد أن كانت تحبس أنفاسها .. نفخت

أوداجها بقهر من نفسها .. بعزم كانت تفتح باب غرفتها و تخرج متجهة لغرفته .. لن تسمح له بالذهاب معها .. وقفت للحظات أمام الباب و قبل أن تتخاذل شجاعتها كانت تطرق الباب بقوة ..

فتح الباب بصورة سريعة .. فالطرقات القوية على الباب أصابت قلبه بالرعب ..

ليطالعها منظره الوسيم بقميص مفتوح و أظهر صدره و بطنه العارية و عضلاته البارزة من خلف القميص .. اختلج قلبها و وثب بجنون .. أحمرت وجنتيها بخجل و هي تبعد نظرها بعيدا عنه .. ليدرك خجلها و بدون أن يحرجها أكثر كانت أنامله تشد طرفي القميص و تغلق أزراره .. ليسأل بهدوء

_ما الأمر ريداء ؟؟

نظرت له بقهر .. و هي تهتف كأنها تطلق الرصاص من فمها ..

_لا أريدك أن تأتي معي غدا لزيارة أمي ..

قطب جبينه بانزعاج و هو يقول بصوت جاف ..

_لماذا ؟؟ أنا أصر علي الذهاب و هذا لا يزعجني ..

_بالتأكيد لا يزعجك .. بل أنت أكثر من سعيد لتذهب و تري أمي خلف القضبان لتشمت بها ..

قالت بغضب و قهر .. جروح الأيام الماضية ظهرت على السطح لتجعلها تصرخ بوجه الجميع دون أن تدري ما تقول .. و دون أن تعلم إنها بذلك تسبب الألم للآخرين ..

بهت وجهه للحظات قبل أن يرتدي قناع القسوة على ملامحه و يقول بتصلب ..

_من الأفضل أن تعودي لغرفتك ريداء .. و غدا سأنتظرك للذهاب إلى والدتك..

قال ذلك و هو يغلق الباب في وجهها .. و لم تعبأ بغضبها .. ضربت الباب بقدمها بغيظ

ثم سارت سريعا إلى غرفتها .. و الغيظ يتآكل جسدها ..

&&&&&&&

في غرفة انتظار السجين يجلس كلا من سيف و ريداء المتوترة جدا في انتظار والدته .. في الوقت الذي كان سيف يدعي اللامبالاة و وجوده هنا هو تأدية واجب ليس أكثر .. لم يوجه لها أي حديث منذ الصباح .. لكنه عمل الكثير هنا ليسمحوا لهما بهذه الزيارة .. شعر بنظراتها المتوترة .. برعشة أناملها .. بالموقف المخزي الذي توضع فيه .. يشفق عليها و على روحها المعذبة .. لكنه لا يستطيع فعل شيء ..

انتهى عذابها بفتح الباب من قبل السجانة التي تجلب والدتها و التي تسير بكل تكبر و غرور و كأنها تعيش في قصر و ليس سجن .. تركتها السجانة و خرجت و هي تغلق الباب خلفها ..

_أمي .. ما هي أخبارك ؟؟

قالت ريداء بسرعة .. و لهفة .. إنها والدتها ..

_أخباري ؟؟ "سألت بسخرية .. لتكمل " أنا أعيش بسجن ..

_لماذا فعلت ذلك أمي ؟؟

سألت ريداء بألم و عجز .. لتقول نادين بقسوة و تعنت ..

_ما الذي جاء بك إلى هنا ؟ و جلبت معك هذا اللقيط ليشمت بي أيتها المغفلة .. !

لم يهتم سيف بهذه الكلمة كثير و هو يرمقها بلا مبالاة كبيرة .. و ينظر في أرجاء المكان ..

شعرت ريداء بالألم و هي تهتف بمرارة ..

_سيف يعرف من هم عائلته .. لكن مؤيد .. طفلك ابن من هو ؟؟ كيف فعلت ذلك ؟؟ أفسدت حياة ابنك و كدت تقتلينه

و تقتلين خالد . . لم كل ذلك أمي ؟؟
هتفت بمرارة و دموع تتراكض على وجنتها
. . لتقول نادين بقسوة و حقارة . .
_فعلت ذلك لأعيش . . غادري هذا المكان و مؤيد اتركيه في أحد الملاجئ . . لا تعودي من جديد . .
ألقت نظرة قاسية على كليهما . . و ملامح وجههم مصدومة بقوة . . اتجهت إلى الباب تطرقه و تخرج منه بكل غرور . .
_ريداء . .
همس بصوت هادئ لتشهق بعنف تحتاج للهواء . . و هي تقول بصوت متقطع
_أخرجني من هنا أرجوك . .
هز رأسه سريعا و هو يمسك ذراعها . . و في الدقائق التالية كانت تجلس بقربه في السيارة المتوقفة على إحدى تلال المدينة . . لم يتحدثا . . فقط لحظات قليلة تحتاجها لتستعيد به قوتها و هدوئها . . لا تصدق ما قالته والدتها . . و لا تقدر على فعل الكثير حيالها . . لقد فقدت الأمل في تغيير و لو نسبة صغيرة من حياتها . .
شعرت بالامتنان اتجاه سيف لأنه أعطاها الكثير من الوقت صامت لا يتحدث . . لقد آذته . . و شعرت بالألم عندما أعادت والدتها نفس كلماته التي ألقتها على مسامعها ليلة البارحة . . تود الاعتذار لكنها جبانة و لا تحب سخريته التي سيقابل اعتذارها ففضلت الصمت . .

في وقت آخر . . . كان يجلس قرب جده على السرير يخبره بما يفكر فيه . .
_ما رأيك جدي بالاقتراح ؟؟ المنزل هناك حديث جدا . . و فيه كل التسهيلات لك . . وسيساعدك هواء المزرعة العليل . .
_الفكرة جيدة بني . . لكن لا أظن ريداء ستقابل الاقتراح بالموافقة . .

قال الجد بحزن لحال حفيدته .. لكن سيف لم يترك له الفرصة و هو يكمل

_هذا الاقتراح سيساعدها في الابتعاد قليلا عن ما حولها حتى إصدار الحكم بحق والدتها .. تحتاج لأن تريح فكرها قليلا بابتعادها عن الناس هنا ..

تنهد الجد بتعب و هو يقول بتصميم

_سأقترح عليها الأمر و ستوافق بإذن الله .. لا تشغل فكرك ..

ابتسم له سيف و هو يقول بنوع من المزاح ..

_لن أشغل فكري أمام إصرارك جدي ..

&&&&&&&

في نفس الوقت و في مكان آخر .. يتسم بالتقشف و الحقارة ..

كانت تجلس في سريرها الحديدي و قلبها يشتعل نيرانا .. إنها نهايتها .. هذا أكيد .. فالمحامي الذي وضعته لها ابنتها بشرها إن الحكم سيكون قاسيا بحقها .. فكل

الأدلة تشير إنها متهمة .. نظرت لقطعة الزجاجة المكسورة و التي تحمل الكثير من التلوث .. ستنهي الأمر قبل إصدار الحكم .. زيارة ذلك اللقيط كانت اللحظة القاضية بالنسبة لها .. ذلك الوغد كم كرهته منذ رأته و هي تجده يأخذ كل ثروة والده .. كانت تتوقع أن تصبح لزوجها و تنعم في نعيم أمواله .. لكن لقيطا أتى إلى منزلهم في إحدى الأيام و سرق أحلامها .. كم تود أن تغادر المكان و تهرب و تنتقم منهم جميعا .. خالد .. و والده كم تود نبش قبره و تقطع جسده بأظافرها .. و ذلك اللقيط سيف و جده .. تود قتلهم جميعا ..

فكرت بقلب لا يزال يتوقد ببركان ..

&&&&&&&&&

ابتسمت بخجل و هي تري زوله يختفي في المنزل .. سرحت شعرها سريعا و نظرت إلى نفسها في المرآة قبل أن تهبط الدرجات

سمعت ترحيبه بصديقتها التي تجلس في انتظارها و التي كانت قد أتت قبل لحظات.. وصلت إلى غرفة الضيافة حيث يتواجدان كليهما .. لكن كلاما هامسا اخترق مسامعها يهتف بجدة السيف........

_مسكينة .. لا أعلم كيف ستواجه الناس بعد انتشار حقيقة والدتها .. لن تتحمل نظرات الجميع الشامتة ..

_أجل .. سيبتعد عنها الناس .. إن عائلتي رفضت أي صلة لي بها .. لكنها صديقتي و لا أستطيع تركها في أزمة ..

سمعت حداد يرد علي صوت صديقتها ونبرة الشوق لمستها جيدا

_و نعم الصديقة .. لقد اشتقت لك ..

لا تدري أيهما يؤلمها أكثر كلامهم عن حقيقة والدتها و حقيقة نظرة الناس لها .. أم حقيقة العلاقة بين ابن عمتها حبيب قلبها

و صديقة العمر ..

كتمت شهقة مؤلمة جرحت حلقها .. و من بين دموعها رأته هناك يقف مراقبا لردة فعلها .. نظرات غريبة تصدر منه تجتاح كيانها .. هل سمع شيء ؟؟ بالتأكيد صمته يخبرها بأنه سمع كل شيء .. غطت وجهها و سارت مبتعدة تركض إلى وحدة غرفتها .. مرت بقربه لتمسك كفه بذراعها تمنعها من التقدم أكثر .. نظرت لكفه بعيون تغشاها الدموع ..

_لا مجال للهرب .. عليك أن تواجهي الجميع .. ستأكلك الذئاب إن كنت الحمل ..

هزت رأسها بالرفض لكلامه قائلة بهمس أوجعه .. لكنه لم يظهر ذلك و هو يقف يواجهها بملامح صارمة ..

_لا أستطيع .. هذه فضيحة ستبقى مطبوعة على جبيني إلى الأبد .. اعتذر منهما نيابة عني ..

هزها سيف بقوة من ذراعها هاتفا لنفسه قبل أن تكون المعنية بكلامه كان الكلام موجها له ..

_هذه ليست فضيحتك. .هل سمعت ؟؟ ليست فضيحتك ..

هزت رأسها بقوة لتقول بغضب من بين أسنانها ..

_الابنة كالأم .. (تغضنت ملامحها لتسكب دموعها من جديد تقول بتوسل) أرجوك اتركني .. لا أستطيع مواجهة أحد .. ليس الآن على الأقل .. أرجوك ..

قالت بتوسل باك هامس .. ليترك ذراعها بعد أن قال ..

_ستواجهين الجميع لاحقا ..

لم تهتم ريداء بجملته كثيرا و هي تركض كمن تسابق الرياح .. تبحث عن مكان لتداوي جراحها .. فيما بقى هو ينظر إلى خيالها الذي اختفى في أعلى السلم .. و غضب كبير يجتاح كيانه لأجلها .. رآها تقف قرب الباب تستمع لحديثهم .. كم ود أن يدخل الغرفة و يقتل كليهما ابن عمته و صديقتها .. لكن دموعها استوقفته .. شهقاتها كانت تضرب قلبه و روحه كسكين .. رؤيتها بهذا الشكل أعاد له ذكرى الطفل الذي كان يلاحقه عار كبير .. زفر انفاسه بغضب يبعد عنه تلك الصورة ثم غادر المكان .. دون أن يكلف نفسه إخبار الثنائي المتواجد بالغرفة بعدم قدومها .. مدركا ما يحدث بالداخل ..

انتهى الفصل الأول ...

أحتاجك

في السجن .. ببرود و دموع متحجرة بقلب قاس كانت قطعة الزجاج الحادة تسير على شريانها لتقطعه و تمزقه .. و دمائها الفاسدة تسيل بسرعة كبيرة بعد أن كانت قد تحررت من جسدها المتسخ .. نظراتها الباردة اتجهت إلى الدماء المتدفقة من كفها و التي تملأ ملابسها .. و أنفها يلتقط رائحة كاز إلى جانب رائحة دمائها .. لم تفكر كثيرا عن البحث عن مصدر تلك الرائحة .. و لم تشعر بالبلل الذي لامس ملاءتها البيضاء الموضوعة على السرير الخاص بها .. غياهب الوعي بدأت تسيطر علي جسدها بقوة .. و عقلها بدأ يدور في دوامات سوداء ..

في جهة أخرى من نفس المكان و نفس الزنزانة .. كانت احدى المسجونات تمسك بعقب سيجارة كانت قد استخدمتها مسبقا .. و ها هي ستكملها بعيدا عن أعين

الفصـــل الثاني

مأمورات السجن القاسيات .. أخرجت
عود كبريت بالسر و أشعلته سريعا ..
لتشعل تلك السيجارة التي تكاد تنتهي ..
و بنفس السرعة كانت ترمي العود قبل أن
تطفئه .. و تختبئ تحت سريرها لتدخن
تلك السيجار .. لم تدرك إن ذلك العود
الصغير كان سببا باشتعال النيران في أرضية
السجن و قد وصلت لعدة أسرة قد طالتها
النيران ..
أطفأت السيجارة سريعا و هي تدرك ما
فعله عود الكبريت و قد انتبهت للنيران و
صراخ المسجونات الأخريات .. و بفم فاغر
كنت تنظر للمرأة التي تحترق دون أن تستطيع
الصراخ أو الحركة .. و قد فارقتها الحياة
بعد ان أكلتها النيران ..

&&&&&&&

ترتدي الثياب السوداء .. لكثرة حزنها ..
موت والدتها .. و إلى جانبه كان هناك

موت قلبها ..
طرقت باب غرفة جدها لتجده يجلس على
طرف السرير قرب جدها .. تعرف إنه من
اقترح الأمر بالذهاب إلى بيت المزرعة
خاصته .. لقد أخبرها جدها بالأمر قبل
يومين .. لكنها رفضت الأمر ..
لا تريد الذهاب بعيدا عن المدينة فهناك
والدتها التي تنتظر الحكم و هناك الحبيب
الذي يبهج الروح و القلب .. لكن كلا
السببين انتهيا الآن و أصبحا من الماضي ..
والدتها ماتت حرقا بالسجن بسبب إهمال
احدى المسجونات و تسرب الكاز الخاص
بالطبخ في احدى زوايا الزنزانة الواسعة ..
حزينة جدا لأجلها فهي أمها من أنجبتها علي
هذه الحياة حتى و إن لم تكن تحب وجودها
.. كانت ريداء تتمني لوالدتها الحياة
الفاضلة و الأفضل .. لكن والدتها عاشت
حياتها بالإجرام و أنهتها بالحرام و الكفر فقد

اتضح إنها انهت حياتها بيدها قبل أن يمسها الحريق .. لم يأتي أحدهم لتعزيتها فهذا متوقع .. والدتها لم تترك أحدهم من شرها و إجرامها .. فقط أخيها خالد من هاتفها و واساها .. الرجل الطيب

_جدي أنا موافقة للذهاب إلى بيت المزرعة ..

نظر لها الجد بحزن عيونها منتفخة من كثرة البكاء .. ملامحها ذابلة كورق الخريف .. بشرتها شاحبة بيضاء تخالف الثوب الأسود الذي ترتديه حزنا علي والدتها .. لم يعلم إنها تبكي قلبها أيضا .. فقط هو من يعلم .. هو فقط من شهد إذلالها ..

من سمع كلام الحب الدائر بين حبيبها و صديقتها .. نظرت له بخجل .. لتجده يتجنب النظر لها .. لا تعلم سبب غضبها منه .. هل لتجاهله أم للشفقة التي تنبعث من جسده مرسلة لجسدها .. مشاعره تلك تصيبها كسهام حادة

_حسنا بنيتي .. جهزي أشياءك و أشياء الصغير .. لنغادر في صباح الغد ..

هزت رأسها ممتنة لجدها .. إنها تريد الهرب من هذا المكان .. لتتجه إلى أحضان الطبيعة الأكثر رحمة من قلوب البشر ..

خرجت من الغرفة قبل أن تسمع تنهيدة جدها الموجوعة لأجلها .. و نظرات الغضب من ذلك الجسد المنتفض لأجلها أيضا .. لم يكن يريد ذهابها الآن .. فهذا يسمى هروب ..

&&&&&&&

دخل غرفته و شعور القهر مسيطر عليه .. ساخط عليها تلك المنهزمة .. لا قوة لديها للمواجهة .. اتجه إلى الحمام لأخذ أحد المسكنات التي يتناولها ليسكن تعبه و إرهاقه من العمل .. لكن مؤخرا يجد نفسه يتناولها كثيرا .. كثيرا جدا .. رغم إن

تحذيرها للوجع لم يعد يدوم طويلا .. هل من المعقول أن يكون قد أدمن عليها لكثرة تناولها ؟ يحتاج لنوع أقوى من هذه المسكنات ..
إن جسده منهك جدا .. بات يشعر بالإرهاق بسرعة .. و عظام جسده يشعر بها أحيانا تفتك ببعضها .. يحتاج ليريح جسده .. فترة نقاهة ربما مع الجد و حفيدته الجبانة ..
ابتسم لهذا الأمر و هو يتناول المسكن من الخزانة رفع كفه ليبتلع المسكن بعد ان رماه في فمه ليتبعه بكوب الماء معه لكن نظرة إلى المرآة كان يجد خط صغير من الدم الأحمر يخرج من أنفه دون أن يدري و دون أن يشعر .. فتح عينيه على وسعها .. متسائلا بصدمة .. ماذا يكون هذا ؟؟ لوهلة شعر بالخوف .. لكنه هز رأسه يبعد أي فكرة خاطئة تضرب عقله و هو يرجع ذلك للتعب و الإرهاق .. ابتلع مسكنه مبعدا أي قلق قد يصيبه بشأن جسده و هو يمسح وجهه و أنفه من الدم .. قبل أن يغادر الحمام متجها لسريره .. طلبا للراحة ..

&&&&&&&&&&

تركت السيارة تحتضن شقيقها الذي كان قد غفا طوال الطريق من المدينة إلى المزرعة .. ناظرت للمنزل أمامها .. كانت تظنه منزلا بسيطا قديم الطراز .. لكن هذا المنزل لا يمت لأي من ظنونها بصلة .. وقفت تناظر المنزل الحديث الطراز باللون الأبيض ليس كبيرا كما تصورت .. بل هو مكون من طابقين .. معدود الغرف ربما بسبب حجمه المتوسط .. كانت الأرض ممدودة باللون الأخضر على امتداد نظرها .. و بيت آخر يبدو إنه الإسطبل في مكان بعيد .. جلستين مظللتين بمظلات مصنوعة من القش في أماكن متفرقة ..
الريح المحملة بعبق الأشجار حركت شعرها



الأشقر البني و تخللت في رئتيها لتحمل معها تنهيدة عميقة خرجت من فمها بهدوء نزعت عنها الألم و الوجع .. لا شعوريا كانت تبتسم لهذه الطبيعة من حولها .. سترمي همومها هنا على هذا العشب الأخضر المريح للنفس .. ستجلس على ذلك المقعد الممدد تحت المظلة و ترمي همومها للسماء ..

ادارت بوجهها لتجده يقف قرب باب السيارة من الجهة الأخرى يريد مساعدة جده .. لكن نظراته توقفت عليها يراقبها .. يراقب خلجات نفسها المجهدة و التي نثرت كل ذلك الإجهاد في هذا المكان .. اخفت وجهها بعيدا عنه .. لا تريده أن يراقبها .. لم تعد تريد الاقتراب من أحدهم .. تنهيدة أخرى خرجت من فمها و هي تعدل من وضع الصغير على ذراعيها الضعيفين ..

فتح الباب من الداخل لتطل سيدة قصيرة ترتدي غطاء صغير للرأس و ثوب يصل لكاحليها .. بابتسامة بشوشة كانت تهتف لهم

_أهلا بكم .. تفضلوا ..

قالت و هي تفتح الباب علي مصراعيه .. لتبتسم لها ريداء بخجل ..

_آنسة ريداء أليس كذلك ؟؟

هزت ريداء رأسها بالموافقة و هي تسير عند السيدة التي فتحت ذراعيها لتحتضنها بحنان أمومي .. قبل أن تسمع صوته القوي يقول من خلفها ..

_السيدة فاضلة .. مدبرة المنزل .. أو المسيطرة عليه بشكل كامل ..

_وعلى صاحبه ؟؟

قالت السيدة فاضلة بتهكم على لهجته الساخرة .. ليقول هو بخنوع

_و على صاحبه خالة فاضلة ..

رفعت رأسها بغرور مزيف قبل أن تغمز لريداء بمرح .. وهي تحتضن ذراعها لتقول بترحيب

_تفضلي صغيرتي إلى الداخل ..

كان سيف يوصل جده إلي الداخل و يجلسه على أريكة في الصالة الخارجية التي تفضي لدرج داخلي يوصل بين الطابق السفلي و الذي يحتوي على المطبخ و ثلاث غرف إحداهما غرفة المعيشة .. و الطابق العلوي الذي يحتوي على غرفة كبيرة جدا و أربع غرف أخرى ..

_لقد جهزت غرفة في الطابق السفلي للسيد الكبير .. و هناك غرفة بقرب غرفتك جهزتها للآنسة الصغيرة و شقيقها .. "نظرت لريداء تقول بتوضيح "لقد أخبرني سيف إن شقيقك لا ينفصل عنك .. فجهزت له سرير خاص به في غرفتك ..

_أشكرك سيدة فاضلة

_خالة فاضلة يا صغيرة ..
قالت الخالة فاضلة بجبين مقطب تنهرها و فمها لم يتخلي عن ابتسامته .. لتبتسم لها ريداء بإحراج .. لكن سيف قال يقرعها ..
_خالة فاضلة .. جدي يحتاج إلى الراحة إن كففت عن الثرثرة ..
نظرت له بعين نصف مفتوحة قبل أن تنظر للجد الذي يرتاح علي الأريكة البنية ..
_من هنا ..
أشارت له بصوت منخفض .. قبل أن تنظر لريداء تقول ..
_تعالي لأوصلك لغرفتك فلابد و قد أتعبك الصغير ..
هزت ريداء رأسها قبل أن تتجه معها إلي الطابق العلوي .. و هي تثرثر علي مسامعها فيما ريداء تنقل نظرها في المنزل بالوانه الدافئة من الاحمر و البني على خلاف اللون الأبيض البارد الخارجي للمنزل .. فتحت الخالة فاضلة الباب الخاص بغرفتها بعد أن اشارت للباب المقابل لها تخبرها إنه جناح سيف سيد المنزل ..
نظرت للغرفة بانبهار .. كانت غرفة رائعة .. بجدران مطلية باللون الوردي .. و أرضية من الخشب المصقول مغطي بسجاد من الفرو الأبيض .. أثاث من الخشب الأسود .. و يتخلله اللون الابيض .. سرير صغير قرب السرير الكبير الذي يغطي مساحة كبيرة من الغرفة .. يتشكل من نفس الخشب المصنوع منه أثاث الغرفة الخاصة بها .. يحاط بعمدان صغيرة تمنع خروج الصغير و تحميه من تقلباته .. في أعماقها الداخلية شكرت سيف و ممتنة لهذا الجانب منه في الاهتمام بأخيها .. التفت على يمينها حيث الشرفة يغطيها ستارة وردية باهتة اللون .. كمت شهقة صدمة و

هي ترى رفين ملتصقان علي الحائط موضوع عليها العديد و العديد من لعب الاطفال الخاصة بالأولاد .. مشاعر غريبة في أعماق داخلها تحركت لا تعلم ماهيتها و ما هي تلك المشاعر .. لكنها نهرت أي تفكير آخر في غير أخاها ..

نظرت له نائم بسلام و فمه يتحرك بطريقة محببة كل دقيقة .. و كأنه يتناول طعامه .. ابتسمت له و هي تخفض رأسها تقبله..

وضعته علي سريره لينام بسلام و راحة يتنعم في نعومة الفراش الخاصة به و التي احتضنته بحنان ..

&&&&&&&&&

بعد أن ساعد جده في الذهاب لغرفته و طلب الراحة بعد ساعات طويلة في الجلوس بمقعد السيارة .. كان يحتاج للراحة التامة..

اتجه لغرفته ليستريح هو الآخر عله يبعد ذلك الإرهاق و التعب الذي بات يحتله كثيرا في الفترة الأخيرة ..

وقف مطولا أمام باب الغرفة الخاصة به ينظر للباب الآخر و الذي يقابله يود لو كانت نظراته خارقة تخترق الباب ليراها إن كانت سعيدة أو مرتاحة في هذا المكان ..

سكونها الطويل في السيارة و صدمتها عند مرأى المنزل و المكان و رؤيته للراحة في عينيها أدرك إنه أجاد الاقتراح في القدوم للمزرعة .. حتى و إن كان يرفض هروبها من واقعها المر .. زفر أنفاسا عديدة و انظاره لا تزال علي الباب الخاص بغرفتها .. و قلبه ينادي بصوت خفي أن ترأف بحاله المعذب .. لكن ذلك الصوت لم يصل لمسامعه خوفا من أن يسمعه عقله فيثور عليه ..

ابتسم بسخرية قبل أن تنتزع عن فمه و هو

يري مقبض الباب يتحرك بهدوء .. لبعض الوقت شعر بالارتباك لضبطه متلصصا علي باب غرفتها ..
لكنه سيطر علي انفعالاته و هو يرتدي قناع الجمود .. و لا تعبير واضح في عينيه ..
رآها تطل من خلف الباب بثوبها الأسود الواسع و الذي يصل لمنتصف الساق ..
عيونها بنظراتها الباهتة و المحاطة بهالات سوداء كانت تنظر له بتوجس .. لكنه قال بهدوء ..
_كيف وجدتِ المكان ؟؟
_جيد ..
قالت بعدائية و لهجة متنمرة .. ليرفع حاجبا ساخرا لردها العدائي .. لكنه ابتسم بتهكم و هو يردد بلهجة زائفة ..
_أتمني أن تجدين راحتك هنا يا ابنة عمي ..
ثم حرك رأسه ببطء للأسفل بتحية ساخرة .. قبل أن يفتح باب غرفته و يتجه للداخل

بقيت تنظر للباب بلا حراك .. و غيظ يشعل قلبها اتجاه ذلك الشخص البارد ..
هزت كتفيها بلا مبالاة قبل أن تلقي نظرة أخيرة لأخيها النائم و تغادر الغرفة لتدور في المكان تتعرف عليه ..
دخل الغرفة و القهر يشتعل بقلبه الأحمق رغم سخريته التي تمثلت قبل لحظات في حديثه معها ..
_غزالة هاربة حمقاء ..
هتف بتلك الكلمات بغضب و هو يتجه لغرفته ذات الأثاث البسيط .. و المكون من السرير الأبيض بفراشه البني المحترق .. و الخزانة البيضاء و طاولة الزينة المحتوية علي عدة عطور خاصة به ..
بأنامل عصبية كان يخلع أزرار القميص .. و يتجه إلى الحمام في غرفته ليغسل جسده المتعب .. رمي القميص بإهمال على الأرض اتبعه بحذائه .. دخل الحمام و أدار ليغلق

الحمام .. لكن دوار ضرب رأسه فتمسك بمقبض الباب يرتكز عليه ليستعيد تركيزه مرة أخرى .. قطب حاجبيه بصعوبة من شدة التعب و الإرهاق .. مندهشا من كل هذا التعب و الذي انتهى بدوار .. شعر بدغدغة بسيطة في أنفه اتبعه بخيط رفيع من الدماء .. رفع أنامله ببطء ليضعها على أنفه و يلتقط بعض قطرات الدماء .. نظر لها بتعجب و سؤال يلوح في فكره بقلق كبير و خوف أكبر ..

_ما الذي يحصل لي ؟؟ يا إلهي ..

عيونه كانت تتسع من القلق و الرعب .. سحب أنفاسا عديدة يريح قلبه و فكره .. بهدوء كان يستعيد سيطرته على نفسه .. قبل أن يدخل جسده تحت خطوط المياه المندفعة بقوة .. و هو يتمنى أن تكون تلك المياه قادرة على نزع أفكاره المرعوبة التي بدأت تجتاح عقله و فكره بقسوة جاعلة نبضات قلبه تتسارع .. يجب أن يذهب للطبيب .. هذا ما أقره في نفسه و هو يغلق صنبور المياه و يلف منشفة حول خصره ..

&&&&&&&

دارت في المنزل الذي نال إعجابها أكيد .. و قد وقعت في غرامه .. اتجهت إلى الحديقة الخارجية لتجلس على المقعد المصنوع من الخشب الزان تحت مظلة من القش .. تستمتع بدفء أشعة الشمس على ساقيها الظاهرة من أسفل الثوب و شعور الراحة ..

سعيدة بقدومها لهذا المكان .. لم يعد يهمها شيء سوي أخاها الصغير .. هو ما تبقى لها لتعيش من أجله .. صديقتها لم تعد تراها منذ سمعت تلك الكلمات منها .. و ابن عمتها الذي نجح في صنع الجروح لقلبها المسكين .. ابتسمت بسخرية و هي تردد "لا أعلم لِمَ لست مستغربة هذا الفعل ؟؟

هل كنت أتوقعه بسبب ما فعلته أمي ؟ ؟"
تنهدت بحسرة و هي تغمض عينيها تنقي روحها من كل الوجع الذي ألم بها و تخبرها إنه آن الوقت لكي ترمي كل شيء وراء ظهرك و لا تهتمي لأحد ..

&&&&&&&&&&

بعد عدة أيام كان يجلس بجمود عند الطبيب .. غير مصدق ما يسمعه من الطبيب الذي ينظر له بتعاطف منتظرا منه ردة الفعل ..

_ماذا ؟؟

هتف بصدمة و هو ينظر للطبيب .. لقد اتجه قبل أيام عديدة للقيام بالتحاليل اللازمة طاردا أي تفكير إنه قد يكون به مرض عضال .. مرددا دوما لنفسه إنه بخير و هو إرهاق عمل ليس أكثر .. بعد أخذ عينة للدم تم فحصه و لكن قبل يومين طلب منه الطبيب أخذ خزعة .. لم يعرف السبب .. لكنه وافق بصدر رحب .. مؤكدا

يطمأن قلبه إنه فقط للتأكد من نتائج التحاليل .. و ليس أكثر و ها هو يجلس أمام الطبيب يتلقى الخبر الصاعقة ينزل على مسامعه ..

_سيد سيف .. أنا أخبرك إنه اللوكيميا .. لكنه ليس في المراحل المتأخرة .. نستطيع السيطرة عليه بإذن الله و عونه ..

_كيف ؟؟ كيف ؟؟

سأل بصوت متحشرج .. و عيونه لا تزال مفتوحة من الصدمة .. فمهما كان مدعيا القوة .. لكن لوقع الخبر علي مسامعه كان كبيرا .. مرض اللوكيميا دائما ما كان مرتبط بالخوف و الرعب .. حتى الشفاء منه يكون احتمالية عودته مستقبلا بنسبة كبيرة .. لكن الله هو الشافي المعافي .. سمع الطبيب يقول بعملية ..

_أنت تحتاج لمتبرع لعينة من النخاع الشوكي .. إن كان لك أخوة أو من أحد أفراد

عائلتك .. نستطيع البدء في الأمر ..
هز سيف رأسه بالنفي قائلا بصعوبة و هو
يزدرد لعابه
_لا .. أنا لا أملك أي أخوة و والداي
متوفيان منذ زمن ..
_طفل من صلبك سيكون مناسب جدا ..
فتكون الانسجة متطابقة نوعا ما ..
قال الطبيب و هو ينظر لسيف الذي لم
يتمالك نفسه بعد .. ليقول سيف بصوت
هادئ
_أنا لم أتزوج ..
تنهد الطبيب و هو يري سيف يغلق كل
المنافذ أمام وجهه قبل أن يهز رأسه قائلا
بعملية ..
_حسنا في هذه الحالة .. سيكون لدينا
الانتظار حتى وجود متبرع .. لكن لا
أخفيك أمرا إن زمرة دمك نادرة أيضا و هذا
سيحد من أعداد المتبرعين المناسبين للتبرع
لك ..
نظر له سيف مطولا قبل أن يقول بصوت حزم
.. بعد أن أمضى وقته الصامت يفكر في
قراره
_لا أريد إجراء العملية .. أنا لا
أحتاجها ..
_سيد سيف ؟!
قال الطبيب باعتراض .. ليقول سيف
بهدوء لكن حزم كبير
_أنت لا يمكنك إرغامي علي القيام بها
دكتور سعد ..
_لا ..
قال الطبيب بهدوء .. و نظراته غاضبة
.. لقد مل من مثل هؤلاء العينات التي تكون
يائسة جدا و متشائمة من الحياة .. سمع
سيف يقول ..
_هل يوجد أي مسكنات أو مهدئات للألم
الذي يصيبني ؟؟

_حسنا سأكتب لك علي بعض المسكنات .. لكن لك نصيحتي و انا لن اتركك سأبحث عن المتبرع المناسب لك سيد سيف و عند العثور عليه لكل حادث حديث .. رفضك للعلاج سيد سيف هذا يعني الموت البطيء .. من فضلك أعطي لنفسك فرصة التفكير .. هذه حياتك و عمرك ..

هز رأسه باستكانة دون أن ينطق بكلمة .. و فكره مشلول نوعا ما من الخبر المؤسف بحقه .. انتظر حتى كتب له الطبيب علي بعض المسكنات كما أخبره..

&&&&&&&&&

عاد لمنزله في المدينة يحتاج لوقت طويل لتمالك نفسه من أثر الصدمة التي تلقاها ظهر اليوم .. جلس علي الأريكة بتهالك .. يشعر بأن الجدران تضيق عليه الخناق .. بأنامل تحمل القليل من الرجفة كان يفك ربطة العنق التي تدور حول رقبته تمنع عنه التنفس .. من يظن أن خبر كهذا يعتبر بسيط فهو لا إنسانية و لا رحمة في قلبه .. مرض اللوكيميا يعني الموت البطيء كما أخبره الطبيب .. العلاج لا يريده .. زرع النخاع الشوكي يسبقه علاج كيماوي سيهلك جسده حتما .. لكن هذا لن يحدث .. سيعيش علي المسكنات .. فقد فكر إن هذه الدنيا لا يوجد ما يجعله يتمسك بها ..

دار بنظره في الشقة الراقية .. و شفقة الروح تنهش جسده و روحه .. لا أحد من حولك يهتم لأمرك سيف .. وحيدا أنت حييت و منبوذا طوال حياتك حتى من والديك .. صنعت ثروة لتثبت لنفسك إنك موجود تضع بصمتك في هذه الدنيا تُذكر بوجودك دوما .. لكن ها أنت ستغادر الدنيا و لن يذكرك أحد .. و لا هذه الثروة التي صنعتها ستكون بطاقة تذكير لك ..

رثاء النفس التي تقوم به الآن لن يجدي نفعا . . يجب أن تفكر بحل لكل ما تفكر به . .
أغمض عينيه بألم . . و لسانه يتحرك بكلمات يتضرع لله برهبة . .
نهض بتثاقل ليهاتف بيت المزرعة و يخبر جده إنه لن يأتي اليوم للمزرعة و سيبيت في المدينة . . فهو بحاجة للكثير من التفكير . . و الكثير الكثيــر من الراحة . .

&&&&&&&

دارت في المنزل ككل يوم عادة اكتسبتها منذ قدومها للمزرعة و لم تمل أبدا . . الأجواء في المزرعة كانت في غاية الراحة و الهدوء التي تسللت إلى روحها . . فهذا ما أرادته و هذا ما وجدته . . روحها التي تعذبت دوما ها هي تجد السكينة . . كم مضى عليها هنا . . لم تعد تحصي الأيام . . فلم تعد تهتم . . لكنها مرتاحة . . مرتاحة جدا . .
اتجهت للطابق العلوي بعد أن اطمأنت على جدها فيما أخاها كان ينعم بنوم هادئ بعد أن تناول عشاءه . . سارت حتى وصلت لغرفتها . . توقفت للحظة عند باب غرفتها . . و نظرة منها خرجت عن السيطرة لتقع على باب غرفته المقفل . . لقد أخبرتها الخادمة إنه لن يأتي اليوم هنا و سيبيت في المدينة . .
منذ قدومها هنا و هي تتلقى منه المعاملة الطيبة . . متحملا جفاءها الدائم . . و الذي هو غطاء على عذاب روحها . . فيثبت لها دوما إنه تحت تصرفها و سيتحملها دوما المهم أن تكون بخير . .
و هذا ما جعلها تشعر بالخجل من نفسها و تبدل الأحوال لتصبح معاملتها له ألطف و أكثر هدوءا . .
للحظات شعرت بقلق عليه . . لكنها نفت ذلك بسرعة و هي تطرد أي فكرة للقلق و الخوف . . ثم تتجه إلى باب غرفته لترى ما

بوجد خلف الباب بفضول أنثوي بحت .. بتلصص كانت تدخل الغرفة و تغلف الباب خلفها ..
نظرت للغرفة ذات اللون البني و الأبيض .. و أشياءه مبعثرة هنا و هنا ..
ابتسامة لامست فمها و هي تفكر بكلمة واحدة مناسبة للغائب البعيد سيف "فوضوي " استغربت عدم ترتيب الخادمة لغرفته و هذا تقصير من جانبها .. مدت كفها تلقائيا لتمسك قميصه الملقى على جانب السرير .. و من ثم تضعه على شماعة الملابس .. توقفت كفها للحظة قبل أن تنزل كفها الممسكة بالقميص و تقربه بحركة مجنونة من نفها تتشمم رائحته .. حركة أدهشتها بشدة لكن رائحة العطر العابقة بالقميص مختلطة برائحة جسده كانت كفيلة لترتعش خلايا جسدها و ينتفض كيانها و مشاعر غريبة كانت تهاجم قلبها الصغير ..
بارتباك و اضطراب من تلك الحركة و من تلك المشاعر التي تختبرها للمرة الأولى كانت تعيد القميص بسرعة للشماعة و تغادر الغرفة خوفا من ظهور شبحه و اكتشاف ما يدور بخلجات نفسها ..
دخلت غرفتها بقلب ينبض نبضات سريعة حتى كادت أن تفقد إحداها .. خلعت حذائها بعد ان ألقت نظرة علي الصغير مؤيد و اندست تحت الأغطية تهرب من شيء لا تعرف كنهه .. أغمضت عينيها بقوة و الرائحة تهاجم خلاياها الشمية و تضطرب دقات قلبها المسكين .. في خضم تلك المشاعر كانت ابتسامة صغيرة تتلاعب على فمها الندي ..
&&&&&&&&&
_مؤيد .. مؤيد ؟!
نادت بصوت عالي نوعا ما .. و هي تدور

في الغرفة خاصتها .. و تبحث تحت منضدة الزينة .. ارتجف قلبها بخوف و هي تتساءل ..

_يا إلهي أين ذهب الفتى ؟؟

لم تعلم مكانه بعد .. فمنذ دقائق تركته يلعب بين ألعابه الذي أشتراها له سيف .. و اتجهت إلى الحمام لتقضي حاجتها و عندما خرجت كانت تجد الألعاب وحدها فقط .. نظرت للباب بشك .. لا يمكن أن يكون قد خرج من الباب .. لكن قلبها ارتجف بقوة و هي تفكر بالخطر الذي سيقابل الصغير .. خرجت سريعا و قلبها ينبض في عنقها .. لكن المنظر الذي امتثل أمامها جعل قلبها يتوقف و الشلل يصيب أطرافها ..

_لا يا صغيري .. لا تتقدم أكثر ..

فكرت بعقل سيجن .. و هي تنظر لمؤيد الذي يقف على حافة الدرج اللولبي يبتسم له بشقاوة كبيرة .. و يقول عدة كلمات غير مفهومة بقاموسها .. التمعت الدموع في عينيها و هي تغمض عينيها و غير قادرة على الحركة .. فلا فائدة من الحركة المسافة بينه و بينها كبيرة .. و ما أن تتحرك خطوة واحدة سيكون هو قد لقي حتفه على درجات السلم .. منتظرة سماع صراخه بعد أن رأته يرفع كفه التي كان يحبو عليها .. لكن ما سمعته هو صوت ضحكات عالية و صوت قوي يقول بتأنيب ..

_أيها الشقي كدت ستقبل درجات السلم بملامح وجهك ..

فتحت عينيها بصعوبة لترى الصغير يرتفع بالهواء بين ذراعي سيف ابن عمها .. سمعته يقول بنفس النبرة

_نحتاج لوضع الحواجز لك ..

ابتعد التوتر عنها ليحل محله التخاذل و بعد ان فقدت السيطرة على أطرافها كانت تشعر

سيقانها أصبحت مصنوعة من الهلام
فركعت على الأرض بصعوبة و نشيج قوي
يتعالى . .
لم تشعر إلا بكف وضع على كتفها يهزها
بخفة و يهدها بصوته الحنون قائلا برقة . .
_هدئي من روعك إنه بخير . .
_كدت أفقده . . كدت أفقده . .
قالت بصوت يجهش بكاء من خلف كفيها
المحيطة بوجهها . . لينخفض سيف قرب
جسدها و الطفل لا يزال في أحضانه ينظر
لإنهيار أخته دون أن يعلم ما بها فقط حزن
اعتلي وجهه لصوتها الباكي . . و دموع
مهددة بالسقوط و هو يسمع صوت
البكاء . .
_ريداء . . الصغير خائف . . سيبكي . .
قال ذلك و هو يعرف إنها ستوقف البكاء
من أجل أخاها . . رفعت كفيها و مسحت
دموعها الغزيرة بأناملها الناعمة قبل أن تنظر
لأخاها محمولا على ذراع سيف الذي
أرسله الله لها لينقذ أخاها . .
_أنا ممتنة لك لإنقاذه . . لا أصدق إنه لم
سقط . . أنت هبة أرسلها الله لي . .
شكرا سيف . .
قالت و هي تحتضن أخاها مؤيد الذي
احتضن عنقها بحنان لامس شغاف قلبها
. . قبلت وجهه بجنون قبل أن توجه انتباهها
لسيف الذي قال بهدوء
_على الرحب ابنة عمي . .
نظرت له مطولا و قد تخطت فكرة سقوط
أخيها لتتساءل بفضول . .
_أين كنت طوال الأربعة أيام الماضية ؟
رفع حاجبا مندهشا من سؤالها المفاجئ له
. . ليقول بتهكم . .
_هل تقولين إنك اشتقت لحضوري ؟ ؟
من مكان مجهول العنوان كانت الدماء تندفع
لوجنتيها . . و قد فقدت القدرة علي

الغضب لسؤاله المتهكم .. قالت بدفاع لأنها فعلا اشتاقت له ..

_لقد سأل عنك جدي ..

_سأذهب لأراه الآن ..

قال ذلك قبل أن يلقي عليها التحية و يغادر رغم مناغاة الصغير له .. لكنه لم ينتبه له .. كما لم تفعل هي أيضا ففكرها مشغول بتأنيب نفسها لسؤالها الأحمق ..

&&&&&&&&&

سارت من قرب غرفته بعد أن قضوا اليوم بأكمله في الحديث العامة مع الجد .. لقد أنهوا طعام العشاء قبل ساعتين .. و بعد أن ذهب مع الجد لغرفته اتجهت هي لغرفتها لتهتم بالصغير .. و بعد نصف ساعة كانت تسمعه يتجه إلى غرفته .. حبست أنفاسها و هي تسمع صوت خطواته الكئيبة .. هي كئيبة فعلا .. فمنذ أتى اليوم و هو عاقد الحاجبين نظراته سوداء قاتمة .. حديثه مع الجد كان مقتضب .. كان كئيب جدا .. ملامحه جامدة قاسية رغم التعب البادي علي وجهه .. فكرها لم يكف عن السؤال عما حل به .. لكنه لم يلقي عليها نظرة واحدة ..

و ها هي بعد مضي ساعة و نصف شعرت بنفسها عطشة فاتجهت إلى المطبخ و في طريق عودتها سمعت صوت صادر من غرفته .. وقفت قرب الباب تنصت لصوته المتألم .. فكرت أن تطرق الباب .. لكن شجاعة كبيرة استوطنت قلبها و جعلتها تفتح الباب و تتسلل إلى الداخل .. وجدت قميصه ملقى على طرف السرير .. و حذائه الجلدي ملقى بعشوائية على الأرض..

سمعت صوت ألم في الحمام .. صوت اجفل له قلبها .. تقدمت أكثر حتى وجدته مخفضا رأسه في حوض الحمام .. و يحاول

أن يتقيأ بألم . .
_سيف ؟؟
قالت بهمس ليتجمد جسده أمامها و يقف بصعوبة . . لم يدر وجهه لها . . بل غسل وجهه بسرعة و قام بتنظيف الحوض من أثر الدماء . . قبل أن ينظر لها من فوق كتفه و المياه تقطر من وجهه تقطيبة تعلو جبينه و هو يقول بسخط
_ما الذي تفعلينه هنا ؟؟
ارتجف قلبها بين أضلعه و هي تردد بتوتر . .
_لقد سمعت صوت صادرا من هنا . . هل أنت بخير ؟؟
أمسك المنشفة المعلقة عند الباب و دون أن يبذل جهدا في تغطية صدره الواسع و الذي جعل منظره بهذا الشكل تطير الدماء في عروقها كعصفور صغير . .
_أنا بخير . . عودي لنومك . .
قال بصوت جاف و هو يرمي المنشفة على طرف السرير بعد أن جفف وجهه . . نظرت للفوضى التي تعيث بالمكان قبل أن تمد كفها تلقائيا و تمسك قميصه و المنشفة و تعلقهم في مكانهم المخصص . . و تقول بعدم انتباه لما فعلته . . و لنظراته المندهشة من فعلتها . .
_سأصنع لك كوب حليب دافئ . . و لا تعترض . . تبدو في حاجة ماسة لشيء دافئ . . و الحليب مفيد جدا . .
_أنا لست مؤيد ريداء . .
ابتسمت ابتسامة رقيقة عذبة على صوته المتذمر . . لتقول بتعنيف رقيق . .
_ليتك كنت هو . . كنت سأجبره على شربه . . سأعود بعد لحظات . . من الأفضل أن تجلس في فراشك فالجو بارد . .
قالت ذلك و هي تخرج من الغرفة متجهة للمطبخ . . تحت نظراته المستغربة و المندهشة من أفعالها . . لم تقف معه يوما

للحديث عامة .. فما بالها اليوم تتحدث
معه بل و تهتم به ..
الاهتمام .. ذاب قلبه لهذه الكلمة التي لم
يشعر بها يوما .. فمن هو ليقدم له بعضا من
الاهتمام .. حتى جده العجوز لم يسمح له
يوما أن يقترب منه بهذه الصورة .. فهو من
كان يقدم الاهتمام لا العكس .. فجده
سرعان ما انهار بسبب موت ابنه الآخر
والد ريداء .. و كان على سيف أن يكون
قرب جده .. كامتنان له على ما فعله به
بعد ان تبرأ منه والده .. كان جده
الشخص الذي قدم له يد المساعدة و لم يدم
الامر كثيرا حتى سقطت قوى جده ..
اخرجه من ذكرياته ذلك الألم الذي اخترق
عظامه .. و رأسه يؤلمه ..
دخل فراشه كما أخبرته ريداء .. بعد أن
خلع سرواله الأسود و رماه على الأرض ..
ما هي إلا دقائق حتى عادت ريداء بكوب

كبير من الحليب .. ليقول بتذمر منزعج
_لقد كبرت على شرب الحليب يا فتاة ..
_أنت متعب و هو مفيد جدا .. الحليب لا
دخل له بالعمر أيها العجوز ..
قالت بتهكم و هي تسمع صوته المتذمر و
تمد له بكوب الحليب ..
_اشرب الكوب كله .. و خذ قسطا من
الراحة .. و يمكنك غدا أن تبقى هنا ..
العمل لن يتدمر من دونك ليوم واحد ..
أمسكت سرواله الملقى على الأرض و
وضعته مكانه .. ثم اتجهت إلى الباب لتقول
برقة و تمنحه ابتسامة ناعمة ..
_تصبح على خير و أحلاما سعيدة ..
قالت ذلك و هي تغلق الباب خلفها تاركة
خلفها الرجل الصامت بل المذهول من أفعالها
.. الغزالة الجبانة لم تعد جبانة .. فكر
بابتسامة و هذا سيخدم مخططاته ..
رشف الكوب كله و وضعه قرب السرير

قبل أن يتمدد في السرير و يرجى النوم أن يتجه لعينيه .. ليريحه من عذاب ألمه ..
في غرفتها اخيرا هاجمها الوعي لأفعالها التي بدرت منها اشتعلت خديها بالدماء التي ضخت في عروقها بقوة .. قضمت شفتها السفلي بخجل
_يا إلهي .. ماذا فعلتِ ريداء ؟؟
هتفت بخجل و هي تمسك خديها المشتعلتين كالنيران .. و من مكان مجهول كانت مشاعر إيجابية تسعدها و يتراقص لها قلبها بين ضلوعه الرقيقة ..

&&&&&&&&&

في صباح اليوم التالي كان يأخذ بنصيحة ريداء و يبقى في فراشه بعد أن تناول مسكن قوي جعله يريد النوم لوقت طويل .. حتى وقت متأخر ..
أما ريداء فكانت تسير بغير هوادة بسبب ما حل بأخيها الصغير و بكاءه المستمر .. درجة حرارته التي ترفض أن تنخفض .. و أنينه دون أن تعرف ما عليها أن تفعله .. و كيف تتصرف ..
أخبرت الخادمة إنها لا تستطيع أن تتناول الطعام مع جدها .. تماما كما فعل سيف و اضطر الجد لأن يتناول طعام الغذاء في غرفته ..
في المساء كان الصغير يبكي بقوة .. و هي تحاول منع نفسها من الانهيار بسببه ..
تحاول خفض حرارته بكمادات باردة ..
لكن الصغير لم يشفى بعد .. و يرفض تناول طعامه و حليبه .. كانت دموعها تتساقط بضعف .. بسبب ضعفها أمام دموع أخاها ..
طرقات علي الباب الخاص بغرفتها ..
لتهتف ريداء بضعف
_تفضلي ..
كانت تظنها الخادمة .. لكن من ظهر

من خلف الباب كان سيف .. الذي نظر لها باستغراب و قلق ..

_ما بكِ ريداء و ما بال الصغير يبكي ؟؟

_سيفَ أنجدني .. انا لا أعرف ما به .. إنه لم يكف عن البكاء و حرارته مرتفعة لا تنخفض ..

قالت بلهفة و هي تسير بسرعة و الصغير بين ذراعيها يبكي بقوة .. و وجهه محمر من كثرة البكاء ..

_اهدئي قليلا .. هاتي الصغير لنذهب به للمشفى .. قبل أن يصيبه الخطر ..

فارتفاع الحرارة أمر خطير ..

بسرعة كانت تسير خلفه بعد أن اخذ الصغير منها .. لم تنتبه لشيء و كلمة خطر ستقتل آخر تعقل في عقلها .. كان سيف قد أخبر الخادمة أن تخبر الجد إنه متجهين للمشفى و أن تهتم به ريثما يعودان ..

فتح لها السيارة بسرعة و انتظرها حتى جلست ثم وضع بين أحضانها الصغير .. دار خلف السيارة ليجلس خلف المقود ..

لم يمر الوقت الطويل حتى كان يصل إلى المشفى و الصغير لم يكف عن البكاء ..

أوقف السيارة في رواق المشفى و سار بسرعة بعد أن أخذ الصغير من بين احضانها خوفا من سقوطه لانهيارها ..

_أيها الطبيب .. الصغير مريض و درجة حرارته مرتفعة ..

قال سيف بسرعة و خوف ريداء انتقل لقلبه .. تناوله الطبيب المناوب و هو يقول بهدوء ..

_لا تقلق سنرى ما به من خطب ..

ثم اختفى خلف احدى غرف الطوارئ ..

وقفت قربه لا تعرف التصرف .. كفها موضوعة على فمها تحاول كبت شهقاتها الباكية ..

_اهدئي ريداء .. هو بخير بين أيدي الطبيب ..

_أنا لا أستحق أن أتكفل بتربيته .. أنا لا أعرف التصرف ..

قالت بانهيار و هي ترتكز علي الحائط خلفها .. تهتف بصوت باكي .. ليقول سيف بتأنيب ..

_لا داعي لكل هذا ريداء .. الصغير بخير..

_كان يجب أن أضعه في الملجأ فهناك ستكون حياته بخير ..

_ريداء .. هذا كلام فارغ .. حياة الملجأ ليست كما تتخيلينها صدقيني .. مؤيد يعيش بأمان في أحضانك .. الآن سيخرج الطبيب و يخبرك إنه بخير ..

قال بتقريع لها يحاول أن يراعي شعورها .. لكنها تقول كلام غير مفهوم و أحمق .. هي فعلا لا تتخيل حياة الملجا القاسية .. أيام عاشها هناك كانت كالجحيم ..

بعد دقائق من الانتظار كان الطبيب يخرج بكل هدوء و يقول براحة

_لقد أسعفنا ابنكم .. الحرارة كانت مرتفعة إنها نزلة معوية و هو لا يملك المناعة الكبيرة بالتأكيد .. هو الآن بخير .. سيبقى هنا ليومين ثم سيغادر .. يجب أن تهتموا به جيدا .. النزلة المعوية ناتجة عن التلوث ..

قال ذلك و غادر ليكمل مناوبته .. نظرت ريداء لسيف لتقول بانتحاب ..

_أرأيت .. لقد قال تلوث .. أنا لم أهتم به جيداً .. كيف لصغير لا يزال يحبو أن يتلوث؟؟

_آه يا إلهي "هتف سيف بغير صبر" ها أنتِ قلتها يحبو .. هذا أكبر سبب يجعله يصاب بالتلوث .. من الآن فصاعدا سنهتم بالبيئة المحيطة به .. فقط اهدئي و جففي دمعك يا عزيزتي ..

في وقت آخر كانت تمسك بكف الصغير الموضوع بها حقنة المغذي .. و تقبله و تردد على مسامعه أسفها و اعتذارها .. تركها سيف قليلا ليهاتف الجد و يطمئنه ثم عاد لها و معه القليل من الطعام حتى تتناوله فهي لم تتناول شيء منذ الصباح ..

&&&&&&&

خرج من سيارته بعد أن ركنها بقرب المنزل الموجود بمزرعته .. انتظر حتى أتى الحارس ليدخل السيارة في الكراج الخاص به .. سمع صوت الطفل الصغير يهمهم بكلمات غير مفهومة .. قطب حاجبيه مستغربا و هو يسير باتجاه الصوت ليجد مؤيد يجلس في مقعده المحكم الإغلاق يقيد حركته .. إنها فعلا تقيد حركته حتى لا يصاب بالتلوث مرة أخرى ..

هي حريصة جدا عليه .. خاصة بعد تلك الأزمة التي لازمت الصغير قبل عشرة أيام ..

أيام قضاها بقربها و قرب الصغير .. يهتم بهم و يراعيهم .. فقط هي الأيام الثلاثة الماضية فكر إنه بحاجة للاختلاء بنفسه بعيدا عن تأثيرها على عقله و قلبه و مشاعره .. بحاجة للتفكير بها و بهذا المرض الذي ينهش بعظامه و جسده .. و قد اتخذ القرار أخيرا ..

تقدم من الصغير الذي كان يناغي فراشه تحوم حوله و تغيظه ليمسكها فيما هو عاجز عن الحركة .. ابتسم للطفل الصغير الذي تهللت أساريره بقوة و هو يرى منقذه أمامه .. رفع ذراعيه في محاولة متحدثة غير مفهومة يطالبه بحمله و فك أسره من المقعد الخانق ..

تقدم من الطفل و انخفض لمستواه متسائلا عن مكان أخته و عن وجود الصغير وحيدا في الحديقة .. لم يطل تساؤله كثيرا و هو يتقبل ذراعي الصغير الذي التف حول عنقه بل و شبك أنامله الصغيرة في خصلات شعر

سيف القصيرة الكثيفة ..
_اهدأ .. سأفك قيدك ..
قال سيف بحنان و ابتسامة تزين وجهه .. و كأن الصغير قد فهم كلامه فقد كف عن الحديث بكلماته التائهة و حروفه المتلاعبة..
يحب الصغير جدا .. يحبه لأنه مثله تماما عاش في وضع كوضعه .. في يوم كان يطلق عليه الطفل اللقيط .. لكن كل هذا مضى بفضل جده .. لكن في ذلك الوقت لم يكن هناك من يدافع عنه و يحمي قلبه و نفسه من كلام الناس التي كانت تنزل على جلده كضربات السوط .. الصغير محظوظ بوجود أخته التي تحبه و ستحميه من كل شيء قد يمسه و يصيبه بضرر ..
سيف سعيد جدا إن مؤيد لن يواجه في حياته ما واجهه سيف .. سيلاحقه بعض الكلام أكيد لكنه سيكون أقوى .. سيكون أقوى بوجود من حوله يساندونه ..
رفع الصغير بين ذراعيه .. ليطلق الأخير ضحكاته الجميلة و الشقية ..
_إنه سعيد برؤيتك ..
نظر لمصدر الصوت ليجدها تقف كالشمس المشرقة و قد ساعدها جو المزرعة على النضارة و الحيوية .. اكتسبت بعض السمرة و شعرها ازداد لمعانا فبدت شمس حياته التي يتمناها و هي بعيدة المنال .. ابتسم لها مبعدا تأثيرها الكبير عليه .. قائلا و هو ينظر لمؤيد بين ذراعيه ..
_و أنا أيضا سعيد به .. له تأثير كبير على .. "كما أخته .. أكمل في عقله صامتا ..
ليردف مستغربا "كان وحده ..
رفعت حذاء صغير في كفها .. تقول بابتسامة ..
_ذهبت لأجلب حذاءه .. أريده أن يسير قليلا ..

_هل بدأ المشي ؟
تساءل باستغراب و هو ينظر للصغير الذي يلعب بجيب قميص سيف الأبيض ..
لتبتسم ريداء و هي تسير لحيث يقف حاملا أخاها .. لتقول و كفها تحاول إدخال قدم الصغير في حذائه ..
_إنه يحاول .. يسير قليلا مرتكزا على الأثاث لكنه يسقط من جديد .. يحتاج للتمرين الدائم .. ها قد ارتدى حذائه .. ستراه يسير الآن ..
رفعت رأسها لتنظر له بعد أن كانت منكبة على قدم الصغير الذي يقبع في أحضانه تلبسه حذائه .. و قد كانت قريبة جدا منه .. فوجئت بنظراته الموجهة لها .. نظرات أثارت الكهرباء في جسدها .. و مشاعر جمة تلاعبت في قلبه .. تلك اللمعة في عيونه كانت توترها و ترتجف لها أوصالها ..

لم تدرك مدى تأثيرها عليه كما لا يعلم مدى تأثيره عليها .. بلعت ريقها و هي تبحث عن ابتسامة بلهاء تزيح عنها التوتر .. مدت كفها للصغير الذي قفز لأحضانها سريعا .. لتتراجع قليلا للخلف ثم تضع الصغير على الأرض .. و تقول محدثة سيف ..
_افتح ذراعيك و قل له تعال ..
نظر لها سيف للحظات ظنت إنه لم يسمعها .. لكنه كان ينخفض بجسده و يجلس القرفصاء مادا ذراعيه للصغير الذي كان يتراقص بوقفته قبل أن يقول
_تعال مؤيد ..
تركت ذراعي الصغير الذي سرعان ما كان يسير بخطواته الصغيرة و السريعة المتهورة متهاديا إلى ذراعي سيف و تتبعه ريداء بحذر حتى تتلقفه بسرعة في حال اختل توازنه و سقط .. أخيرا تلقفه سيف بسرعة مبهوتا لسير الصغير ..

_لقد غبت طويلا إذا ..
قال بدهشة و هو يمسك الصغير بين ذراعيه .. لتبتسم ريداء و هي تقف قربه تنظر لهما .. لا تستطيع معرفة ماهية المشاعر التي تضرب حواجز روحها و حصون قلبها ..
_أجل .. لقد غبت طويلا .. لكن الأطفال صغار السن ينمون بسرعة كبيرة ..
نظر لها و هي تقف قربه و عقله يردد بعذاب " و أنت تزدادين حلاوة بسرعة أكبر"
_مؤيد يريد اللعب .. فقد استيقظ منذ لحظات و هو في قمة نشاط ..
قالت تبعد أي تفكير أحمق بعد تلك الكلمات التي نطقت بها .. كيف يمكنها أن تقول إنه غاب طويلا .. ألم تتمنى سابقا لو لم تراه ! لكنها اشتاقت له .. شعور بأن الحياة عادت لها منذ رأته قبل لحظات يلاعب أخاها جعلها تدرك أنها كانت تفتقده بشدة ..
_إذا لنلعب سويا ..
قال بمرح و هو يدغدغ الصغير بأنامله .. لتقول معترضة باهتمام و قلق ..
_لكنك جئت من سفر .. لابد تحتاج للراحة ..
_أنا في قمة نشاطي ..
قال و قد تجددت الطاقة في جسده .. لا يعلم السبب .. رغم إن المرض يجعله منهك القوى .. لكن يبدو إن مرآها سعيدة جعلت التعب و الإرهاق يهرب من جسده..
هزت كتفيها باستسلام و اتجهت لجلب الكرة الصغيرة و الذي يحبها أخاها .. بدئوا بلعب الكرة تحت صوت ضحكاتهم الثلاثية ..
فقد بدوا سعيدا جدا بضحكات الصغير المرح و الذي لا يعلم بعد ما يدور في العالم من حوله .. كل همه إمساك الكرة التي تدحرج

بين قدميه الصغيرتين و قدمي أخته . .
حمله سيف و بدأ بالركض بعيدا عن ريداء
التي تحاول إمساكهم . . و تحت أصوات
الضحكات العالية و المليئة بالمرح . . كانت
ريداء مستمتعة بلمس كف سيف أو لمس
ذراعه . . تعجبها الكهرباء الناتجة عن ذلك
التلامس . . كأنها كانت بحاجة لفرصة
لتلمسه و تشعر بوجوده . . أما هو فقد كان
يستغل الفرص أيضا ليشعر بملمس كفها الذي
تبعث في جسده شعلات نارية و تزيد من
عذابه و عذاب قلبه . . قلبه الذي كان
يرفرف حوله بسعادة . . سعادة حقيقية
شعر بها لأول مرة في حياتها . . سعادة
سببها و أخيها . .
أخيرا كان اللعب يرهقهم و كان واضحا
علي سيف الذي بدا متعبا جدا و خائر
القوي رغم عدم إظهار ذلك . .
نام كلا من سيف و مؤيد تحت شجرة

علي العشب الأخضر غير عابئين بثيابهم التي
ستتسخ . . يضع الطفل فوق صدره الضخم
. . يتوسده براحة . . لينام الصغير مستمتعا
بهذه الراحة و غير عابئ بشيء . . أما
سيف فكان يستسلم للنوم و يضع ذراعيه
تحت رأسه . . و تحت نظرات ريداء
المراقبة و التي كانت الفرصة أمامها للنظر
لسيف دون أن يمسكها متلبسة . .
كبحت اناملها بصعوبة كي لا تمررها علي
ملامح وجهه الجذابة الوسيمة . . لحيته
الخفيفة و التي تزيد من عذابها . . أنفه
المعكوف بطريقة غير مرئية إلا لمن يدقق في
النظر له . . جفونه المنسدلة و رموش عينيه
الطويلة و التي تنام بأريحية على خديه . .
تعذبانها و تحدداها أن تقترب و تلتمس
عينيه . . بل و تمرر أناملها في خصلات
شعره السوداء و التي تهدلت بعضها على
جبينه بنعومة . . ابتلعت لعابها بصعوبة . .

مندهشة بل مصعوقة من أفكارها .. باتت كحمقاء صغيرة .. هل يعقل إن هذا سيف الذي كانت تكرهه ولا تطيق مرآه ؟؟ لم يتغير به شيء بل هي التي تغيرت بقوة .. هل كانت حمقاء .. عمياء لكي لا تفرق بينه و بين حداد الغبي .. غبية .. كان أمامك دوما و كنت كالعمياء تسيرين خلف سراب .. عضت باطن شفتها السفلية بسخط من نفسها .. دائما ما كانت تغضبه و تفضل حداد عليه .. لم هذا التأنيب الآن ؟! تؤنب نفسها و تسخط على روحها كأنه يحبها و يريدها ..

ابتسمت بسخط و حنق .. تهتف لنفسها بعصبية " تدورين في حلقات دائرية لا نهاية لها .. بل تتخبطين في هذه الدنيا .. و لم يكفيك صدمة حداد .. ليتعلق قلبك هذه المرة بقوة في حب هذا الرجل القاسي .. مشاعر لم تخوضها من قبل و ها هي تختبرها بقربه .. "

أربكها نظراته بلون الفضة الداكنة و الشبيهة بالرصاص التي اتجهت إليها علي غفلة من أفكارها .. جعلت الاحمرار يعتلي وجهها بخجل كأنه قد ضبطها بأفكارها التي تخصها به ..

حاولت ان تبتسم .. لكنها خرجت مرتعشة .. مرتبكة .. شعرت به يريد التحرك .. من نظرته المطولة و التي اربكت دواخلها .. ثم نظرته للصغير .. مدت كفها لتأخذ مؤيد من على صدره .. و قد انزعج الصغير من حركتها قبل أن تضعه بين ذراعيها بطريقة مريحة له لكنها متعبة لها ..

_ما كان يجب أن تأخذينه ..

ابتسمت و هي تقول بارتباك .. و الصغير بين أحضانها ..

_لا بأس ..

اعتدل في جلسته و قريبا منها يقول بهدوء

و نظراتها شعرت بها مرتبكة مضطربة ..

_ريداء .. أحم ..

قال بصوت متردد و هو ينظر في أرجاء الحديقة .. يحاول تجميع أفكاره ..

_ماذا ؟؟

سألت بهدوء و فضول كبير .. لكنه صمت مطولا قبل أن يقول اضطراب يعيشه لأول مرة و قدرته على الحديث كانت قد هربت منه ..

_هناك أمر أريد أن أحدثك به .. لكنني أشعر بالاضطراب قليلا .. و هذه المرة الأولى التي يحدث لي ذلك ..

قال بابتسامة مخففا من توتره و تردده ..

قطبت حاجبيها و هي تقول بفضول مختلط ببعض القلق ..

_هل هناك أمر خطير ؟؟

_لا " هز رأسه بسرعة قبل أن يكمل بهدوء " أنا فكرت مطولا و لم أعرف إن كان يجب

أن أحدثك أولا أم أخبر جدي .. لكنني فضلت حديثك فأنت صاحبة القرار و الاختيار .. " صمت قليلا قبل أن يقول بصوت هادئ مفعم بالسيطرة .. و قد سحب أنفاسا متعددة لتعيد الهدوء لروحه الثائرة " ريداء تزوجيني ؟؟

فتحت عينيها على وسعهما و شهقة خرجت من فمها لم تستطيع التحكم بها .. خديها اشتعلتا بالدماء التي توهجت في عروقها من الخجل و الصدمة .. لا تصدق ذلك .. خجلها و صدمتها جعلتاها غافلة عن لغة الأمر في السؤال .. فهو لم يطلب .. بل كان بصيغة الأمر .. هو لم يطلب من قبل .. لم يعتد الطلب .. لكن رحمة له لم تنتبه لذلك ..

كانت عيونها تدور في الأرجاء بتوتر و خجل .. بل باضطراب شديدة .. قضمت شفتها السفلية بخجل تمنع ابتسامة حمقاء

ستظهر عن قريب .. وجدته يقترب منها ليقول مكملا بنفس النبرة الهادئة لكنه الآن يحاول إخفاء التوتر

_لا أعرف الكثير من الكلام ريداء في مثل هذه المواضيع .. يجب أن أخبرك بكلام و مديح عني .. لكنني لا املك مثل تلك الكلمات ..

قالها باستخفاف .. فهو حقا لا يملك كلمات مديح عن نفسه .. فهو في دواخل نفسه يجده لا يستحقها .. ريداء في نظره و مفهومة تبدو كالملاك و هو اختبر الكثير من الشرور في حياته ..

_لا داعي للكلام ..

هتفت بهمس تبعد عنه أي تفكير أحمق في نفسه .. فهو لا يحتاج للكلام .. انها تعرفه منذ زمن .. و في الأيام الماضية كانت خير دليل .. سمعته يقول بهدوء و هو يمد كفيه ليأخذ الصغير من أحضانها ..

_لديك الوقت للتفكير جيدا ريداء .. يجب أن نأخذ الصغير إلى فراشه حتى لا يصاب بنزلة برد ..

قال و هو يتحرك باتجاه المنزل و الصغير بين ذراعيه و قد تركها خلفه تحاول لملمة روحها المبعثرة باضطراب لطلبه الذي صدمها .. فكر إنه يشعر بنفسه كالأحمق .. أحمق بالفعل .. لم يعرف الطريقة للحديث معها .. و طلب الزواج .. سحب نفسا قويا و روحه تتمنى أن توافق .. يريد ان يقضي ما تبقى من حياته بين ذراعيها ..

يحتاج لذلك ..

انتهى الفصل الثاني

أحتاجك

جلست على السرير تراقب نوم أخيها الهادئ .. فكرها ليس هنا .. كانت تدور في دوامات عديدة .. تفكر و تفكر و تفكر .. إنها لا تزال تحت تبعات الصدمة بطلبه .. هو ليس بالطلب الغريب بين البشر .. لكنه غريب عندما خرج منه هو .. لا تزال مصدومة منه ..

لقد كانت قبل لحظات قليلة من طلبه تفكر به و تأمله .. أن تكون له و يكون لها .. كان أكثر من أن تتمنى .. هل سترفض طلبه ؟؟

سألت و هي تفكر فيما بعد الرفض .. فإن رفضته لن تستطيع البقاء هنا تحت سقف واحد .. بل ستضطر للعيش وحيدة مع أخيها بعيدا عن جدها لأنه متعلق جدا بحفيده سيف ..

أخيها ؟؟..

نظرت له يحرك شفتيه و فمه كأنه يأكل و هو

الفصل الثالث

نائم . .
فكرت هذه المرة بأخيها . . هو بحاجة لرجل في حياته . . يوجهه . . يساعده . . بل يقف معه عندما سيواجه حقيقته المرة . .
رفعت عينيها عن أخاها قبل أن تعود لتفكر بنفسها . . هي ايضا بحاجة لرجل . . الأيام الماضية خير دليل على معنى كلمة الرجل التي تحتاجه . . كان خير عون عندما مرض أخاها . . إنها تحتاجه . . حاجة عميقة اتجاهه للبقاء قريبة منه و قضاء بقية حياتها بكنفه . . و هذه تكفي . .
زوجته . . زوجة السيد سيف . .
ابتسمت لوقع الكلمة التي خرجت من فمها بخجل . . لقد انتهى الأمر و حسم . .

&&&&&&&&

في اليوم التالي كان قد عاد من عمله . . لم يرها منذ أخبرها بطلبه أو بما يسمي طلب . . فكان قد تحاشاها طوال ليل البارحة و نهار اليوم . . و قلبه مشتعل كالجمر في انتظار ردها . .
وضع حقيبته السوداء في مكتبه ثم توجه إلى جده بعد أن سأل عنه و عن مكان ريداء فأخبرته الخادمة إنها في الغرفة خاصتها مع مؤيد . . قرع قلبه بشدة ترددها هذا يخبره إن النتيجة سيئة تماما كاختبار المرض الذي كان لمدة أسبوع . .
طرق على باب غرفة جده . . ليسمح له الجد بالدخول . . رسم ابتسامة باهتة علي شفتيه و هو يقابل وجه الجد الذي ينال قسطا من الراحة . .
_كيف حالك جدي ؟؟
ابتسم له الجد وهو يدعوه للتقدم أكثر قائلا ببهجة
_بأفضل حال بني بعد رؤيتك . .
دارت أحاديث عادية بسيطة بين الرجلين . . و فكر سيف أن يقاسم جده خبر

خطبته لريداء .. لكن فكر آخر يخبره ان
يتريث قليلا ..
_جدي .. لقد طلبت الزواج من ريداء و
أنا في انتظار ردها ..
قال فجأة للجد الذي صدم بحق من هذه
الكلمات ثم تهللت أساريره بفرحة و هو يقول
_حقا بني ؟؟ هذا يوم سعدي .. أن يتزوج
حفيداي .. هل أسألها الجواب ؟؟
قال جده و هو يرى نظرات التوتر في عيني
حفيده .. ليسارع سيف بالقول ..
_لا جدي .. لا اريد الضغط عليها .. و
لا تظهر لها إنك تعلم لكي لا تتسبب لها بأي
إحراج ..
ابتسم الجد بسعادة و حنان و هو يربت علي
كف حفيده و لسانه يبتهل بالدعوات الراضية
.. طرق الباب لتظهر الخالة فضيلة من خلفه
تقول بهدوء ..
_العشاء جاهز هل يريد الجد تناول العشاء
في سريره ؟؟
ليرد الجد و سعادته تتراقص في الأرجاء ..
_لا فضيلة .. سأتناوله مع حفيداي ..
أخبري ريداء أن تشاركنا طعام العشاء ..
أخبريها اننا بانتظارها ..
ابتسم له سيف و هو يقول بتذمر مزيف ..
_جدي ألا يوجد فائدة ؟؟
_لن نتحدث بذلك الموضوع ..
قال الجد ببراءة و الخبث يلمع في عينيه .. و
ضحكات غير مصدقة تخرج من فم
سيف ..
بعد ذلك كان سيف يساعد الجد في الوصول
لطاولة الطعام و ما هي إلا لحظات حتى
ظهرت ريداء و التوتر يشمل جسدها
.. ترتدي ثوب باللون البني يصل لأسفل
ركبتيها .. بأكمام تصل لمنتصف ذراعها
.. محتشم نوعا ما .. عدا ساقيها
البيضاء الظاهرتين من أسفل الثوب ..

شعرها مسرح بجديله صفراء بنية علي احد أكتافها .. تفرك كفيها بخجل و توتر دون أن تجرؤ على رفع نظراتها له .. وجنتيها البيضاء و التي اكتسبت بعض اللون في الأيام الماضية كانت تتلون باللون الأحمر من شدة خجلها و حياءها ..

_أهلا بنيتي .. منذ متى لم أراكِ ؟؟

رحب بها الجد و هي تجلس علي المقعد قبالة سيف .. لتهتف بهمس ..

_ليلة أمس جدي ..

نظرات سيف تجاحها .. تشعر بها تحاصر كيانها و قلبها .. فيما نظراتها تضطرب و تسير بغير هوادة على محتويات المائدة أمامها .. لا تجرؤ حتى على رفع رأسها ..

بأنامل مضطربة و معدة معقودة كانت تتناول طعامها أمامها ..

كانت الأحاديث هادئة تدور بين الجد و سيف .. لكن سؤال الجد الذي أثار انتباهها بسؤال سيف عن عمته و عن حداد الذي لم يظهر منذ قدومهم للمزرعة ..

رفعت رأسها لتنظر لسيف الذي كان شاهدا على إذلالها و تدرك إنه يعلم بحبها الغبي لحداد ..

_لم أرى حداد منذ زمن ؟! هل هناك أخبار عنهم سيف ؟؟

سأل الجد .. ليرفع سيف نظره يراقب ردة فعلها .. كما فعلت هي .. كانت النظرات الحادة منه تطلق باتجاهها كأنه يتهمها إنها سبب ذلك السؤال .. نظراتها كانت هادئة .. تنتظر رده ..

_بخير جدي .. لديه امور جديدة في الأيام القادمة بإذن الله ..

أجاب ببرود .. و هو يعود لينظر للطعام أمامه .. و يكمله من جديد و قد فسر نظراتها مهتمة بمعرفة اخباره .. و لم يعلم إنها لم تعد تهتم بحداد كحبيب ..

في غرفته كان يقاتل أزرار قميصه اللامعة ..
غضبه يشتعل في جنبات قلبه .. زفر بقوة
يحاول .. بل يصارع في نفث الغضب عنه
.. و عقله المغيظ يهتف له إن لا داعي لكل
هذا الغضب .. فهي لم تقم بأي رد ..
هي فعلا لم تقم بأي رد فعل عندما أتى على
ذكر حداد .. و هذا ما يغضبه أكثر ..
سحب نفسا غاضبا قبل أن يسمع طرق
الباب بطرقات جبانة .. تخبره عن صاحبة
تلك الطرقات ..
خرج صوته باردا جافا يقول
_تفضل . . !
فتح الباب بهدوء و ظهرت من خلفه ريداء
و هي لا تزال مرتدية نفس ثوب العذاب الذي
كانت ترتديه على العشاء قبل ساعة ..
توترت بشدة و زادها توترا و اضطرابا رؤيته
عاري الصدر و بدون قميص .. اشتعلت
وجنتيها خجلا و هي تشيح بنظرها بعيدا
لمرآه قائلة بتوتر ..
_سيف .. أريد التحدث معك ..
هذه الكلمات لا تبشر بخير إطلاقا .. لوي
فمه بابتسامة ساخرة و قد علم ردها مقدما
.. اتجه لقميصه الذي ألقاه على طرف
السرير بعنف قبل لحظات .. ارتداه ..
قال هو يقفل عدة أزرار يخفي القليل من
صدره .. مرددا بجفاف ..
_أسمعك ..
صمتت قليلا بعد تلك الكلمة و هي تحاول
استجماع الكلمات .. تقول بتوتر و عيونها
تدور في أرجاء الغرفة ابتعادا عن حصار
عينيه ..
_سيف . ! سيف أنا . ! !
سحب نفسا قويا قبل أن يقول ببرود رغم
اشتعال القهر و الألم في قلبه ..
_قوليها ريداء .. اعتدت الرفض
صدقيني ..

www.liilas.com

قال بألم و ابتسامة ساخرة يتجاهل ألمه . .
ارتفعت نظراتها مستغربة تقول بدهشة
_الرفض ؟؟ لقد جئت أخبرك إنني . . إنني
موافقة . .
قالت كلماتها الأخيرة بهمس و هي تخفض
رأسها من جديد بخجل و قد نطقت الكلمة
. . تجمد لحظة . . "هل قالت موافقة ؟؟"
سأل بذهول . .
_ماذا ؟؟ أنتِ موافقة ؟؟
ابتلعت ريقها بصعوبة و هي تهز رأسها
بالموافقة . . جموده لم ينتهي و هو يراها تهز
رأسها . . "موافقة . . هي موافقة . .
هناك قبول في حياته . . قبول بإرادتها . . لم
يجبرها أحدا على تقبله في حياتها . ."
_موافقة ريداء ؟؟ موافقة على الزواج
بي ؟؟
_أجل سيف . . لكن هناك شرط . .
قالت و وجنتيها تشتعلان بمزيد من الاحمرار

و تعض شفتيها بحياء . .
لا يزال تحت صدمة السعادة بموافقتها . .
هي اختارته بمحض ارادتها . . لكنه توقف
قليلا و هو يسمع كلمة "شرط"
_ما هو ؟؟
سأل بصوت عادي و دون ان يظهر مشاعره
أو أي انفعال اتجاه قبولها . .
_لا أريد زواج الآن سيف . . فموت والدتي
لم يمر عليه الكثير . .
قالت بألم في صوتها . . ليهز رأسه بتفهم و
هو يقول بانصياع . .
_لكِ ذلك . . لكن سيُعقد قراننا في الأيام
القادمة . . بعد يومين فقط
قال بعملية . . و هو لا يزال على جموده غير
مظهرا أي ردة فعل . .
_هناك شيء آخر . .
قالت بهمس و صوت مختنق منتظرة رده
الذي أتي بهزة من رأسه يحثها علي الحدبث

لتكمل

_الزواج سيكون بسيطا ..

_لا تهمني مراسم الزواج ريداء .. فلا يوجد أناس معينين يمكن دعوتهم ..

قال بلا مبالاة رغم جراحه المفتوحة في داخل نفسه .. لتقول هي بعذوبة

_أنا لن أدعو سوى خالد و زوجته و أهلها كما ستكون عمتي موجودة ..

قالت كلماتها الأخيرة بهمس .. تنتظر ردة فعله التي لم تكن سوى شرار حاد انطلق من عينيه و جموده كما هو .. هز رأسه بالموافقة و هو يقول بصوت هادئ ..

_حسنا .. اتفقنا إذا .. عقد قراننا سيكون بعد غدا ..

نظرت له باستغراب رغم الخجل من الموضوع برمته .. تشعر به باردا .. إنه يتفق معها على زواج كأنه أحد صفقاته التجارية .. ابتلعت حديثها المعترض قبل أن تهز رأسها و تقول بهمس ..

_حسنا .. تصبح على خير ..

هتفت بكلماتها و خرجت من صقيع غرفته .. تبتعد عن نيران عينيه الرصاصيتين .. تتجه إلى غرفتها حيث دفء شقيقها ...

بقي للحظات نظراته تتجه إلي الباب .. حيث اختفت من خلف الباب .. هي موافقة .. هل ذلك الحداد هو سبب موافقتها ؟ هل لهذا ذكرت اسم عمتها من المدعوين ؟؟

سأل شيطانه ليزيد عذابه و ألمه ؟؟ شعور الألم يجتاحه و يجتاح عظامه .. خبر موافقتها أزعجه بدلا من أن يرضيه .. موافقة انتظرها منذ زمن .. منذ وقع صريعا لعينيها العذبتين .. دخل حمامه يبحث عن مسكن الألم ليسكن أنين عظامه و رأسه .. و هو يجبر قلبه أن يفرح و لو للحظات .. لحظات قليلة فقط .. يفرح

للمرة الأولى و الأخيرة في حياته .. و لا يجحف على نفسه بهذا الحق ..

&&&&&&&&&

ارتدت ثوبا أزرق كلون السماء بدون أكمام و كلون عينيها الياقوتيتين .. يصل لركبتيها مع عقدة ناعمة على خصرها من نفس قماش الثوب .. ارتدت فوقه سترة قصيرة لأسفل صدرها تغطي ذراعيها العاريتين باللون الأبيض .. تسرح شعرها الذهبي البني تسريحة أنيقة فوق رأسها .. ترتدي حذاء باللون الأزرق و الأبيض عالي الكعب .. تسحب أنفاسا متعددة لتهدأ من روعها .. و هي تنظر لنفسها في المرآة مفكرة بتوتر .. اليوم سيعقد قرانها علي سيف .. سيكون جدها ولي أمرها و موكلها .. في صباح اليوم قابلت سيف الذي كان قد أخبر الجد بكل شيء و ضبط جميع أموره ليتم عقد قرانهما .. أخبرته إنها تود أن يكون خالد شاهدا على العقد فقابل ذلك بالموافقة .. و علمت منه أن جده أصر عليه ليعلم عمته بما سيحدث .. لكي لا تغضب ..

الحديث عن عمته يجعله متوترا و أليما و لم تعرف السبب .. و يزيد توتره إلى شرارات غضب خاصة مع ذكر ابنها حداد .. هي تدرك غضبه من الأمر .. لكونه رأى إخفاقها بل غباءها بحبها لحداد .. لكنها لا تهتم بالأمر كثيرا .. فهو سيعلم أخيرا إنها لم تعد تحب حداد ..

و لم تعلم أن حداد بالنسبة لسيف هو عقبة قوية في حياتهم و في طريقه للحصول عليها .. تبعاته ستأتي لاحقا .. حتى اللحظة لم يصدق إنه فاز بها في صراعه الدائم و الذي يخفى على حداد الذي لم يهتم أبدا بحب ريداء و لم يشعر به يوما عكس سيف الذي كان يرى كل تطورات حب ريداء له .. تطورات و خلجات نفسها كانت تسبب له

آلاما و تزرع أوجاعا إلى جانب أوجاعه الكبيرة الماضية في قلبه ..
خرجت من غرفتها .. تحمل مؤيد بين ذراعيها و توترها يزداد حدة و قسوة .. سيعقد قرانها وحيدة .. لا أحد يخفف عنها توترها .. لكنها لم تود المضي أكثر في رثاء النفس و هي تقول في قلبها إنها لن تعد وحيدة بعد الآن بوجود سيف .. ستستعد لحياة جديدة معه .. ستبني عائلة و تؤسسها بمشاركة سيف ..
سيف الحبيب و القوي الذي سيكون عمودها الفقري دوما بل و سيكون عضلات و عظام تستند عليها و تمنحه قلبها ..
تمنحه حنانها .. يساعدها في مواجهة الكون في كل عقبة ستواجههم و أكبرهم عقبة أخيها الذي يرفضه المجتمع الشرقي لكونه غير شرعي ..
طرقت باب غرفته تتمنى أن تجده هنا ..

أن يخبرها بأن الأمور تسير جيدا .. إنه لا داعي لخوفها و قلقها ..
فتح باب الغرفة ليطل من خلف الباب يرتدي قميص أسود و سروال من الجينز و سترة من الجلد الأسود مسرحا شعره فبدا في قمة وسامته .. كان يضبط وضع ساعته الجلدية على معصمه .. يري توترها الكبير فرحم حالها و هو يرسم ابتسامة عذبة .. زادت من وسامته و آلمت قلبها المنتفض بين أضلعها ..
_تبدين رائعة جدا غزالتي ..
ابتسمت بخجل و أحمرت وجنتيها النظرتين فبدت كقطعة فنية بروبق خاص ..
وجودها بهذا الشكل أثار مشاعر كبيرة في نفسه .. كانت كفها تمسد التنورة لثوبها الأزرق كلون عينيها اللتان تبدوان كبحيرة واسعة ..
_حقا ؟؟

_بكل تأكيد .. هل نذهب سيصل الشيخ بعد لحظات ..

قال و هو يغلق باب غرفته و يمد كفيه لمؤيد الذي انتقل بسهولة إلى ذراعي سيف ..

في غرفة الصالون كان الجد في انتظارهم .. دقائق قليلة حتى سمعوا الجرس يرن .. و كان خالد الذي أتى ليكون شاهدا على عقد قران ريداء ..

وجنتيها اتقدت بنيران الخجل و هي تقابل ابتسامة خالد الطيبة و الذي ألقى سلامه على سيف و الجد .. و سرعان ما كان يأخذ الصغير يلاعبه و يخبره إنه اشتاق له جدا ..

أتى من بعده الشاهد الذي يخص سيف و الذي هو ليس إلا موظف لديه .. مساعده الشخصي كما علمت منه .. و الشيخ الذي سيعقد قرانهم .. لم ينتظر أحدهم العمة .. فقد علموا إنها في إحدى سفرياتها

لإحدى المؤسسات الخيرية .. لم يدهش أحدهم بالأمر .. و لم يعلق بشيء ..

بعد لحظات طويلة كان الشيخ يبارك هذا الزواج .. و يتمنى لهم حياة سعيدة مع بعضهم .. غادر بعدها و غادر من خلفه الموظف لدي سيف ..

_مبارك أختي ..

قال خالد بكياسة و حنان .. و ابتسامته الطيبة تزين وجهه .. قابلت ابتسامته بابتسامة خجلة .. و هي تشكره بعيونها .. تعلم إنه سيشعر بالضيق إن أكثرت من شكرها له .. كانت ممتنة .. بل أكثر من ممتنة .. وجوده الليلة طمأن قلبها قليلا .. و أشعرها إنها ليست وحيدة ..

مضي الوقت طويلا بالحديث .. بين ارتباك ريداء و سعادة الجد و خالد بهذه الخطوبة و هذا الارتباط .. أما سيف فكان شعوره عدم التصديق .. إنه بحلم .. حلم جميل

سيستيقظ منه .. حتى في أكبر أحلامه لم يكن يظن إنه سيتزوجها .. و ستصبح ملكه .. و حتى اللحظة لم ينطق بكلمة خوفا من أن ينتهي هذا الحلم .. و لم يتقرب من ريداء .. لكي لا يجدها مجرد سراب ستختفي من أمامه .. كان مقيد لوسوسة شياطينه في عقله .. فكان يفضل عدم الاقتراب .. فقط المراقبة عن بعد .. و كأن الأمر لا يخصه بشيء ..

بعد بعض الوقت كانت تنظر لوجنتيها المتوردتين في المرآة .. و ابتسامة خجلة تداعب محياها .. حاولت تجاهل أي لمحة حزن من الممكن أن تعكر فرحتها بخطبتها من سيف .. بدلت ثيابها و جلست على السرير و قلبها لا يزال يفكر .. نظرت للصغير الذي ينعم بنوم هادئ طويل ..

تنهدت بعمق و وعدها لنفسها قبل قليل بعد الحزن تخاذل بسرعة و الأفكار تدافع لعقلها ألم يكن يجب أن يكون معها أحبائها في مثل هذا اليوم .. كم تود لو يطرق هذا الباب و يأتي فارسها يخبرها إن كل شيء على ما يرام و إنه بجانبها دوما .. كم تود أن يقتحم غرفتها قائلا لها بسخريته إنهم مخطوبين لبعضهم و يود السهر معها .. لكن أيا من هذا لم يحدث و خاطر قاتل بدأ يخبرها إن هذه الخطبة هي من محض الخيال .. فلا يوجد أي دليل على هذه الخطبة حتى الخاتم الذي يوضع في بنصر الفتيات دليل الخطوبة لم يكن لها مثله ..

فسيف لم يجلب لها واحدا .. لم يلمس كفها و يبارك لهما الزواج .. فبعد انتهاء الشيخ من عقد القران كان ينظر لها و يهز رأسه فقط لا غير .. وجود الجميع منعها من الصراخ و قتاله ذلك البارد .. قالتها و هي تندس في فراشها الناعم .. و تبدأ في مناجاة النوم ..

بعد يومين كانت تضغط بأناملها علي عينيها و هي تسمع كلمات التقريع يصلها عبر الأثير من خلال سماعة الهاتف .. تمنع نفسها من البكاء و تنفيس حزنها و هي تقول بكلمات مهذبة ..

_لقد أخبروني إنكِ مسافرة ..

_حتى و إن كنتَ مسافرة .. ألا يمكنكِ الانتظار قليلا أنتِ و ذلك الأحمق سيف .. لكنكم تتخلون عني و لا تقدمون لي الاحترام..

أتاها الصوت يهتف بغيظ قبل أن تهتف ريداء ...

_لم تفعل عمتي .. لكن عودتك من السفر كانت غير مقررة بعد ..

_حسنا ريداء .. علمي ذلك الجاحد أنني عمته و استحق الاعتذار .. بلغي سلامي لأبي و سآتي قريبا لزيارته .. مع السلامة..

قالت بسرعة و هي تغلق الهاتف .. نظرت ريداء لسماعة الهاتف بقهر قبل أن تضعها في مكانها و استرجعت ما حدث قبل قليل عندما كانت في غرفتها تهتف بنفسها و ترتدي اجمل ثيابها بسبب قدوم سيف الذي ترك المنزل و قد علمت إنه اتجه إلى المدينة في صباح اليوم التالي من يوم الخطبة الخاصة بهما و سيضطر لأن يغيب ليومين ..

أزعجها الأمر كثيرا .. فقد شعرت به يتهرب من الحديث في أمر الخطوبة و قد أعاد التفكير .. صباح اليوم أخبرها الجد إن سيف سيأتي لتناول طعام العشاء معهم .. أخبرتها شياطينها أن تتجاهل الأمر و تعسكر في غرفتها مخبرة إياه إنها غاضبة منه .. لكن قلبها كان يخبرها أن تبحث له عن الحجج لغيابه .. فكانت تطير كفراشة و تبدل ثيابها و تهتف بنفسها قبل أن تأتيها الخالة و تخبرها إن عمتها تريد محادثتها علي الهاتف .. و منذ ربع ساعة كانت تهم

بمحاولة الرد على هجوم عمتها عليها . .
خرجت من أفكارها على صوت أرجف
قلبها و زاد من نبضاته يقول بعبث
_ما بالك تقفين قرب الهاتف ؟؟
نظرت له بسرعة و دار شعرها بخصلاته
الذهبية البنية حولها لتقول بشوق
_لقد عدت . .
_كما ترين . .
قال و هو يتقدم لها و يقف محاصرا جسدها
بطاولة الهاتف الطويلة . . و يكمل بخبث . .
_هل اشتقتِ لي ؟؟
رفع أنامله يمررها على خصلات شعرها التي
تناثرت على عينيها . . فيذيب قلبه عشقاً
و لهفة لها . . ليبعدها عن عينيها التي
كانت تلمع بالعتاب و هي تقول بلوم و عتب
لذيذ . .
_لا يحق لك هذا السؤال . . بعد أن
غادرت بسرعة كأن المنزل يتحول للجحيم
فكنت أتساءل طوال اليومين إن كانت الخطبة
حقيقة أم لا . . و إن كنت حقا تريد إعادة
النظر فيها . .
قالت بكلمات مرتعشة . . لتشعل عينيه
بعذابه الذي كان يطارده طوال اليومين
الماضيين و الماضي الأليم يحاول قتله بل
خنقه . . كما ضميره الذي بدأ يعذبه لأنه
يود إقحامها في حياة ستنتهي بعد أيام لم
يعرفها كنهها . . فكان يهرب حقا من المنزل
كأن شياطين الجحيم في أعقابه . . فبعد ليلة
الخطوبة كان عقله يعود له و يخبره أن ماضيه
سيعاود من جديد
_حسنا كان يجب أن أعود للعمل . . أنا لن
أعيد النظر في خطبتنا . . لكن إن كنتِ
أنتِ تريدين ذلك . .
هزت رأسها بالنفي و هي تنظر بل تغوص في
عمق عينيه الرصاصيتين . . لتقول بتلعثم
تبعد تأثيره عنها . .

_عمتي خديجة اتصلت تعاتبنا .. لقد صرخت بي كثيرا ..
قطب حاجبيه و قد نجحت في تشتيت انتباهه عنها .. قبل أن يقول مستغربا
_و لماذا تفعل ؟؟
_لأننا لم نعيرها اهتمام و لم نخبرها من قبل عن رغبتنا بالقران مع بعضنا ..
مط شفتيه بسخط قبل أن يقول ..
_عمتنا .. منذ متى اهتمت بوجودنا .. ألم يكن يجب أن تكون هي الأم البديلة لنا لكونها العمة الوحيدة .. لكننا اهتممنا بوجودها و بحثنا عن طريقة لإخبارها دون أن نجدها .. إن كان هناك من يجب أن يغضب فهو نحن .. لا هي ..
كان هناك حزن .. ليس بجديد فهو موجود بسبب تراكم السنين و عودة الماضي .. فما كان منها إلا أن تضع كفها على صدره أعلى قلبه لتستشعر نبضاته .. لتصيبها كهرباء عالية أضرمت النيران في جسدها لكنها قالت بهمس و رقة
_أنت الأفضل سيف .. إنها عمتنا و امرأة كبيرة بالسن .. و قد طلبت أن نعتذر لها .. كلمة صغيرة لن تهدم كبريائنا ..
نظر لها مطولا قبل أن يدنو من وجهها قائلا بهمس ...
_حسنا غزالتي ذات القلب الحنون ..
ابتسمت لكلماته .. ابتسامة صغيرة ناعمة أذابت سيطرته التي هربت من عقال قوته .. قبل أن يضع شفتيه على طرف فمها يذيبها و يضرم نيرانا في أعماقها .. تهدجت أنفاسها و هي تحاول تجميع أفكارها بلا فائدة .. إنها أيضا لا تريد أن تتركه ..
هي تريد عناقه .. هذا ما قاله قلبها و هي ترفع رأسها لتتلقى عناقه اللذيذ .. دون أن يهتموا بالمكان المتواجدين فيه .. فقط ستشعران قلوب بعضهم البعض ..

فتحت الباب الخاص بغرفة المكتب .. و لم تكن تعلم إنه موجود بالداخل .. لكن بمجرد أن رأته يجلس خلف مكتبه و قد كان منكبا على أوراقه و رفع رأسه بمجرد أن سمع صوت الباب يفتح .. قابلته بابتسامة مرتعشة و هي تري ما يشبه ابتسامة تزين وجهه .. لتسارع بالقول باعتذار خفيف..

_مرحبا .. لم اظن إنك هنا و مشغول ..

_تفضلي ريداء .. العمل لا ينتهي ..

قال و هو يرمى بقلمه على المكتب يراها تدخل غرفة المكتب و تغلق الباب خلفها .. لتهتف بارتباك و ابتسامتها الناعمة تزين وجهها ..

_جئت لأنتقي كتابا من المكتبة هنا .. لا أريد أن اشغلك ..

هز رأسه بالموافقة لتتجه بارتباك نحو المكتبة التي تحتوي على العديد من الكتب الخاصة بالاقتصاد و إدارة الأعمال .. لكن في جزء خاص كان هناك بعض الروايات البوليسية .. لتتجه إليها و هي تنتظر له ..

_تقرأ الروايات ؟!

قالت مستغربة و هي تمسك إحداها بين أناملها و تراه يقف عن مقعده و يتجه لها .. جسدها مرتبك بل هو بقمة ارتباكه و سينفجر من كثرة التوتر

لقد أرادت رؤيته .. رؤيته ؟؟ أجل .. فهي قد اشتاقت له .. اشتاقت جدا لمرآه .. فكانت تتجه لحيث يختبأ في عرشه الخاص به .. غرفة المكتب ..

رأته يتجه إليها و يقول بكياسة ..

_هل غريب أن أقرأ روايات ؟؟ إنها بوليسية و ليست رومانسية غزالتي ..

اشتعلت وجنتيها بخجل من الكلمة التي يخصها بها .. غريب بعد أن كانت تمقت تلك الكلمة .. باتت الآن تجعلها أكثر من سعيدة ..

وقف قربها يقول و هو يمد كفه لإحدى الروايات

_هذه ستنال إعجابك .. فهي تحمل الرومانسية التي تحبها الفتيات ..

رفعت حاجباً مغتاظا قبل أن تقول بحنق

_و كيف تعلم ما الذي تحبه الفتيات سيد سيف ؟؟

هي سعادة .. هي سعادة بحق تلك التي ترفرف بين أضلعه و هو يجد غيظها بسبب جملته .. لم يسمح لشيطانه أن يخبره إنها مجرد كلمات .. فلمعة الغيرة واضحة في عينيها .. مد كفه يلمس وجنتيها قائلا بشغف

_هي لا تحتاج للكثير من التفكير .. هذه أشياء معروفة عن الفتيات غزالتي ..

اشتعلت وجنتيها خجلا .. و تلعثمت الكلمات في حلقها تقول بصعوبة و قربه منها يزيدها خجلا

_حسنا ..

أخذت الكتاب منه و هي تحاول التملص من قربه .. لكنه حاصرها بين جسده و المكتبة خلفها .. ليقول بصوت خشن من الشغف

_ألا يوجد أي شكر .. للرجل المعذب هنا ..

قضمت شفتيها و هي تقول بهمس و قربه يزيد من شرارات الحب في قلبها ..

_شكرا ..

ظهرت ابتسامة على شفتيه القريبة من وجهها .. و هو يقول بخبث و صوت أجش

_لا تكفي غزالتي .. لا تكفي ..

اقترب منها و إبهامه يتحرك على شفتيها الناعمة .. لتشتعل النيران في داخلها .. و قبل أن تبادر بأي أمر كانت شفتيه تقتحمان شفتيها .. تشن غارة قوية على مدنها الضعيفة .. لم يمهلها الكثير و هو يشد

بذراعيه على خصرها يود زرعها بين أضلعه .. الأنين الصادر منهما لم يكن مؤلما بقدر ما كان معذبا لكليهما ..
لم يعبأ احدهم بالكتاب الذي سقط أسفل قدميهما .. فقط بذراعيها الناعمتين على عنقه و أناملها الرقيقة التي تزرع في خصلات شعره .. كفيه تمران على جسدها .. خصرها و تشدها أكثر إلى جسده .. شفتيه القاسيتين تسحقان شفتيها الرقيقتين الندبتين ..
بحاجتهما للهواء كان يبعدها عنه بهدوء .. رغم العاصفة التي مرت على جسديهما .. صدرهما يرتفع و ينخفض بسرعة كأنهما كانا بماراثون قطع أنفاسهم .. عيونهم تتحدث بالكثير الكثير من الكلام .. الرغبة تشتعل بينهم بعذاب .. كان البادئ بالحديث و هو يمرر إبهامه من جديد على شفتيها التي انتفخت أثر قبلته الساحقة ..

_من الأفضل أن تغادري .. فلا يوجد الكثير من السيطرة امتلكها على أعصابي و عقلي ..
قال بصوت أجش من العاطفة و الشغف .. خفض جسده يرفع الكتاب و يعطيه لها .. و التنفس لا يزال مرتفعا بينهم .. سريعا في حاجة قلبهم للهواء بعد أن أشبعوه بالحب.. بأنامل مرتعشة كانت تمسك بالكتاب و ترسم ابتسامة مرتجفة على ثغرها قبل أن تمرر لسانها علي شفتيها الندبتين و تغادر مهرولة بعيدا عن عذاب قربه ..

&&&&&&&

سحبت نفسها عدة مرات .. قبل أن تمد كفها و تطرق الباب الخاص بغرفته و هي تشعر بالكثير من الخجل .. وورقة عقد القران أعطته الكثير من الحرية طوال الأسبوعين الماضيين .. ففي كل مرة يتقابلان فيها لابد و أن ينهي اللقاء بقبلة ضارية ..

و يجعلها أكثر خجلا .. لكن يومان مرا دون أن يكون هنا و هذا أشعل قلبها بالشوق .. لم يتبقى الكثير من الوقت للزفاف كما أخبرها مرة .. و هي لم تقم بأي شيء تجاه لزواجهم .. إنها لم تشتري جهاز العروس و لم يخبرها أين سيسكنان بعد الزفاف .. و هذا زاد من وحدتها ..

فتح الباب ليظهر من خلفه محاطا خصره بمنشفة طويلة .. صدره العاري يتساقط عليه بعض قطرات الماء .. تعانق كتفيه و عضلات صدره و بطنه

وجنتيها احترقتا من الدماء التي ضخت في عروقها .. شهقت بعنف و هي تكاد تقسم إن جسدها انتقل من الهواء البارد ليلقى في ينبوع يغلي بالمياه ..

استدارت بسرعة تغادر المكان بعيدا عن حصار عينيه و حرارة وجوده .. لكن امتداد كفه التي تمسكت بذراعها تمنعها من الذهاب و التقدم أكثر .. شدها لقربه دون أن يمس جسدها جسده .. ليقابله عيون الياقوت الغائمتان بسبب وجوده و بسبب المشاعر الضارية في أعماقها .. في عيون الرصاص الخاص به يلمعان بخبث ..

_إلي أين ؟؟

قال بمكر شديد و بطء حلاوة مستمتعة باضطراب عيونها و جسدها يرتجف ..

_كن.... كنت .. فيما بعد ..

قالت بسرعة و هي تجاهد لالتقاط انفاسها .. ليبتسم يقول بعيون معذبة لقلبها ..

_تعالي .. سأرتدي ثيابي ..

دخلت الغرفة بإرادة مسلوبة و قلب خنوع .. تركها ليتجه إلى ثيابه الموضوعة على سريره و يتجه إلى الحمام محافظا على حياءها التي يكاد يذيبها ..

بابتسامة حلوة تزين وجهه اتجه للحمام و قد شعر بعيونها تتراكض على ظهره العاري ..

نظراتها بجوع كانت تجول على ظهره .. و بخجل تخاف أن يمسكها متلبسة ..
اتجهت للسرير الغير مرتب .. و بدأت ترتبه .. رائحته عالقة في فراشه .. كم تود أن تدفن وجهها في فراشه لتشبع رئتيها برائحته .. تنهيدة عميقة خرجت من بين شفتيها الناعمتين .. تركت الغطاء من بين يديها و هي تسمع صوت الباب يفتح .. ارتبكت و هي تنظر له يتجه للمرآة يسرح شعره القصير..
_صباح الخير ..
هتف بها و هو يقترب منها .. لتبتسم بعذوبة و هي ترد تحية الصباح عليه .. لتسارع بالقول ..
_لم أرك بالأمس .. انتظرتك على العشاء لكنك تأخرت ..
_هل هذه لهفة ؟؟" قال مبتسما و هو يمرر إبهامه علي وجنتها الساخنة و المحترقة ..

لتبتسم بخجل و عيونها تنخفض .. ليكمل "كان هناك وفد من إنجلترا و اضطررت للبقاء معهم من أجل الصفقة ..
_حسنا .. ألن ترتاح يوما ؟؟
سألت باهتمام متجاهلا إبهامه المار على وجنتها الحارة .. ليبتسم ابتسامة ناعمة قائلا بهمس أجش قلب كيانها ..
_دعك مني .. أخبريني عن سبب الزيارة الصباحية ؟؟
حاولت استجماع فكرها الذي يتراقص كلهب شمعة في مهب الريح .. و عقلها و قد ضاعت منه مفاتيح التعقل .. تهرب من حصار عينيه الغوغائيتين .. لتقول بصوت متردد ..
_أتيت أخبرك أنني لم أشتري أي قطعة من جهاز العرس ..
لم تشير إلى كفها الخالية من أي خاتم زواج أو خطبة .. و من الممكن انه يعتقد إن هذا

رباط لا يتقيد به .. و هو لا يعكس قدسية الزوجية أو إدراكه .. لكنها في أعماق روحها كانت حزينة لعدم إسعاد قلبها بمثل هذه الأشياء .. حتى و إن أقنعت قلبها و عقلها بعدم وجوب حزنها .. تبقى الغصة مستحكمة قلبها ..

في عمق عينيها الياقوتيتين رأي لمحة الحزن .. لكنه ابتسم بهدوء و هو يقول ببطء ..

_لا تهتمي بجهاز العروس .. فليس أحب على قلبي من عروس بملابس قليلة ستكون بعيدة عن متناول يدك ..

بقول آخر هي "عارية" تفجرت الدماء في عروقها حتى ظنت إنها ستخرج من أذنيها .. هو لا يراعي خجلها أبدا .. فكرت بتوتر و الخجل يكسي جسدها كعباءة حمراء من منابت شعرها حتى قدميها .. ابتسم بمكر بل بسعادة حقيقية و هو يبدل الموضوع التي أتت من أجله .. و يجعلها تتناساه

و قد نجح بذلك ..

_هوني عليك .. "هتف بصوت أجش" ماذا لديك اليوم ؟؟

هزت كتفيها و هي تراجع روتين يومها .. لتقول بهمس ..

_لا شيء ..

_حسنا إذا .. لنتناول فطورنا ثم تتجهزي ليوم حافل بالتنقل ..

_إلي أين ؟؟

سألت بلهفة و هي تنظر لعيونه الماكرة .. ليرفع حاجبا متعجرفا قائلا بغيظ مزيف ..

_لن أخبرك .. فقط تجهزي و ارتدي ثياب مريحة ..

هزت رأسها و الابتسامة تشق وجهها و سرعان ما كانت تخبو من جديد و هي تتذكر قائلا بهمس مخيب للأمل ..

_ و مؤيد ؟؟

_ما رأيك أن نضعه عند خالد يقضي يومه

هو لن يرفض أكيد . . !
قال باقتراح . . ينظر لرأسها المنخفض تفكر باقتراحه قبل أن تقول بشك . .
_هل تعتقد ؟؟
رفع كتفيه قائلا بأمر واقع . .
_جربي . .
هزت رأسها بالموافقة قبل أن ترفعه قائلا
_حسنا . . سأذهب لأرى مؤيد . . لابد و قد استيقظ . .
ثم دارت بوجهها لتغادر لكنه أعادها من جديد لتقابل نظراته و ذراعيها تلامسان عضلات صدره المختبئة خلف القميص النيلي يقول بتلك الابتسامة الخبيثة الملتوية . .
_أنهينا الحديث و أنا بانتظار قبلة الصباح . .
شهقت بنعومة . . لكن تلك الشهقة اختفت . . اختنقت بين شفاهه القاسية المستحكمة بالقبلة الناعمة التي حطت علي شفتيها النديتين . . أغمضت عينيها بعذاب و هي تقابل تلك القبلة بنعومة شديدة و إثارة . . تشعر بنفسها كمن تتناقله الأمواج الهادئة على أحد شواطئ هاواي . . لا شيء سوى الجنة . .
غادرت تلك الجنة بمجرد أن ترك شفتيها مستجيبة لطلب رئتيه للهواء . . مررت لسانها ببطء على شفتيها الناعمتين و اللتان ثارتا بسبب قبلته . . عيونها تسير بغير هوادة لعينيه قبل أن تحط برحالها علي شفتيه المبتسمتين و تشتعل النيران في جسدها و هي تسمعه يقول
_التحية الأجمل . .
قضمت جانب فمها من الداخل بحياء . .
ثم تهرب من عرينه المفترس لقلبها . . تحت نظراته العاشقة الجائعة . .
&&&&&&&&&
جلست تحتضن أخاها الصغير و الذي لم يكف عن اللعب في خصلات الشمس

الخاصة بشعرها .. تجاهلت لعبه معها و قد حملت هاتفها بتردد أن تجري الاتصال .. لا تريد زيادة الثقل على خالد و زوجته .. من الممكن أن يكون الاتصال إلى "منه" أفضل .. شدت عزيمتها و هي تجري بأناملها علي شاشة الهاتف قبل أن تخذلها شجاعتها .. رنة .. اثنتين .. و الثالثة..

_مرحبا ..

سمعت صوت "منه" يقول بهدوء و لطف .. صوتها بعث الراحة في نفسها .. لكن سرعان ما دب الحرج في قلبها و هي تقول بتردد .. و مؤيد لا يزال يحاول لفت انتباهها..

_مرحبا "منه" أنا ريداء ..

_آه أهلا عزيزتي ريداء .. كيف حالك و حال الصغير ؟؟

قالت "منه" بلطف و ترحيب بهذا الاتصال و هذا ما جعل ريداء تتنفس بهدوء..

_أنا بخير .. و الصغير كذلك .. كنت أريد ..

_ما الأمر ؟؟ هل كل شيء بخير عزيزتي ؟؟

سألت "منه" بقلق حقيقي لامس قلب ريداء المتردد و المضطرب .. المحرج من الأمر برمته ..

_كل شيء بخير .. فقط أنت تعلمين إن زواجي سيكون في القريب العاجل و أن...

قطع كلماتها صوت "منه" التي هتف بفرح

_مبارك حبيبتي .. اعذريني لم أبارك لكِ من قبل .. أنا حقاً محرجة من ذلك..

ابتسمت ريداء بخفة و هي ترد تخفف عن "منه" حرجها ..

_لا عليك عزيزتي .. أنا لم أهاتفك من أجل ذلك .. كل ما في الأمر إنني أود الذهاب إلي السوق لشراء بعض الثياب من أجل الزفاف

و كنت أريد وضع مؤيد في منزلكم إن كنتم لا تمانعون الأمر ..

أنهت جملتها بحرج و تردد .. لتقول "منه" بسرعة ..

_بالتأكيد .. و إن كنتِ تريدينني أن أذهب معك فلا مانع لدي ..

_لا يا عزيزتي .. أنا سأذهب مع سيف..

قالت بخجل من ذكر اسمه .. لتقول "منه" بمكر ..

_أوه .. لا شيء يضاهي رفقة الخطيب..

اشتعلت وجنتي ريداء بالخجل و هي تقول بهمس ..

_ليس كما تظنين ..

_هل تراهنين علي ذلك ؟؟ حسنا سنرى آخر اليوم .. سأنتظر قدوم مؤيد يا عروس .. سيسعد خالد جدا عندما يجد مؤيد في انتظاره ..

قالت بسعادة و لطف شديد .. لتبتسم ريداء قائلة ..

_حسنا .. مع السلامة يا عزيزتي ..

أغلقت هاتفها قبل أن تمسك الصغير و ترفعه عاليا بعد أن كان قد أكثر من شد شعرها .. تقول و هي تكز علي أسنانها بشراسة مزيفة ..

_أيها الشرير .. لقد مزقت فروة رأسي ..

كركر الصغير بسعادة و هو يحاول إمساك أنف أخته دون أن يستطيع لمسه .. لتنزله قائلة بسرعة ..

_هيا لنجهزك الآن و نحضر أشياءك قبل أن يقتلنا سيف إن تأخرنا لحظة ..

قالت و قد عادت وجنتيها للخجل من جديد .. عندما لاحت لرأسها مشهد قبلته الناعمة القاتلة .. قضمت شفتها السفلية و الابتسامة تتلاعب علي فمها بمتعة و شغف ..

حملت الصغير و هي تنظر لسيف الذي كان قد أوقف السيارة أمام منزل خالد الذي جدد الكثير في منزله البسيط سابقا و الرائع التصميم الآن ..

_هل تظن أن تركه هنا جيد ؟؟

قالت بتردد و هي تنظر لباب المنزل و لا تزال جالسة في مقعد الركوب بقرب السائق ..

لقد فكرت مرارا إن تركه في منزل خالد فهي لا تزال تشعر بالخزي مما حدث لخالد بسبب والدتها .. ليقول سيف مخففا عنها و قد علم ما يدور بعقلها ..

_خالد لا يفكر بما تفكرين به ريداء .. لقد رأيت سعادته يوم عقد قراننا .. هيا اذهبي و كفي عن التردد ..

نظرت له لوهلة تنتظر منه أي مبادرة أخرى .. لكنه ابتسم بهدوء مشجعا .. لتتنهد بقلة حيلة و هي تمسك الصغير و تخرج من السيارة .. تبعها سيف يحمل الحقيبة المليئة بأشياء مؤيد و حاجياته ..

طرقت الباب بلطف عندما وصلوا المنزل لتفتح لهم "منه" و التي كانت ترتدي حجابا بنيا .. بطنها بارزة بشكل طفيف ..

ابتسامة تزين وجهها و هي تقول بترحيب..

_مرحبا بكم .. مبارك لكم الخطوبة ..

ردا لها الابتسامة و هم يتمتما بكلمات لطيفة هامسة .. مدت كفها لتمسك بالصغير الذي اتجه لها بسهولة و قد تعرف عليها ..

_تفضلا ..

سلمها سيف الحقيبة و هو يقول بأدب ..

_في وقت آخر .. يجب أن نذهب الآن .. في المساء ربما ..

_المساء ؟؟ هتفت بها ريداء باستغراب و هي تنظر له و قد تناست مؤيد الذي بدأ يتململ في أحضان "منه" و كل ما تظنه إنهم سيذهبون لشراء جهاز العروس ربما .. لم تظن إنهم سيتأخرون كثيرا .. لكن سيف

تجاهل سؤالها و هو يكمل ..
_أرجو ألا يسبب تركك مؤيد أي حرج ..
_لا بالتأكيد لن يحدث ذلك .. و هيا اذهبا و اقضيا وقتا ممتعا ..
قالت تشوح بكفها و هي ترسم ابتسامة مشجعة لهم .. أمسك سيف كف ريداء و هو يهم للمغادرة .. لكن الصغير قد شعر بالأمر و بدأ بالتذمر و يود الذهاب لريداء التي نظرت له بعجز ..
_لا تهتمي ريداء .. أنا سأهتم به أقسم لك..
قالت "منه" و هي تمسك بالصغير .. لم يمهلوها أكثر و هي تدخل "منه" للداخل أكثر و هي تقول بتأكيد ..
_وقوفكم هنا .. سيزيد الأمر سوءا ..
سألاعبه حتى ينسى اسمه ..
قالت بسلاسة عندما همت ريداء بأخذه من بين أحضانها .. ليقول سيف الصامت

_معها حق .. هيا بنا ريداء ..
شد بكفها و هو يتراجع للخلف و يهتف لـ"منه"
_مع السلامة ..
لم تنتظر "منه" كثيرا لتغلق الباب و هي تجد سيف يأخذ ريداء و يشدها للخلف رغم نظراتها التي اتجهت إلى مؤيد الذي بدأ بالبكاء .. وصلت إلى السيارة المتوقفة عند باب المنزل الخارجي .. ونظراتها لا تزال قابعة على باب المنزل و قلبها يخبرها أن تذهب للتوجه إلى "منه" و أخذ الصغير منها .. لكن كلمات سيف قائلا بلطف..
_إنه بخير هناك .. هيا لنذهب ريداء ..
نظرت له بنظرات تدينه .. شعر بها تخترق عظامه كسهام حادة .. تخبره إنه سيحرمها من صغيرها .. حسنا هو أيضا شعر بتأنيب الضمير عندما سمع بكاء الصغير .. ليقول بلسان قلبه .. مشفقا عليها و على

الصغير الذي أعاد له ذكري ماضية . .

_هل أذهب لجلبه ؟؟

_لا . .

هتفت بحدة و هي تصعد السيارة بقهر و سخط . . هي حقا تشعر نفسها كأم أخذوا منها صغيرها ليضعوه في السجن . . شيطانها الأخرق صور لها ذلك. . نظر لها مطولا و هي تجلس في مقعد الركوب و حاجبيها الرفيعين معقودين بغضب و سخط. .

تنهد بضيق و هو يصعد إلى السيارة و يتجه إلى قلب المدينة . . مضت رحلة السيارة إلى وسط المدينة صامتة قاتلة . . ظن للحظة إنها ستشن سلاحها على قلبه و تخبره إنه شرير . . شخص ظالم . . لكنها كانت تخرج ضيقها و غضبها بتنهيدات عميقة . . للحظة ود العودة إلي منزل خالد و أخذ الصغير . . لكنه وعد نفسه بقضاء

يوم آخر مع الصغير ليعوض عليه هذا اليوم الذي خطط له طوال فترة الصباح . .

توقفت السيارة أخيرا أمام صرح كبير مبني بخشب مقوي و كلمات صينية مكتوبة علي باب الصرح الكبير . . نظرت له باستغراب ليقول بهدوء و ابتسامة تزين وجهه . .

_هناك دعوة من صديق لزيارة الصرح الصيني . . هو مشروع مؤقت . . تماما كشيء يشبه السيرك المتنقل

نظرت له مطولا قبل أن تهتف بسخط . .

_تركت أخي هناك في منزل خالد لنأتي إلى هذا المكان . . أي رحمة في قلبك. . !

هتفت بكلماتها الأخيرة بغضب و قلب محترق . . أشاح بوجهه بعيدا عنها كي لا تصيبها شرارات الغضب في عينيه الرصاصيتين . . و قبل أن يبادر بكلمة كان يعيد تشغيل المحرك بالسيارة . . سارعت لوضع كفها تسأله بدهشة . .

_إلى أين ؟؟
نظر لها من طرف عينه و يحاول كتم غضبه قائلا بجدة . .
_سنعود أدراجنا . . فكنت مخطئًا عندما خططت لقضاء يوم مع خطيبتي . . أعذري قلبي الميت و الذي لا يعرف الرحمة. . ثم دار بالسيارة . . ليخرج من المكان. .

انتهى الفصل الثالث

أحتاجك

الفصل الرابع

كلماته أشعرتها بالذنب .. معه حق .. وجود مؤيد عند خالد لن يؤذيه .. إنها حمقاء و قد انفجرت به و هو لا دخل له سوى إنه أراد وجودها ..

_أنا آسفة .. آسفة حقا .. أفسدت عليك اليوم و دمرت خططك .. لنعد هناك سيف ..

همست و هي تنظر إليه و رجاء و ندم في عينيها .. تألمت لنظراته القاسية و الغاضبة .. فتجرأت لتضع كفها على كفه الموضوعة على المقود تقول له و هو لا يزال يتحرك بالسيارة لكنهم لم يبتعدوا كثيرا ..

_أرجوك سيف لقد اعتذرت .. أعدك أنني لن أفسد اليوم أكثر من ذلك .. لنعود إلى الصين

.. قالت الكلمات الأخيرة بابتسامة مازحة .. فتظهر شبح ابتسامة على شفتيه .. سرعان ما تحولت لضحكة مجلجلة ..

و هو يوقف السيارة . . ابتسمت له و لضحكاته التي عذبت قلبها و أذابت مشاعرها التي تخصه . .

_يا إلهي ستقتلينني يا فتاة . .

_لا تقل ذلك . . أطال الله بعمرك . .

كلماتها الجزعة التي خرجت من فمها عذبت روحه بل قتلته بصدق . . و ضميره أنبه لأنه أشركها في حياة ستنتهي بفعل مرضه . . لم يطل التفكير و هو يسمعها تقول بإلحاح . .

_هيا فلنعد أدراجنا للصرح الصيني . .

نظر لها مطولا و نظرات التوسل تطل من عينيها الياقوتيتين . . و بسيطرة أذابتها كان يدير المحرك ليعود إلي حيث كانوا قبل لحظات . .

_هذا منشور للبرامج التي يقدمونها هنا . . إلي أين تودين الذهاب ؟؟

قال سيف و هو يقف علي خط البداية داخل الصرح الكبير و الذي يطلق عليه

المدينة الصينية . . يمسك ورقة مكتوب بها برامج المدينة الصينية و كلماته مكتوبة باللغة العربية و اللغة الصينية . . أخذت منه المنشور لتنظر إلي الورقة تقرأ محتوياتها قبل أن تهتف قائلة بسرعة و تشويق يلمع في عينيها :

_العرافة الصينية . .

نظر لها سيف قبل أن يقول بجزم "لا"

فعبست ملامح وجهها لتزم شفتيها قائلة . .

_ما هذه النزهة التي ستبدأ بلا ! أريد الذهاب إلي العرافة الصينية سيف . .

ابتسم لكلماتها العابسة ليهز رأسه بالرفض

_في ديننا الإسلامي . . لا وجود لشيء اسمه العرافة و قراءة الطالع . . فهي من علوم الغيب . . نبينا الكريم نهى عن تصديق العرافين أو الكهنة . .

نظرت له لتقول بخجل من كلامه الهادئ . .

_لكنني لم أكن سأصدق كلامها . .

هز رأسه مرة أخرى ليكمل لها . .

_النهي أتى عن الذهاب إليهم أيضا ليس فقط تصديقهم .. في حديث عن النبي قال عليه الصلاة و السلام "من أتي عرافا أو كاهنا فصدقه فقد كفر بما أنزل علي محمد " صدق رسول الله ..

_عليه الصلاة و السلام .. حسنا اختر أنت..

قالت و هي تضع الورقة في كفه .. و ملامح الحرج على وجهها من كلامه التي لم تكن تصدق يوما إنه يعرف أحكام شرعية قد يجهلها الكثير .. بل و يحفظ أحاديثا للنبي محمد "صلي الله عليه و سلم" ..

مر بعينيه علي الورقة و يقرأ تعريف كل برنامج و المكتوب باللغة الصينية فقط فابتسم بخفة و هو يستوعب نوعا ما معنى كل برنامج بفضل معرفته القليلة باللغة الصينية..

وضع الورقة بجيبه قبل أن يمسك كفها الصغير في كفه الكبيرة و يقول بخفة يحاول وضع

القليل من المرح في كلماته ..

_لنبدأ اليوم الجميل بدون عبوس ..

سار معها في أروقة المكان .. و كل برنامج من إحدى برامج المدينة مصنوع بمادة مختلفة عن الأخرى .. فهناك اماكن كالخيام و هناك أخرى مصنوعة من الخشب الرفيع و أخر من الزجاج و بعض البرامج لا تملك حواجز موضوعة حولها ..

كمكان غذاء العشاق .. و هو عبارة عن عدة طاولات موضوعة في منطقة جميلة من المدينة الصينية تتمتع بجو رائع و هواء عليل .. طقوس غذاء العشاق معرف بالمنشور .. كان هناك بعض المتواجدين الزوار للمكان يتناولان طعامهم ..

نظرت له ريداء عندما اتخذ من أحد الطاولات مكانا لهم و هي تنظر للجميع حولها تجد أن يد المرأة مربوطة بيد الرجل..

_ما هذا الذي يحدث سيف ؟؟
سألت مستفهمة تريد توضيح دون أن تشعر بالرباط الأحمر الذي التف حول رسغها الأيمن فنظرت لسيف لتجد امرأة ممتلئة تقف بينهما و تربط الشريط حول رسغ سيف الأيسر .. فابتلعت كلماتها بسرعة حتى تذهب المرأة التي نظرت لها نظرة باردة ثم غادرت..

_سيف ؟؟
قالت بخوف تخلل صوتها .. ليبتسم لها بخفة قائلا

_هذا المكان يمتاز بطقوس معينة .. يتم ربط كفي العاشقين و على الرجل أن يطعم المرأة خاصته و المقيدة بكفه .. ليزيد الوصال بينهم .. يتم التعرف علي مدى حب الرجل لحبيبته إن فضلها على نفسه و أطعمها أكثر .. و سيتم تناول الطعام بالكف المجردة بدون أي أداة مساعدة ..

و لن يفك القيد حتى ينتهي محتوى الطبق..
ضحكة مندهشة خرجت من فمها و قد أثار الموضوع إعجابها .. و التمعت عينيها من جديد لتقول بحماسة

_هذا رائع جدا .. بل رومانسي واو ..
ابتسم لها بخبث قبل أن يقول و هو يرى الطبق ذو الروائح الشهية و الذي يشك إنه خاص ببلد الصين ..

_ولكن .. بما أنني بلا رحمة و أفسدت يومك فسأتناول الطعام وحدي ..
ابتسمت بنظرات لائمة و هي تقول بتقريع..

_لقد أخبرتك أنني آسفة لا تكن لئيما ..

_ و لئيم ايضا ..
قال و كفه تغرف القليل من الطعام و يأكله مصدرا أصواتا متلذذة مستمتعة .. ليسيل لعابها و هي تتابعه .. لتقول بشوق

_هيا سيف .. أو سآكل بنفسي ..

_لا أنصحك بذلك .. فهناك عقاب لو

تخطي أحد الطقوس ..
قال و هو يشير للمرأة التي كانت تربطهم قبل لحظات .. نظرت لها ريداء بخوف قبل أن تعود لسيف بالنظر و تقول بدلال ..
_أنت لن تتركني اتعرض للعقاب سيف ..
خرج اسمها من بين شفتيها معذبا روحه .. فيتوقف عن الأكل قبل أن ينظر لها مطولا ثم ينزل كفه و يأخذ القليل من الطعام ليرفعه عند فمها الرقيق قائلا بصوت خشن من مشاعره الجياشة ..
_افتحي فمك غزالتي اللئيمة ..
ابتسمت بخفة و هي تفتح فمها بإحراج و قد أدركت مؤخرا معنى أن يطعمها بأنامله التي مرت ببطء أربكها علي شفتيها .. نظر لعينيها التي التمعت بإثارة من ملمس أنامله .. لتنفسها الذي تلاحق على كفه .. كفه الأخرى تسللت إلى باطن كفها المقيدة معا و تلامست أناملهم و سرعان ما تشابكت ..

تلا اللقمة أخرى و أصبح غذاء العشاق ... غذاء التعذيب لروحيهما كلما أطعمها .. مستمتعا بملمس لسانها على أنامله .. يكاد يفقد سيطرته كلما لامست أنامله شفتيها العذبتين ..
تهدجت أنفاسها أعلمها إنها تشعر بما يشعر أيضا .. الحمرة اللذيذة التي اعتلت وجنتيها و زادت عندما رأته يرفع أنامله من فمها و يمررها في فمه متذوقا رحيقها .. ابتسم لها بحنان و رقة أذابت ما تبقى في عقلها من سيطرة وقوة .. نظر للطبق ليقول و قد انتهي العذاب ..
_لقد أنهينا الطعام ..
ما أن أنهى الطبق حتى أتت المرأة و بدأت بفك قيدهم .. و نظراتهم لا تزال متلاحقة من فوق جسد المرأة..
أمسك كفها من جديد و اكملوا سيرهم ناظرين للافتات بتعريف كل مكان .. لم

يشدهم الكثير .. لكنهم توقفوا أمام مكان يسمي " بالمساج الصيني " و هو عبارة عن غرفة من الزجاج و الخشب المقوي ..

نظرت للمكان ثم نظرت له تقول بسرعة ..

_هنا .. سنجرب المساج الصيني .. لن ترفض سيف ..

هز رأسه بالرفض .. قائلا بجزم ..

_المكان ليس جيدا للتدليك .. هل ستعرين في مكان مغلق بقطع خشب رقيقة .. و أمام إمرأة أجنبية .. لا عزيزتي ..

برمت شفتيها بحنق و هي تنظر له بغيظ .. لكن في أعماق قلبها تعلم إنه لديه الحق .. لكنها بعناد قالت ساخرة ..

_حسنا ماذا تبقى من البرنامج اليوم و سترفضه ..

مط شفتيه بغضب لكنه قال بهدوء رغم غضبه و هو يعقد حاجبيه بضيق لأن القدوم هنا باء بالفشل في إحداث اليوم المثالي ..

ليقول بقهر ..

_لم يعد هناك أي برنامج هيا لنذهب ..

في السيارة كانت تجلس تنظر له من طرف عينيها .. ترى غضبه و عبوسه .. و قد كان هناك وسامة متوحشة تغطي وجهه .. داعبتها موجات مرحة لتزيح عنه الغضب ففي آخر الأمر هو لديه الحق في رفضه للأمرين و هي تحاول فقط الاعتراض .. هناك في أعماق قلبها و روحها أسعدها غيرته و خوفه عليها ..

_حسنا ابتسامة لن تقتلك ..

قالت بمرح و هي تنظر له بابتسامة شقية .. نظر لها من بين جفنيه ثم عاد بنظره للطريق .. و بشقاوة كانت تقترب منه تمد كفها لتمرر أناملها على جبينه المقطب ..

_هنا .. سنفك هذه العقدة هنا ..

نزلت بأناملها على وجنته قبل أن تسمعه يقول سخط محاولا طرد تأثره من حركة أناملها

على وجهه و التي كانت سببا في فرقعة الكثير من الألعاب النارية في جسده ..

_أحمق انا لأنني سمحت لك باستغلالي ..

جلجلت ضحكة عالية كتغريدة العصافير و هديل الحمام كانت تنطلق من قربه لتقول بشقاوة ..

_أحمق لطيف عزيزي سيف ..

قالت ذلك ثم اتجهت له لتقبل وجنته .. ليقبض بأنامله علي المقود مسيطرا على نفسه ليقول بخبث ..

_اهدئي يا امرأة .. ستتسببين بموتنا ..

_أطال الله عمرك عزيزي .. "قالت و هي تحتضن ذراعه و تقترب منه أكثر .. غير عابئة بتأثره بها .. لتكمل بمرح " إلي أين سنذهب ؟؟

_إلى مكان تأخرنا في الذهاب إليه ؟؟

قال بغموض لتنظر له مستفهمة .. لكنه ابتسم لها دون كلمة .. لتصمت منتظرة الوصول للمكان التالي ..

أخيرا كان يقف في سوق الجوهرات و أمام احدى المحلات كانت تنظر له باندهاش ..

ابتسم لها قائلا بتشويق ..

_هيا ..

بقلب يطير من بين ضلوعها .. تفكر إنه قد شعر بها .. شعر إنها بحاجة لخاتم زواج .. إنها بحاجة لشيء تلمسه و يوسم اسمها و اسمه معا ..

أمسك كفها عندما وصل لها و فتح الباب قربها .. ثم دخلا المحل بهدوء .. قابله صاحب المحل بترحيب شديد و كأنه زبون دائم لديه ..

_لقد أتى الطلب سيد سيف ..

_حسنا سنرى أولا مجموعة أخرى .. ما رأيك ريداء ؟؟

سألها بهدوء و ابتسامة عذبة .. ليقول الصائغ بابتسامة لبقة ..

_هنا سيدتي .. هذه مجموعة جديدة من خواتم الزواج .. تفضلي ..

رفع قطعة مستطيلة طويلة و عليها الكثير من خواتم الزواج .. نظرت لهم بانبهار .. ثم نظرت له مستفهمة تريد منه الاختيار ..

لكنه ابتسم لها قائلا

_حسنا .. أنا قد طلبت أن يتم صنع خاتم خاص لكِ .. لكن يحق لكِ الاختيار بينه و بين الآخرين ..

صنع خاتم لها .. خاص بها .. "تحدثت في نفسها بانبهار و تأثر .. و دموع حمقاء التمعت في عينيها بتأثر من الأمر .. لتقول بصوت أجش ..

_أحب أن أراه ..

نظر لها سيف مبتسما قبل أن يشير لصاحب المحل الذي أخرج من خزنته علبة متوسطة الحجم و وضعها على الطاولة الزجاج أمامهم .. انتظرت بشوق لترى الخاتم الذي كان مخصصا لها ..

فتح سيف العلبة .. لتجد خاتم بياقوتيتين على شكل قلب متقابلين متجاورين و بقربهم بعض حبيبات الماس الناعمة الصغيرة ..

رفع الخاتم لها .. ليقول لها بصوت ناعم ..

_انظري اسفل القلبين ..

كان الصائغ يمنحها منظار صغير مخصص لقطع المجوهرات .. وجدت نقش صغير على كل قلب .. فاستعانت بالمنظار لتضح لها النقوش و تجد اسمها و اسم سيف أسفل كل قلب ..

_حسنا ؟؟

لم تستطيع منع دموع الحب التي تساقطت على وجنتيها بتأثر و شغف له .. تضخم قلبها لهذا الحب .. و شعورها بات أصعب من أن تتفهمه .. و هي تقول بصوت ثخين من المشاعر ..

_سأختاره بالتأكيد ..

هز رأسه بالموافقة و هو يمسك الخاتم و يضعه في بنصرها اليمين .. و يقبله بشغف ..



دون أن تبالي بوجود الصائغ الذي بدأ بإعادة أشياءه .. رفعت نفسها على اناملها تهمس له باختناق ..

_أود معانقتك ..

فتح عينيه على وسعهما من جرأتها الكبيرة .. و قد شعر بقلبه ينفجر حبا لها ..

ابتسم بثقل رغم قلبه الذي ذاب بين أضلعه ..

_مجنونة .. كفي عن البكاء ..

قال و هو يمسح وجنتيها المبللتين .. و ابتسامته أذابت عقلها و قلبها معا .. و تأكيدا لكلمة مجنونة كانت تقبل وجنته سريعا .. دون أن تمنح أحدهم الفرصة لملاحظة ذلك .. فكانت قبلتها خاطفة سريعة ..

شكر الصائغ سريعا و خرجا معا ممسكا كفها .. لكنها لم تكتفي بذلك فقد احتضنت ذراعه بتملك .. أوصلها حتى السيارة و ساعدها في الجلوس في مقعد



الركوب .. انتظر للحظة قبل أن يميل عليها قائلا بهمس ماكر
_انتظرينا هنا لثواني .. سأعود بسرعة .. و لم ينتظر ردها أو تعليقا منها .. بل كان يسرع للمغادرة تحت نظراتها المستغربة و يختفي في احدي الأروقة الجانبية .. مقطبة حاجبيها باستغراب .. لكنها عادت للجلوس باعتدال على مقعدها و اتجهت نظراتها على الخاتم الرائع الجمال ..
ابتسامتها عادت لوجهها من جديد .. و حتى اللحظة لم تكن تصدق إنها بتلك الأهمية لدى سيف لكي يصنع خاتما لها .. لم تشعر إلا و سيف يفتح باب السائق و يدخل السيارة .. لم يمنحها فرصة للسؤال عن وجهته فقد مد كفه بباقة ورود حمراء و رائحتها الرائعة .. عبقها يدغدغ الروح ..
_لكِ .. ورود الجوري .. تماما كوجنتيكِ المضجرتين بالدماء ..

فتحت عينيها بدهشة لكلامه .. و هي تنظر لباقة الورد التي كانت قريبة جدا منها .. مدت كفها تمسك الباقة قائلة بدهشة متأثرة ..

_إنها رائعة سيف .. أوه ..

تنهدت بسعادة و هي تشتم عبق الأزهار الجورية الحمراء .. كانت أوراقها المخملية تداعب وجنتها .. سحب وردة صغيرة من الباقة .. قطع الشوك الصغير فيها ثم وضعها بين خصلات شعرها قرب أذنها اليمنى .. ثم نزل بأنامله يداعب أذنها برقة .. كانت تميل برأسها على كفه متأثرة بأنامله الدافئة .. و مشاعرها متأججة من الشغف و الحب .. أغمضت عينيها برقة و لم تفتحها إلا على قبلة ناعمة على وجنتها الدافئة و التي تشبه الورد الجوري الأحمر ..

_شكـرا ..

همست بها بصوت منخفض أجش ..

عندما ابتعد عنها و ذراعيها لا تزالان محتضنة الباقة و أناملها تداعب أوراق المخمل للورد الجوري ..

_هل تقصدين القبلة ؟؟

قال بخبث و هو يدير المحرك ليسير بالسيارة و يتجه للمكان التالي في خطته .. ابتسمت بخجل و هي تقول بصدق ..

_على كل شيء .. الخاتم و الورد و النزهة الرائعة ..

_لم ينتهي اليوم بعد يا غزالتي الخجول ..

قالها برقة و هو يغمز لها بأريحية .. ابتسم لها لتتسع ابتسامتها متسائلة بنعومة

_و إلي أين سنذهب الآن ؟؟

_سنتناول العشاء ..

قالها ببساطة .. لتنظر لثيابها المكونة من بنطال بيج ضيق و كنزة حمراء داكنة يتوسطها حزام أسود عريض .. و يعلوها سترة من اللون البيج ..

_لكن ثيابي غير مناسبة ..
هتفت بإنزعاج .. لكنه لم يرد سوى بابتسامة و قد تجاهل انزعاجها .. تذمرت كثيرا و تأففت أكثر .. لكنه قابل كل ذلك بالتجاهل البارد ..
لحظات حتى أوقف السيارة مرة أخرى و أخيرة عند الميناء البحري و كان هناك الكثير من اليخوت و السفن في الانتظار ..
نظرت له بتساؤل .. ليبتسم لها و كما خرج عند الصائغ أمسك كفها و ساعدها في الخروج .. نظرت للأضواء الصفراء و الذهبية التي تلمع تحت سماء الميناء .. تضيء المكان و تنعكس على مياه البحر فيعطي منظرا بديعا ..
_حسنا ؟؟
سأل بخبث .. لتنظر له ترد على سؤاله بسؤال مستغرب ..
_إلى أين سنذهب ؟؟ لا يوجد هنا أي مطعم للعشاء ..
قالت مستغربة و ذراع تتأبط ذراعه و الأخرى تحتضن بها الباقة الحمراء ..
_هيا و لا تفسدي المفاجأة ..
شدها من ذراعها و سار بها باتجاه السفن و اليخوت التي تنتظر .. و تحت نظراتها المندهشة كان يدخل يخت متوسط الحجم .. جديد الصنع .. أضيء بمجرد دخولهم .. كان الخشب لا يزال يلمع بدهان الزيت المستخدم ..
أنوار اليخت كان ملونة بين الأحمر و الأبيض و الأصفر .. تضفي جوا شاعريا في المكان .. مرورا بدرج صغير كانا يقفان علي سطح اليخت مبهورة بالمكان نظرت له قائلة بصوت مندهش فرح ..
_هذا رائع .. لا يصدق ..
_هل أعجبك ؟؟
سأل و هو يقف قربها و هي تدور حول

نفسها بانبهار .. لتقول بغير تصديق
_هل تمزح .. إنه أكثر من رائع .. هل هو ملكك ؟؟
سألت بصوت متعجب و هي تنظر بإعجاب لليخت .. هز رأسه بالموافقة لتقول بغير تصديق ..
_لم أكن أعلم إن لديك يخت ..
_هناك الكثير لا تعلمينه عني ريداء ..
قال بغموض مبتسم مبهما .. لتنظر له بعد تلك الكلمات .. لكنه لم يمهلها التفكير أكثر أو حتى التعليق فكان يمسك بذراعها و يدور بها بالمكان .. حتى اوقفها أمام طاولة عليها أشهى الأطباق في انتظارهم .. تتوسطها شمعدان مليء بالشموع الحمراء المضاء و شعلتها محمية من قوة الرياح علي سطح اليخت ..
_هل فركت الفانوس السحري ؟؟ من صنع كل هذا ؟؟
سألت و هي تبحث عن أشخاص آخرين .. لكنه ضحك سيف من خلفها قائلا ..
_إنها السيدة عزيزة .. سيدة من احدى شركات التنظيم ..
نظرت له بابتسامة و هي تقترب من الطاولة المعدة باتقان .. سمعته يقول
_هيا لنتناول الطعام قبل أن يبرد ..
جلست بمساعدته علي أحد المقعدين المحيطين بالطاولة .. و قد أخذ منها حقيبتها و الباقة و قد وضعهما في مكان ما .. ثم جلس قبالتها على الطاولة .. بدأ يتناول الأكل ينظر لها مستمتعا باستمتاعها و تلذذها في الأطباق المتنوعة أمامها .. لم يتناول الكثير فقد كان يكتفي بمراقبتها و كان يطعمها أحيانا بنفسه .. كانت سعيدة و هو يدللها بهذا الشكل الكبير و الذي لم تحظى به من قبل .. لا ليس من قبل .. فقط كانت مدللة والدها الحبيب رحمه الله

_لم تتناول الكثير ..

قالت فجأة له و هي تراه يرتكز بذقنه على كفه مراقبا إياها بابتسامة .. زادت ابتسامته و هو يقول بهدوء ..

_لا تهتمي كثيرا .. لست جائعا ..

هزت رأسها بالرفض قبل أن تمسك الشوكة الخاصة بها و تغرزها بقطعة من اللحم المشوي جيدا و اللذيذ الطعم ..

_هذه القطعة لذيذة جدا ..

قالت تمد الشوكة له .. تقربها من فمه .. ليبتسم لها و هو يتناول القطعة متلذذا في مضغها جيدا ..

_لذيذة جدا ..

قالها بخبث و فمه يلوك القطعة ببطيء شديد .. تضرجت وجنتيها بخجل من كلمته .. فامتدت كفها لتمسك كأس العصير لتبتلع طعامها الذي توقف في حلقها من شدة خجلها ..

أكملا الأكل ببطء و أمواج البحر تأتيهم من البعيد .. و سكون الليل من حولهم .. رائحة البحر و رائحة الورد الجوري بعبقه يتخلل المكان ..

_حسنا .. " قالت و هي تضع كأس العصير الذي كانت قد أنهته " لدي سؤال قد يزعجك ؟؟

قالت لينظر لها فجأة مستغربا كلماتها .. لكنه لم يظهر ذلك و هو يعود بظهره للخلف يراقبها بعيون ناعسة خبيثة .. و هو يخفي توتره .. قال بشكل هادئ ..

_إسألي ..

_عمتنا .. لماذا تتعامل معها ببرود ؟؟

جفل للحظة لكنه ابتسم بسخرية قبل أن يمسك بكأس عصيره يرتشف منه القليل ..

_عمتنا الفاضلة .. تكرهني .. تكره رؤيتي و تواجدي في نفس المكان .. ببساطة رفضتني كالجميع .. لكنها كانت تقول ذلك

في الوجه .. بعيدا عن الأعين ..

_ماذا ؟؟

سألت مصعوقة من الجواب .. هل العمة الطيبة تقوم بذلك ؟؟ إنها تقدم الخير لكل الناس .. كيف تكره وجود طفل تيتم و قهره والديه قبل المجتمع ..

_لا تصدمي كثيرا .. كانت تكره إنني أعلم حقيقتها ..

_هذا غير معقول ..

قالت تهز رأسها بالرفض .. لكنها للحظة تفكير .. تذكرت كيف كانت عمتها تعامل سيف في احدى المرات بعيدا عن الأعين .. و كان دائما ما يرد عليها بابتسامة تزيد من غيظها ..

_و لماذا قد تفعل ذلك ؟؟

_لأنني أصبحت الوريث بدلا من ابنها .. قانون جدي كان يقول إن الذكر دائما ما يأخذ الورث أيا يكن من أحفاده .. و بما إن والدك

لم ينجب غيرك فكان الميراث سيكون من نصيب حداد ابنها .. ما لم تكتب وصية بالتأكيد .. و بوجودي أصبحت الوريث الشرعي .. و جدي لم يكن لديه النية لكتابة وصية .. أنت لا تصدقين الأمر ..

قال بواقع مرير .. لكنها نفت بسرعة و هي تقول

_لا .. بالتأكيد لا .. أنا فقط لم أكن أظن إن عمتي ستكون بهذا الشكل .. كنت صادقا عندما كان من المفترض أن تكون أما بديلة لنا .. سامحها الله .. يبدو إنني أزعجتك بالأمر ..

أنهت كلمتها بأسف .. لكنه منحها ابتسامة ..

_لشدة الألم تخدر الوجع ريداء ..

هتف بها لتتوجع نبضات قلبها .. ابتسمت بألم له تواسيه .. لتقول فجأة مغيرة الموضوع ..

_لم اكن أعلم إنك تفقه الكثير في الدين و تعرف أحكاما لا يعرفها الكثير .. فقط كنت أظنك كباقي رجال الأعمال ..

_فاسدين ؟؟

سألها و هو يضحك بقوة .. فهزت كتفيها .. ليبتسم قائلا ..

_لا تنسي إن خالد يعد رجل أعمال أيضا ..

قال يذكرها بأخيها خالد الذي تعشقه كأخيها .. الرجل الوقور ابن الحاج أبو خالد .. هو يعلم تقديرها لأخيها .. و يحاول إبعاد أي غيرة ليست في محلها ..

أثارت ضحكتها الرقيقة وجهها قبل أن تقول بتأنيب ..

_ أنا لم أقصد .. أنت فقط ..

لم تكمل فقط هز رأسه ليكمل عنها قائلا ..

_لا أظهر كأن لدي بعض الدين .. حسنا .. أنا تعلمت كل شيء عن ديننا الإسلامي

من والدك .. كان هو معلمي رحمه الله ..

_رحمه الله .. كان يعتبرك ابنه .. لو كان عمي موجود لم يكن ليعاملك بمثل حنيته .. كان طيبا مع الجميع ..

قالت بابتسامة لذكري والدها الطيبة .. ليقول هو بألم ..

_لو كان عمك موجود لم يكن سيعطيني نظرة واحدة ..

لاحظت إنه قال "عمك" و لم يقل "والدي" و هذا آلمها .. إنها حتى اللحظة لا تدري كيف أتي و كيف أصبح بينهم .. حتى والدتها كانت تكره سيرته و الحديث عنه .. فقط كانت تناديه باللقيط .. و والدها كان دائما يتحدث عنه بالخير .. يقول إنه صبي ذكي .. و تألم كثيرا .. لكنه لم يخبرها عنه شيء .. معرفتها كانت تقول إن لديها ابن عم أتي من مكان ما .. و قد كان يفسد عليها الكثير من اللحظات مع ابن

عمها فكانت تكرهه ..
هذا لم يعد يحدث .. هي الآن تعشقه بقوة .. بل تذوب عشقا فيه ..
_أنا لا أعرف ما حدث بالماضي سيف ..
قالت فجأة ليشعر بسهام أليمة في قلبه ..
نظر لها بجرح للحظات .. قبل أن يغمض عينيه قائلا بجفاف ..
_لا أظن إن استحضار الماضي سيغير من المستقبل .. دعيه نائما لحين وقت إيقاظه..
_حسنا أنا آسفة ..
قالت باعتذار صادق .. ليبتسم لها مخففا تأنيب الضمير عنها .. ليقول لها بحنان ..
_لا تهتمي يا حلوتي .. "صمت للحظة قبل ان يقول برقة" هل نرقص ؟؟
_هنا ؟؟
سألت مستفهمة .. ليبتسم لها و هو ينهض متجها لمكان ما خلفها و يصدر أصواتا

كتومة قبل أن تصدح الموسيقي الهادئة .. ثم تقدم منها قائلا و هو ينحني قربها بطريقة تمثيلية ..
_هل تسمحين بهذه الرقصة أميرتي ؟؟
ضحكت برقة و هي تضع كفها في كفه المفتوح أمامها .. ثم تنهض مستعينة به .. شدها لأحضانه يتنفس عبقها اللذيذ ..
وضعت ذراعيها على صدره تستشعر نبضات قلبه تحت كفها .. ليبدأ قلبها بالتصارع مع نبضاته ليتضخم بحب لهذا الرجل الضخم و الذي يحتضن خصرها و يقربها منه يود لو يزرعها مكان قلبه بين ضلوعه الكبيرة الشديدة .. لكن حتى ضلوعه أصبحت مريضة و لم تعد ذات فائدة لقلبه العاشق ..
رفعت أناملها ببطء لتحتضن عنقه .. و على أنغام الموسيقي الدافئة كانا جسديهما يتمايلان بتناغم .. مررت أناملها

على خصلات شعره القصيرة . . تداعب
عنقه . . مشاعرهما متأججة فيما بينهم
. . أنفاسه متهدجة تضرب جانب وجهها
. . شدته من عنقه و هي تنظر لعينيه
الرصاصيتين . . و تقول بصدق و تأثر . .
_شكرا لهذا اليوم الأجمل في حياتي . .
قالت و هي تحتضن عنقه و تشده بقوة قبل
أن تضع رأسها على كتفه و ذراعه ترتفع
على ظهرها تضمها أكثر . . شعر ببعض
الرطوبة على كتفه حيث تضع رأسها . .
ليرفع رأسه قائلا برقة و هو يمد كفه ليبعد
رأسها و يمسح دموعها قائلا برقة . .
_حتى و أنا أفسدت عليكِ اليوم لمرتين ؟؟
_كان لديك الحق في ذلك . . "قالت
بابتسامة حرجة قبل أن تكمل بشكر و
عرفان " شكرا لك . .
_أنت على الرحب يا حلوتي . . لكن ما
سبب هذه الدموع ؟؟

ابتسمت لعينيه الآسرتين لقلبها . . لتقول
بعيون دامعة جعلت عيونها كبحيرتين
غائرتين . .
_لأنني سعيدة جدا . . شكرا سيف . .
شكرا لكل سنين حياتي . .
_هل تعبرين عن السعادة بالبكاء أيتها
الشقية . .
نجح في إبعاد الدمع عن عينيها و هي
تضحك بقوة بين ذراعيه . . أخفض رأسه
ليقبل وجهها بنعومة . . ثم انتقلت شفتيه إلى
فمها الندي المبتسم . . و الذي سكت عن
الضحك . .
استشعرت قبلته و دارت بها الدنيا . . مرت
قشعريرة على جسدها جعلتها ترتجف بين
ذراعيه . . تأثرا بقربه . . فابتعد عنها و
هي مغمضة العينين . .
_هل تشعرين بالبرد ؟؟
_أجل . .

سألها باهتمام .. ابتسمت له ابتسامة مرتجفة و هي تقابل نظراته السعيدة و الشغوفة بها و قد خجلت أن تخبره إنها ترتجف لقربه منها .. ليهز رأسه ببطء يقول لها باهتمام ..

_إذا لنذهب لجلب الشقي الصغير ..

هزت برأسها بالموافقة ليتركها و قد هاجمتها موجة باردة بعد أن شعرت بجسدها وحيدا من دونه .. اتجه لحيث كانا يجلسان ليجلب حقيبتها و باقة الورد الكبيرة أخذتهم منه بابتسامتها الحلوة .. ثم تأبطت ذراعه لتسير معه لخارج اليخت مفكرة باستغراب انها قد نسيت كل شيء يتعلق بأخيها بمجرد ان تمتعت بيومها مع سيف .. نظرت له من اسفل جفنيها و ابتسامة تزين وجهها و قلبها يتراقص بين أضلعها يقول إنه نسي كل شيء بوجود سيف ..

في الساعة التالية كانت تسير بقربه يدخلان المنزل و أخيها بين ذراعيه نائم بسلام و قد انهكه اللعب طوال النهار مع "منه" و خالد .. و هذا ما أشعرها بتأنيب الضمير لأنه كادت تفسد يوما جميلا كان الأجمل في حياتها ..

دخل الغرفة ليضع الصغير في فراشه يقول ببسالة

_إنه يشبهك ريداء ..

قال و أنامله تسير على خصلات شعر مؤيد البنية .. لتبتسم ريداء و هي تقترب منه بعد أن وضعت الباقة على طاولة الزينة ..

_سيكون وسيم جدا عندما يكبر ..

_هذا من حظه ..

قال سيف و هو ينقل نظره لها و يقف قريبا منها بعد أنفاسها بل يشاركها بها عيونه الرصاصية تجتاح كيانها .. و تتناقل بين ملامح وجهها .. ليقول بصوت أجش

_اذا لقد كان يوما ممتعا .. سأتمنى لكِ

أحلاما سعيدة الآن . .

_شكرا لهذا اليوم مرة أخرى . . كان الأفضل في حياتي . .

ابتسم ابتسامة ناعمة لذيذة و هز رأسه . . قبل أن يخفض رأسه و يقبل وجنتها المحمرة و المتدفقة بها الدماء بشدة بسبب قربه و يهتف بهمس . .

_تصبحين على خير . .

راقبته و هو يخرج من الغرفة و الابتسامة لا تزال على شفتيها و قلبها يغرد كعصفور الحب . . بمجرد خروجه كانت تدور حول نفسها بهيام كبير و غرام له . . ثم ارتمت برقة على السرير و فراشات الحب ترفرف حولها بحالمية . .

اتجه لغرفته بعد يوم طويل . . قضى اليوم كله في الآخر . . لقد آن الأوان ليظهر ضعفه فكر بضيق . . فقد تكابر كثيرا علي آلام جسده . . و قد زاده الألم ذكرها للماضي

. . اتجه إلى أدويته ليتناول مسكناته التي تقتل ألمه . . لا بل تسكنها لوقت قليل . . يشعر بثقل كبير على جسده . . سببه التعب و الإرهاق . .

تناول مسكناته و أخذ حمام ليبعد التعب و لو قليلا . . لكن ذلك لم ينجح ليتجه إلى السرير ليلقي بتعبه بين أغطية السرير . .

&&&&&&&&

نظرات طفل صغيرة و الدمع يملأ عينيه ينادي بصوت متوسل . .

_أمي . . . لا تتركيني هنا . . أمي . .

لكن المرأة كانت توليه ظهرها و تسير دون أن تلقي عليه حتى نظرة أخيرة . . لم يدرك و هو بعمر السابعة معنى أن تتركه أمه في هذا المكان الذي أشبه بسجن . . كل ما كان يهمه و يدركه إن أمه تتركه بين الغرباء و المرأة الشريرة حسب فكره تمسك برسغه كقيد من حديد . . تمنعه من الحركة و اللحاق بوالدته

الجاحدة القاسية .. شدته المرأة أكثر بقسوة لداخل المكان متجاهلة صراخه و بكاءه.. عرق تصبب علة جبينه و رأسه يتقلى علي الوسادة .. وجنتيه محمرتين و تنفسه متسارع .. بل هو يصارع في التنفس .. شهق أخيرا و عيونه تفتح علة وسعهما يلهث مطالبا للهواء و جسده يرتعش من الحرارة المرتفعة .. منزعج من ذلك الحلم بل من الذكري القاسية و التي أصبحت كابوسا على مر سنون حياته الماضية و حتى هذا اليوم ..

نزع عنه الغطاء بقسوة متجها للحمام ليغسل جسده المنتفض ليخفض حرارته العالية و يبعد عنها ذكرى الكابوس المزعج .. الذي لم يستغرب هجومه على نومه هذه الليلة .. "فكر و هو يرتعش تحت الماء البارد الذي يساعد في خفض حرارته" .. فمشهد مؤيد الليلة السابقة و هو يناجي أخته لتأخذه من بين أحضان زوجة خالد .. جعل ضميره مثقل بالألم و ذكرى ماضية قدمت بقسوة من جنبات الماضي ..

بعد أن شعر بانه اكتفى من الحمام البارد خرج لافا جسده بمنشفة .. جفف شعره و تناول قرصين من أدويته قبل أن يرتدي ثيابه .. و يتجه لغرفة ريداء ليأخذهم في نزهة صباحية و معهم الصغير كاعتذار له لأنه نفاه في يوم الأمس..

بعد عدة دقائق كان يطرق باب غرفتها بخفة .. انتظر للحظات حتى خرجت ريداء من غرفتها تفرك عينيها الناعستين و تقول بصوت ناعس

_ما الأمر خالة فضيلة ؟؟

ابتسم لصورتها الطفولية و الجديلتين البنيتين مشعثتين من أثر النوم .. مرر نظره بتسلية علي رداء نومها الوردي الذي يصل لركبتيها و على صدرها مرسوم إحدى صور الكرتون

وجنتيها محمرتين من النوم و لم يقاوم تقبيلهم و هو يدنو منها يمرر شفاهه علي دفء وجنتيها الناعمة .. ليذهب نعاسها في أدراج الريح و هي تفتح عينيها قائلة بدهشة..

_سيف !؟

مررت كفيها على شعرها تتفقده تبسم لها قائلا بحلاوة

_صباح الخير غزالتي الصغيرة .. لم أقصد أن أوقظك ..

تلونت وجنتيها بخجل و هي تقول بتلعثم و ابتسمت له ..

_لقد تأخرت بالنوم ..

_إذا .. لقد فكرت بالاعتذار للصغير بأخذه لنزهة صباحية في الجانب الآخر من المزرعة ..

ازدادت ابتسامتها كثيرا و هي تقول بامتنان و تشويق لتفكيره بأخيها ..

_لقد آن موعد استيقاظه الآن .. ريثما نجهز الأشياء للنزهة سيبدأ نشاطه سريعا ..

هز رأسه مبتسما قائلا بسرعة ..

_جهزي ألعاب الصغير و ثياب له .. و سأذهب لأخبر الخالة فضيلة أن تجهز لنا طعام يكفي لوجبتي الإفطار و الغذاء ..

_سنقضي وقتا طويلا ..

سألت مستفسرة .. ليهز رأسه بالإيجاب و هو يقترب منها مقبلا فمها بسرعة لتلمع عينيها بحب قبل أن يهتف بجرف ..

_ديدا ..

صرخ صوت شقي من خلفها ليبتسم سيف قائلا

_ها قد استيقظ الشقي .. جهزي نفسك بسرعة ..

قال ثم غادر المكان سريعا .. تتبعه نظراتها حتى توارى أسفل السلم ..

اتسعت ابتسامتها و هي تتجه للصغير المتشبث بأعمدة السرير يحاول الخروج بلا فائدة..

_هيا يا صغيري .. فضمائرنا مثقلة بما فعلناه بك يوم أمس ..

و كأن الصغير فهم حديثها فيضحك متشفي بهما .. حملته بين ذراعيها و قبل أن تخرج قابلتها صورتها المشعثة في المراه .. لتضع كفها على وجهها تقول بخجل ..

_كيف نظر لي بهذا الشكل ؟؟

بعد كثير من الوقت قضوه معا في اللعب و الركض خلف الصغير الذي وجد أرضا شاسعة يلعب بها بحرية .. إلى جانب الأرض كان هناك بحيرة صغيرة مسيجة و لها باب .. فكان يلاعب الصغير بالمياه قليلا ثم أغلق الباب لكي يكون حاجزا أمام الصغير .. و بعد الكثير من الوقت و الكثير من اللعب كانوا يتناولان طعام الغذاء .. الذي امتلأ بصرخات و ضحكات الصغير الذي امتعهم .. و ها هم بعد لحظات جلست تناغش أخاها الصغير بشقاوة ..

نظر لها تلاعب الصغير بحنان كبير .. نظراته اتجهت إلى الصغير الذي يلاعب خصلاتها البنية الشقراء يشدها قليلا ليسمع صوت تأوها صغيرا منها فينفجر مؤيد ضاحكا ابتسم سيف بحب لقد أحبه جدا .. و مؤيد أيضا يحبه ..

فسرعان ما تنفرج أساريره عند رؤيته لسيف .. و يطلق ضحكات عالية يهتف بكلمات عديدة ..

_سيف إنه يلفت إنتباهك ..

انتبه سيف لتلك الكلمات من غزالته الحبيبة و صورة ابتسامتها الرقيقة تعذبه دوما .. ابتسم لمؤيد الذي ينظر له بانتظار الحيز على انتباهه .. ليقوم بشد خصلات شعر ريداء التي تسقط علي وجه الصغير اللذيذ ..

ضحك على صوت ضحكات الصغير و هو ينظر له يستمتع بعقاب أخته ..
كشر سيف عن أسنانه بطريقة زائفة قبل أن يحمل الصغير و يرفعه عاليا .. ثم ينزله لأنفه و يدغدغ عنق الصغير بأنفه كعقاب له
_أيها الشقي الصغير تمتع بتعذيب أختك .. سيأكلك الذئب الآن ..
و قرب فمه من خد مؤيد يأكله بأسنانه فيطلق الصغير ضحكات مغردة محببة للقلب .. ضحكات مغردة أخرى بل كهديل الحمام انطلقت من قربه .. نظر لها لتأسر قلبه مرارا و تكرارا بوجهها المشرق و الجميل ..
وضع الصغير على الأرض قبل أن يقترب منها قرب أذنها و أسنانه تقضم شفته بتعذيب يقول بصوت منخفض
_ما كان لي أن أستمع لكلامك في تحديد الزفاف ..
كحت بخجل و وجنتيها تشتعلان بخجل كبير

لم ينتبه كلاهما للصغير الذي يحاول لفت إنتباهه .. فسيف كان يخبأ وجهه بين خصلات شعرها المسترسلة كأشعة الشمس على وجهه تداعبه بحنان .. و فمه يسير على صدغها تعذبها و تهج أنفاسها ..
"آه" صغيرة خرجت من فمه الذي يداعب أذنها ليبتعد عنها بسرعة و ينظر كلاهما للصغير الذي كان يقرض بأسنانه فخد سيف..
_أيها الفأر الشقي .. ضحكت ريداء على كلاهما .. نظرات مؤيد الذي ابتسم و اظهر اسنان صغيرة لكن قاسية .. و على سيف الذي يفرك فخذه أثر العضة ..
_سعيدة أيتها اللئيمة .. هناك من يدافع عنك ..
قال ذلك و هو يدغدغ صدر الصغير الذي يطلق ضحكات فرحة ..نظرت لهم سعادة أحب الأشخاص على قلبها ..

يشكلون أسرة جميلة .. تحدث قلبها الذي يرفرف حول الرجلين الوسيمين .. و ابتسامة كبيرة تشق وجهها الندي و الجميل ..

&&&&&&&&

لم تستطيع النوم طوال اليوم فكرت ريداء بذلك و هي تنظر لثوبها الأبيض المعلق أمامها و الذي جلبه لها سيف و غصة تستحكم قلبها .. يوم زفافها ستكون وحيدة أيضا .. لا يوجد من يقف قربها يتأكد من زينتها .. يثني جمالها .. يخبرها إنه لا يوجد هناك أي شيء يدعو للتوتر ..

مضى أسبوعين بسرعة البرق .. لم ترى فيهما سيف كثيرا فقد أخبرها إنه يحتاج لقضاء أيام ما قبل الزفاف في المدينة لينهي أعماله الخاصة في شركته و مصنعه .. كما سيجري تجديدات على منزل الجد و الذي هو بالأصل ملكه .. فقد رفض الجد أن يسكنون في مكان بعيد عنه .. كما أخبرها

بأن لا هناك أي داعي للقلق بسبب جهاز العروس لأنه قام باللازم و قد رفضت الأمر .. لكنه لم يبالي برفضها .. يكون مقيت كثيرا فكرت و هي تنهض عن سريرها الكبير .. الليلة الأخيرة لها هنا .. لا داعي للحزن .. فكرت بأسي .. أنت لست ككل عروس ستحزنين لفراق الأهل و هجر فراش الطفولة ..

فهي لم تملك يوما منزلا يسمى بيتها بصدق .. منذ وفاة والدها كانت دائمة الترحال بين منزل جدها و منزل العم أبو خالد ..

تنهدت بعمق قبل أن تتجه إلى الصغير الذي يلعب في الألعاب المتحركة فوق سريره .. و كان قد استيقظ منذ وقت دون أن يحاول الإزعاج .. كأنه يعلم بما يجول بخاطر أخته القلقة .. منحها أجمل ابتسامة ليختلج قلبها حبا له .. فحملته بين ذراعيها و هي تقول بأسى ..

_أنا اليوم عروس .. أخبرني مؤيد إن كل شيء بخير هنا ..

قالت و هي تحتضن جسده كثيرا لحضنها .. ليلف ذراعيه حول عنقها بمحبة و مواساة .. قطع لحظات المحبة بين الأخوة طرقات مرحة علي الباب .. و قد كانت تتمنى أن يكون سيف .. فاتجهت سريعا إلي الباب و تمنع اللهفة لكي لا تصاب بالخيبة .. لكن ما رأته خلف الباب أصابها بالدهشة ..

_صباح الخير يا عروس ..

هتفت كلا من نور التي تحمل صغيرتها و "منه" ببطنها القليلة البروز .. لتنظر لهم بفم مفتوح و قد صدمها وجودهم كثيرا .. لكن تقريع السيدة من خلفهم هو ما صدمها أكثر ..

_هيا للداخل ..

دخلن الثلاثة إلي الداخل و معهم الخالة فضيلة تبتسم بسعادة حقيقية .. نظرت لهم ريداء باستغراب و عقلها يدرك إن تلك السيدة هي والدة "منه" و نور فقد رأتها في يوم زفافها واليوم التالي له ..

قالت "منه" بمرح ..

_حسنا .. حسنا إنها مستغربة وجودنا .. انظروا لها ..

تلقت "منه" ضربة علي ذراعها من شقيقتها نور التي قالت بحنان ..

_عزيزتي .. نحن هنا لنساعدك في يومك الكبير .. إنه اليوم الأفضل لأي فتاة .. لقد طلب عريسك من خالد إن كان بإمكاننا مساعدتك .. و لن نرفض ذلك ..

_يكفي يا فتيات .." قالت الأم بجزم و هي تسمع ثرثرة بناتها لتقوم بشكل آمر" هيا لنقسم العمل .. فضيلة أحضري فطور للعروس فلديها يوم مليء بالأشغال .. تحتاج لطاقة .. حبيبتي ريداء سلمي الصغير

ل"منه" و اذهبي لأخذ حمام منعش طويل .. ساعديها نور عزيزتي .. وقت التدليل يا عروس

هتفت بالكلمات الأخيرة ببعض المرح و هي تضع بعض الحقائب على الأرض .. نظرت لها نور قبل أن تضع الطفلة الملتفة بغطائها على السرير و تخلع عباءتها و قد ارتدت من تحتها سروال أسود و قميص طويل باللون الوردي .. ثم اتجهت للحقائب الموضوعة على الأرض لتفتحها و تخرج منها بعض العلب المعطرة ..

كل هذا أمام أعين ريداء التي تكاد تبكي من صدمتها و سعادتها و قلبها يرقص فرحا مرددا كلمة "لست وحدي" شعرت بأخيها ينسل من بين أحضانها لتجد "منه" تمسكه قائلة ..

_هيا اذهبي مع نور و سنطعم هذا الصغير..

_ددا ..

هتف بها الصغير و هو يمسك بغطاء الرأس الخاص ب"منه" لتضحك له و هي تقول بتقريع مرح ..

_أيها الشقي ..

ابتسمت له ريداء لأول مرة منذ دخولهم .. و من خلف باب الحمام كانت تناديها نور .. نظرت لهم بحرج و هي تتجه إليها ..

_عزيزتي .. هنا خذي حماما هادئا لا زال الوقت مبكرا .. لقد ملأت المغطس بالمياه الدافئة و بعض العطور المهدئة للأعصاب .. اجلسي هنا و اتركي لنفسك العنان للراحة .. و لا تفكري بشيء ..

قالت نور بكياسة و حنان لتنظر لها ريداء و هي تقول بتلعثم ..

_أنا ....

و سرعان ما خرجت دمعات متلاحقة على وجهها دون أن تجهش بالبكاء ..

_أوه حبيبتي هوني عليك .. نحن هنا سنكون بقربك .. لا تقلقي ..
قالت نور و هي تربت علي كتفها و ابتسامتها الحلوة تزين وجهها .. لتمسح ريداء عينيها بحرج و تحاول الابتسام لنور التي قالت بمرح ..
_سأتركك الآن لتستمتعي بحمامك .. عن إذنك ..
الروائح التي تنبعث من حوض الاستحمام كانت جميلة تبعث للراحة .. فكرت ريداء و هي تخلع ثيابها بعد أن تركتها نور وحدها .. انخفضت بهدوء في المياه الدافئة .. و سمحت لنفسها بالراحة و السكون .. دون أن تمنح نفسها التفكير .. همسات من خلف الباب كانت تصل لها .. بعض المرح من الاختين و التقريع من قبل والدتهن .. ابتسمت بنعومة و خاطر من بعيد تمنى أن تكون من هذه الأسرة المحبة .. و خاطر

آخر كان يتمنى لو كانت والدتها معها الآن .. رغم إنها لم تشعرها يوما بأنها أم تحب ابنتها ..
&&&&&&&&
في حديقة المنزل .. كان يقف سيف مراقبا العمال الذين أتوا لتزيين الحديقة التي ستكون مكانا لحفل الزفاف .. بقربه خالد الذي قدم مع أسرته بناءا على طلبه .. ابتسم له باحترام .. لقد فكر مطولا مدة اليومين الماضيين في الحديث مع خالد .. فهو يعلم بما ستفكر به صغيرته و بوحدتها التي ستعيشها في يوم زفافها .. خاصة إنه يدرك إن عمته لن تتنازل من أجل ابنة أخيها مقابل تعكير يومه .. و قد نجحت .. فابنة أخيها في حاجتها .. لكن تعلقها الكبير في خالد كان كطوق النجاة له .. كان الحل ليشعرها إنها ليست وحيدة و هناك أناس ينتظرون الإشارة ليدخلوا حياتها .. فكان

يجب لشعور الوحدة أن يختفي من قلبها و روحها .. شعور الوحدة الذي شعره في عقد قرانه و رآه في عمق عينيها اللتان كانتا تستنجدانه ذلك اليوم ..
في اليوم السابق كان يتجه لمنزل خالد و يخبره عن رغبته في قدوم أسرته لمساعدة ريداء .. متجاهلا كبرياءه و حرجه من الطلب في سبيل سعادة حبيبته الجميلة ..
و كان خالد يقبل بل تصدر الأمر و هو يخبره إنه سيجلب عائلة زوجته أيضا من أجل الصغيرة ريداء .. في يومها الخاص ..
سيذهب بعض لحظات .. يحتاج أن يراها .. يحتاج أن يطمأن قلبه إنها بخير .. يريد رؤيتها لكي يرى ردة فعلها لهجوم عائلة خالد الغير متوقع .. وعد نفسه بذلك و هو ينظر لخالد الذي يقف قربه و يراقب العمال بل و يعطيهم رأيه للحظات ..
_شكرا لك ..
قالها بامتنان .. ليبتسم خالد قائلا بتأنيب ..
_كف عن الشكر .. هذا واجبي ..
"منحه سيف ابتسامة ممتنه ليقول خالد مستفسرا " هل ستبقى هنا بعد الزفاف ؟؟
_كنت سأذهب إلى المنزل في المدينة .. لكن يصعب على جدي السفر ليلا إلى المدينة .. و هناك الصغير أيضا ..
_ابقيهما هنا .. و أنا و "منه" سنعتني بهما .. خذ عروسك و اتجه إلى عش الزوجية ..
قالها خالد بحزم .. لينظر له سيف قائلا بعبوس رافضا وضع الكثير على عاتق خالد ..
_لا .. أنا أرفض ذلك .. سنقضي ليلتنا هنا أنا و ريداء و غدا سنتجه جميعا إلى المدينة ..
_يا إلهي سيد سيف .. هل تود وضع

العوائق و الحواجز بيننا ؟؟ إن كان ذلك .. فسنتحدث برسمية .. عن إذنك ..

قالها خالد بقهر واضح و الانزعاج على وجهه .. لكنه قبل أن يبتعد كان سيف يضع كفه على كتفه و قد شعر بالانزعاج لأنه رد له المعروف بالنكران ..

_اعتذر خالد .. أنا فقط لا أريد زيادة الأمر على عاتقك ..

_لكنني لم أشتكي لك .. أنا من يعرض عليك ذلك .. أنت العريس هنا .. و فكر بنفسك اليوم فقط .. خذ عروسك و اتجها إلى منزلكم و غدا سآتي بجدك و الصغير .. سأهتم بهم جيدا لا تقلق ..

قالها بجزم و كلماته تنضح بالمحبة و الاحترام .. لم يتسلط و لم يأمر كان يتحدث بلطف و هذا ما أخجل سيف و عقد لسانه عن الرفض .. فكان يبتسم لهذا الرجل الشهم و الذي تمنى لو كان الأقرب له في هذه الحياة

_شكرا لك مرة أخرى ..

ابتسم خالد بتسامح قبل أن يقول بهدوء ..

_لا داعي للشكر .. لقد اكتفيت منه اليوم ..

ابتسم له سيف بامتنان و هو يعود بنظره للعمال الذين يرتبون المقاعد و الطاولات المزينة في الحديقة .. ثم أخبر خالد إنه سيذهب ليرى جده .. ليخبره خالد إنه سيبقى هنا مراقبا للعمال ..

دخل المنزل متجها إليها يريد الإطمئنان عليها .. و على الدرجات الأولى للسلم كان يباغته دوار شديد .. على أثره مد كفه يمسك سور الدرج كي لا يفقد قوته و يخر فاقدا للوعي ..

منذ الصباح و هو يدور في المكان للتحضير للزفاف .. الأسبوع الماضي كان عمله يكثر و لم يكترث لمرضه .. فقط يكابر .. لكن أن يأتي تبعات التجاهل و المكابرة في هذا

اليوم .. يوم زفافه .. لا لن يسمح بذلك .. قال في نفسه بقوة .. ليتحامل على نفسه و يستعيد قوته .. مرتكزا على سور السلم منتظرا للحظات لكي يسيطر على ألمه .. يحتاج لزيادة جرعات دواءه .. سيستشير طبيبه أولا .. لكن يجب أن يتناول بعض المسكنات و المقويات التي ستجعله أقوى في يوم طالما حلم به ..

&&&&&&&

بعد مضي نصف ساعة كانت تغسل جسدها و شعرها بأحد الشامبوهات التي تركتها لها نور .. و ثم جففت نفسها و شعرها و ارتدت ثوبا خفيفا يصل لمنتصف الساق كانت قد وضعته لها نور ..

خرجت بحرج تلف المنشفة على شعرها .. كانت الغرفة مليئة بالحاجات .. و الهرج يملأها .. صينية طعام تنتظر قدومها .. الصغير على الأرض بين ألعابه و يطلق أصواتا

مرحة سعيدا بالهرج الكبير و الشغب في غرفتها .. الأم ترتب الأشياء بمساعدة نور و "منه" تسير بغير هوادة في الغرفة .. أول من انتبه لها كانت الأم التي قالت بحنان ..

_تعالي حبيبتي .. تناولي طعامك هيا ..

تقدمت من صينية الطعام و بدأت بالأكل هي لا تزال صامتة تتابعهم بنظراتهم ..

سمعت نور تقول بتذمر لوالدتها ..

_أمي انظري ل"منه" إنها تدور بالغرفة دون أن تقوم بشيء ..

_ماذا سيدة نور ؟؟

قالت "منه" بتعجرف و هي تضع كفيها علي خصرها .. لتقول الأم بتعنيف ..

_هيي يا فتيات .. أنتم متزوجات إحداكن أم و الأخرى على وشك ذلك .. تتصرفان كالأطفال ..

لم تمنع ريداء نفسها من الضحك عليهن لتنظر لها الأم بابتسامة لتعود للعمل .. و معها نور

انهت ريداء طعامها و نهضت لتتجه حيث الأم ترتب أدوات الزينة الخاصة بالوجه و الشعر . .

_أريد أن أسرح شعري قبل أن يجف كليا . .

هتفت بخجل لتقول لها الأم بسرعة . .

_تعالي لأسرحه لك حبيبتي . .

نظرت لها بصدمة . . "تسرحه؟؟ الآن ؟؟ منذ متي لم يقم شخص بتسريح شعرها لها ؟؟ منذ السادسة تقريبا . . عندما بدأت والدتها بالنفور منها "

كم من مرة تمنت لو كان هناك من يقوم بتسريحه . . راقبت الأم ارتجاف ذقنها و ارتعاشه بتأثر . . فعلمت ما يدور في خلد الفتاة المسكينة . . تبسمت لها بمواساة و هي تجلسها علي المقعد الخاص بالزينة . . نزعت عن شعرها المنشفة و بدأت بتمرير فرشاة الشعر في خصلات شعرها الشقراء البنية . . و عيونها تتابع المشاعر المتعددة

على وجه ريداء . .

_شعرك يذكرني بشعر نور . . رغم إنها كانت تتذمر من تزيين شعرها . . و قد كانت تقريبا تشبه الفتي . . حتى أتت "منه" و كانت فتي حقيقي بتصرفاتها الحمقاء الأخرى . . حمدا لله إنهن كبرن الآن . .

ضحكت ريداء برقة و هي تستمع لتذمر أم نور . . و سمعت نور تقول لشقيقتها بمفاجئة مزيفة . .

_"منه" أمك تنشر معلومات طفولتنا . . أمي أنا كنت فتاة هادئة . .

_هادئة ؟؟ "قالت الأم بصدمة . . قبل أن ترفع فرشاة الشعر مهددة " ذكريني من الذي نكش عش النحل و انتفخت يداه . .

_نور . .

هتفت بها "منه" بشماته و هي تبتسم . . لتخرج لها نور لسانها بغيظ لتكمل الأم

_و من الذي ضرب الفتي بعصاة المكنسة

يوما لكونه أخطأ العنوان ؟؟
_منه . .
قالت نور هذه المرة . . ليظهر الغيظ على وجه "منه" و لم تتمالك ريداء نفسها و كانت تضحك من قلبها . . ابتسمت الأم بعد ان نجحت في إسعاد قلب ريداء . . عادت لتسرح شعرها الناعم و الذي تهدل على كتفيها . .
_ألم تتفقي مع مصففة للشعر لتأتي لكِ ؟؟
سألت الأم . . لتقول ريداء بالنفي مرددة . .
_لا . . لقد فكرت أن أفعل ذلك بنفسي . . فلا يوجد هناك مصففة توافق على القدوم إلى المزرعة لبعدها عن المدينة . .
_لا تهتمي عزيزتي . . أمي بارعة في تصفيف الشعر و أنا سأساعدك في زينة الوجه . .
_شكرا لكم . . قدومكم أسعدني جدا . . "توقفت لحظة قبل أن تكمل بتأثر"

جدا . .
قالت ريداء و هي تنظر للنساء من حولها . . و قبل أن يتحدث أحدهم كان الباب يطرق بهدوء . .
_من ؟؟
قالت "منه" من خلف الباب . . ليجيبها الصوت الهادئ . .
_سيف . . أريد رؤية ريداء . .
_لا يجوز ذلك . . هذا سيبعث الشؤم . .
قالت "منه" بمرح . . لتنهرها الأم بعد أن رأت نظرات اللهفة في عيون ريداء التي سرعان ما خابت برد "منه" . .
ذهبت "منه" لتفتح الباب . . دخل سيف بهدوء نظراته اتجهت بسرعة لريداء التي تجلس علي مقعدة الزينة . . ابتسم لها برقة و حنان و هو يري الدمع المختبئ في عينيها بقلبه . . احني رأسه بتحية للنساء الثلاثة . . قبل أن يتقدم لريداء قائلا برقة . .

_جئت لأراكِ . .

نظرت له و عيونها تمتلأ بالدمع الذي كان واضحا الآن أمامه في عمق عينيها الياقوتيتين . . ليختلج قلبه . .

_ما الأمر ريداء ؟؟

سألها باهتمام . . لترمي بجسدها عليه تحتضنه بقوة تضم خصره بذراعيها و تشهق بالدموع . . نظر للنساء من حوله بحرج و هو يمد ذراعيه يحتضن جسدها . . و قد فجع بدموعها الشديدة . .

ابتسمت له المرأة الكبيرة قبل أن تقول لابنتيها المصدومتين من بكاء العروس

_هيا يا فتيات . . لنتركهم معا . . خذوا معكم الصغار . .

نظرن لها الفتيات لوهلة . . لكنها نهرته بعيونها . . فكن يحملن الصغار و يغادرن المكان تاركين العروسين وحدهما . . و عروسة متأثرة و تبكي و عريس لا يعرف كيف يتصرف . .

_ريداء حبيبتي ما بكِ ؟؟

لم تنتبه لكلمة حبيبتي . . لكنها رفعت وجهها الباكي له . . لتقول بصوت أجش من البكاء

_شكرا لك سيف . . هذا كان الكثير . .

_كنت أعلم ما يدور في عقلك هذا . . حلوتي . . لا تفكري كثيرا . . اليوم هو زفافنا . .

قال ذلك و هو يغمز لها بمشاكسة . . لتبتسم له بخجل . . لكن خاطر مر علي بالها و قالت بسرعة

_لم تأت أليس كذلك ؟؟

نظر لهاَ باستغراب للحظات قبل أن يقول و قد اتضح لديها الأمر . .

_لا . . لقد هاتفت جدي و اخبرته إنها تأخرت بسبب وصول الطيارة وستأتي مع حداد في وقت الزفاف . .

لوت فمها بملل قبل أن تقول بعدم مبالاة . .
_هذا متوقع منها . . فعمتي منذ تمت خطبتنا و هي تحاول إيصال فكرتها عن رفض الأمر . . لا اعلم سبب ذلك . .
أما هو فيعلم . . فهي كانت تتوقع أن يكون حداد مكان سيف في كل شيء . . حتى اختيارها لريداء و محاولتها دائما في ترك ريداء تتقرب من حداد الذي كان يرفض الأمر . . لقد سمعها مرة تنهر ابنها لكونه لا مبالي بابنة خالته . . و كل ذلك بسبب إنها لمست حب سيف لريداء من خلال نظراته العاشقة التي كانت تخرج عن سيطرته . . و قد رأته في الاجتماعات القليلة التي كانت تحدث في العائلة قبل موت عمه والد ريداء . . و قد كانت تأتي مكرهة . .
أبعد أي فكرة قد تعكر مزاجه في هذا اليوم . . ابتسم لريداء قائلا بحنان و هو يمرر أنامله على وجنتيها يمسح دموعها . .

_لا تهتمي بمن لا يهتم حلوتي . . هناك أناس هنا يهتمون و يقدمون المساعدة بدون المقابل . .
_أنا أحبهم . .
قالت بصدق كطفلة صغيرة . . تثبت لوالدها حسن سلوكها . . قبل جبينها بهدوء و هو يقول بحنية . .
_فتاة طيبة . . سأتركك الآن . . و في انتظار أميرتي بعد ساعات . . لا تطيلي العذاب حلوتي . .
هزت رأسها بالموافقة . . و هي تبتسم له . . خرج من الغرفة ليتبعه دخول الأم و التي قالت بسرعة . .
_لقد أضعنا الكثير من الوقت . . هيا بسرعة . .
ابتسمت لها ريداء لهذه الأم الحنون و الذي عوضت عنها غياب الأم الحاقدة

في الساعات التالية كان العمل يدور في الغرفة على قدم و ساق .. و الضوضاء في الخارج كان كبير .. و لم تسمح لها الأم بإلقاء نظرة .. و هي تقابل الحزم في عيونها للعروس و ابنتيها المشاغبتين ..

وقف أسفل الدرج في انتظارها يرتدي بدلته السوداء المكونة من القميص الأبيض و السترة و البنطال باللون الأسود و ربطة عنق الفراشة السوداء .. شعره مصفف بطريقة جميلة .. فبدي في قمة وسامته .. كأمير احدي القصور الملكية .. ابتسامته الجميلة زينت وجهه المحلي بلحية سوداء خفيفة ..

أخيرا كانت عروسه ملكة قلبه تنزل بخجل كفيها مختبئتين خلف باقة الزهور البيضاء .. وجسدها يختفي خلف غيمة بيضاء من فستانها بالدانتيل المخرم الأبيض ..

شعرها البني الأشقر مسرح بتسريحة خفيفة مزينة بزينة شعر على شكل أوراق شجر و ورود صغيرة بالذهب متصلة ببعضها البعض على مقدمة رأسها ..

اشتعل قلبه لمرآها الجميل بل أجمل ما رأى طوال حياته .. الجميع من حوله صامت لهذا الجمال الرقيق ..

تنزل بكل هدوء علي درجات السلم الكبيرة .. بدون موسيقي .. و لم تكن تعلم إنها تسير علي أعصابه و تعزف لها نبضات قلبه الهوجاء الثائرة ..

نظراتها الخجلة تتجه كل دقيقة له .. و تعود لتنتبه لخطواتها البطيئة .. بعد عناء طويل كانت تقف قربه .. كبح نفسه بصعوبة لكي لا يحتضنها و يختطفها بعيدا عن أعين الجميع ..

هتف صوت من عقله .. أناني .. أنت لا تستحق هذه الجميلة في حياتك المنتهية .. لم يكن يجب أن تدخلها في عالم الذي سينتهي قريبا .. أناني جدا ..

لكن صوت آخر تحدث بأمل حزين .. إنه يريد القليل .. القليل فقط من السعادة يريد أن يعيشها لمرة واحدة في حياته .. فقط يحتاج لأن يذاق طعمها للسعادة .. فقد عرف عنها الكثير لكنه أبدا لم يتذوق طعمها .. سيكون أناني و يعيش الحياة الأخيرة و أيامه المريضة قربها كما حلم منذ أن دخل منزل جده .. يقسم إنه سيجعلها سعيدة طيلة الأيام التي تبقت له في عمره العليل المنتهي .. سيعوضها بما ينسيها حزن موته .. يعلم إن ما سيفعله ليعوضها لا يبرر ما يفعله الآن لكن القلب أناني في حب شقرائه و بقرب غزالته البيضاء ..

وصلت للدرجات الأخيرة ليتجه لها يقابلها في منتصف الطريق .. أمسك كفها المرتعشة ثم ارتفعت كفيه لتمسك رأسها و يقبل جبينها و وجنتيها بهدوء .. ابتسم لها بجنان و هو يقدم ذراعه لها تتأبطه و تملكه

بخجل من ناحيتها و ثقة منه كان يسير بها خارج المنزل إلى الحديقة و التي كانت مبهرة بزينتها الكبيرة من الورود الملونة بلونين الأبيض و الأحمر .. و الشمس التي تضفي أنوارها على المكان ليبدو كجنة حقيقية .. بعض الطاولات متناثرة في المكان بانتظام و عليها الورود الحمراء و البيضاء ..

كان قلبها ينبض بين جنباتها .. منذ رأته و قد كاد قلبها أن يقفز بين أحضانه .. رغم إنه زاد توترها كثيرا .. لكنها الآن تمسك ذراعه .. تستشعر دفئه و حمايته .. قلبها انتفض اكثر و هي تخرج للحضور و ترى ما فعله بالحديقة الرائعة .. نظرت له غير مصدقة .. ليبتسم لها بجنان و هو يترك ذراعها ليضع ذراعه حول خصرها بحنية .. اتجها لجدهم الذي كان يجلس في مقعده في انتظارهم كباقي الحاضرين ..

بارك لهما الجد و تمني لهم حياة سعيدة

مباركة .. اتجها للرقص قليلا في أحضان بعضهم .. لكن الأمر لم يطول بناء على رغبة سيف الذي رفض الأمر برمته .. اتجها إلى حيث المكان المخصص لهم و يتابعان الحفل الرائع و الهادئ بحضوره القليل .. نظرت لسيف الذي وقف قربها يبتسم ابتسامة عادية هادئة ..

_المكان بدا رائعا ..

_سعيد إنه أعجبك يا حلوتي .. هناك شيء آخر ..

قال بابتسامته الحلوة الهادئة و هو يشير لشخص ما من خلفها .. دقائق قليلة حتى أتت فتاة صغيرة هي إحدي العاملات في تنظيم الحفل .. كانت تمسك علبة مربعة موضوعة على صينية مذهبة أطرافها ..

_ماذا أيضا ؟؟

سألت بشوق و هي تنظر للعلبة الغير مفتوحة .. ليبتسم لها و هو يفتح العلبة و الفتاة تمسك الصينية بانتظار سيف ينهي عمله ..

_ما رأيك ؟؟

فتحت عينيها بصدمة و هي ترى العقد الألماس و بعض الياقوتيتين في منتصفه .. الحلق و الإسورة .. كانت لمعاته التي تبرق في أشعة الشمس تبهج عينيها .. ابتسمت بذهول .. كان تقريبا جزء من خاتم الزواج الذي صنعه لها ..

_شبكتك عروسي الجميلة ..

و لم يمهلها الكثير و هو ينزع العقد الماسي من العلبة و يبدأ بوضعه حول عنقها العاجي الأبيض .. كان قد نزع العقد الخفيف الذي كانت تتزين به .. و بأنامل دافئة كانت تدفع النيران في عروقها .. كان يقفل القفل الخاص بالعقد دون أن يترك عيونها الياقوتيتين المحاصرتين من قبل الرصاص في عينيه .. نزع الحلق الذي ترتديه و بدله بذلك الحلق المزين بالياقوتيتين الشبيهتين بعينيها ..

تهدجت أنفاسها و هي تشعر بأنامله تحرقها .. رئتيها امتلأت بعطره الرجولي و رائحته الرجولية .. أخيرا كان يرحم ضعفها بقربه و يلبسها خاتم و اسورة على معصمها .. أخذ خاتم الزواج من كفها اليمني و وضعه في الكف اليسري .. كل ذلك أمام عيون الجميع الذي يراقب بإعجاب .. ابتسم لها و هو يقبل كفها موضع الخاتم .. ابتسمت بخجل و هي تسمعه يقول برقة حانية ..

_مبارك لك عروسي ..

هزت رأسها بتمتمات مبهمة .. قبل أن يشد كفها و يجلس و يجلسها بقربه علي المقعد المخصص لهما .. نظراته تابعت نظراتها المبهورة بالعقد و الإسورة .. لتقول بصوت أخاذ ..

_ألن تكف عن مفاجئتي ..

قالت فجأة تهمس له في أذنه .. ليبتسم ابتسامة حلوة ناعمة ذابت لها نبضات قلبها



المتسارعة .. ليقول بهمس مماثل و ثقة .. و قلبه يقرع بين أضلاعه

_أبدا .. ما دام لدي القدرة لإسعادكِ فلن أهدأ أبدا ..

_و أنا سأطالبك بهذا الوعد دوما ..

قالت بحلاوة و هي تقترب منه .. و رائحتها الندية كزهرة برية لها عبقها كانت تخترق قلبه كسهام معذبة .. تناول كفها يقبل أناملها بنعومة و يمسكه بكفه الدافئة ..

_لم تندمي ..

_سأكون غبية .. بل سأكون مجردة من العقل لو فكرت يوما بالندم .. منذ كنت لك و أنا أشعر بأنني عصفورة أسرت بسحرك .. متمنية السجن بين أسوارك دون أن أطالب بحريتي ..

كلماتها تلك كانت الصدمة له .. هل لهذا الحد تغلل في حياتها .. تساءل ؟؟ لكنه لم يظهر تأثره .. و هو يقول بخبث ..

_سجينتي ؟! الفكرة جميلة جدا غزالتي .. لتضحك برقة مغردة بصوتها .. لكنها اقتربت منه تقول بهمس خبيث ..

_لن تفعل .. ستشفق على غزالتك الحلوة ..

هذه المرة لم يستطع مسايرتها في كلامها الناعم و الحلو .. فكان يطلق ضحكة مجلجلة في الأنحاء أخذت بقلبها إلي السماء و أصبح كعصفور صغير يطير بجنون ..

_هذا صحيح غزالتي الحلوة ..

لم تجد الرد ففي خضم مناقشتهم اللذيذة و حديثهم الممتع .. لم يلاحظوا وجود أحدهم ينظر لهم بغيظ و آخر لا مبالي .. حتى سمع كلمة ..

_مبارك الزفاف ..

تحرك بسخط .. عندها كان الإثنين قد خرجا من الهالة التي كانت تحيط بهما .. و نظرا للشخص الذي قطع عليهم لحظاتهم

الجميلة الشقية ..
كانت عمتهم ترتدي بذلة سوداء و مزينة بعقد ماسي يلمع بتفاخر حول عنقها .. و قربها حداد يرتدي بذلة رمادية اللون .. يبتسم بهدوء جاف .. و كأنه كان مجبور للقدوم للحفل ..
نهض سيف ليحيي عمته و ابنها .. تقابل عيونه الرصاصية الهادئة و المستفزة لعمته بعيونها الغاضبة .. وقفت ريداء بقربه ليمد كفه و يحتضن خصرها بتملك ..
_شكرا عمتي ..
قالتها ريداء بابتسامة مرحبة .. تمد كفها لعمتها التي قابلتها بابتسامة مجاملة .. ثم نظرت لحداد الذي كان يقف بنفاذ صبر ينتظر دوره ..
كان غير مبالي .. يبدو كرجل أحمق .. لا تدري لم شعرت بحماقتها و هي تنظر له كصبي غادر مدرسته مبكرا .. لا يساوي

شيء بقرب سيف حبيبها و زوجها ..
انتبهت لذراع سيف التي تشتد حول خصرها .. نظرت له لتجد عيونه تتقد بشرارات الغضب .. لا تعلم إن كان بسبب عمتها أم بسبب ابنها ..
_أهلا بقدومكِ عمتي ..
قالها سيف بدماثة أخلاق و هو يحاول تجاهل نظرات الغضب و السخط في عينيها .. يحاول السيطرة على نفسه كي لا يطردها و ابنها الأحمق من الفرح بأكمله ..
رأى عمته تبتسم بحلاوة مزيفة و تقول بهدوء ..
_أنا عمتكم إن كنتم نسيتم ذلك ..
كان هجومها في غير محله .. فهي لم تجد الكلام لتعكير صفوهم معا .. خاصة بعد ان رأت ضحكته ..
_نحن لم ننسى عمتي .. أنتِ من فعلت ..
اشتعلت عينيها بغضب واضح .. بسبب

كلماته الدفاعية .. و نظراتها اتجهت إلى ذراع ريداء التي أمسكت بكفه مواسية .. لكن قبل أن ترد كان هناك أناس من خلفها تتقدم فقالت بسخط هامس وصله بسرعة و سمعته ريداء جيدا

_لم أفعل يا ابن أمك .. و ليتني أفعل ..

ثم كطاووس غبي كانت تغادر المكان و خلفها ابنها كذيل مطيع .. الصدمة كانت من نصيب ريداء التي كانت ترى غضب عمتها الواضح تجاه سيف و تلمسه لأول مرة..

نظرت لسيف الذي بقي جامدا يحتضن خصرها .. ألامه مختبئة في عينيه .. لكنه لم يظهر ذلك ..

_سيف ؟!

هتفت بهمس تواسيه .. لكنه نظر لها مبتسما قائلا بغير اهتمام ..

_لا تهتمي كثيرا .. هيا ابتسمي خالد و اسرته قادمون لنا ..

نظرت له مطولا .. تحاول سبر أغواره .. لكنها لم ترى شيئا و هو يرتدي قناع الابتسام المجامل للمهنئين .. تنهدت بهدوء و هي ترسم ابتسامة لخالد الذي يحمل أخيها الصغير الذي يرتدي بذلة صغيرة سوداء و هلل بمجرد رؤيتها و رؤية سيف .. لكن الشقي اتجه لسيف لكي يحمله و لم يحاول التعرف عليها لزينتها كعروس التي غيرت قليلا من شكلها فكان صعبا على صغير أن يعرفها ..

_مبارك لك دخولك في القفص الذهبي سيف..

قالها خالد بحلاوة و لطف .. ليبتسم له سيف رادا تهنئته .. بقربه وقفت زوجته التي هنأتهم .. و من ثم أتى يوسف و زوجته و العم يوسف الكبير والد الفتاتين و زوجته التي كانت تحتضن ريداء بحنان كبير

تجمعوا حولهم كأسرة واحدة .. يوسف و خالد بدأوا بإغاظة سيف كأنهم أصدقاء .. فيما كانت ريداء تضحك على "منه" التي تلقى بعض الكلمات المضحكة و تتلقى التقريع من والدتها .. والدها اتجه حيث جد ريداء ليتحدثا معا ..

_مؤيد تعال عزيزي ..

قالت ريداء و هي تنظر لمؤيد الذي يقع بين أحضان سيف .. لكن الصغير رفض الذهاب و هو ينظر لها مستغربا ..

ضحكوا عليه و هو يحاول الابتعاد عنها كلما اقتربت .. همس له سيف ببعض كلمات ليقول بصدمة

_ديدا ..

من كل قلبها كانت تطلق الضحكات عليه .. لكن الصغير أبدا لم يترك حضن سيف..

_نحن سنأخذ مؤيد معنا .. ألا يجب أن تغادرا الآن قبل أن يتأخر الوقت ما دام ستتجه لشقتك في المدينة سيف ..

_في المدينة ؟؟

تساءلت ريداء و هي تنظر له .. ليقول سيف بهدوء ..

_سنذهب معا إلى منزلنا في المدينة .. أما خالد سيبقى هنا و أسرته بقرب الجد بعد ان أختار ذلك .. شكرا خالد ..

وجه سيف كلامه لخالد .. الذي شوح بكفه و قد كره الشكر الكثير من سيف و هو يقترح عليه البقاء بقرب الجد و الاهتمام بالصغير ريثما يلحقون بهم في منزلهم بالمدينة..

_لكن مؤيد ..

قالت ريداء باعتراض .. لكن من وجه لها الحديث كان خالد الذي قال بإصرار

_أختي .. الصغير هو أخي أيضا و سنهتم به .. هيا اذهبا .. "ثم نظر للصغير قائلا بكلمة الحل " مؤيد هل نرى الموو ؟؟

_مو ؟؟

قالها مؤيد مقلدا صوت القطة بفرح و هو ينطلق لذراعي خالد بسرعة .. و قد باع الجميع في سبيل ال"مو" علي حد قوله ..

ضحك سيف و هو ينظر لنظرات الصدمة من زوجته الصغيرة التي كانت تتلاحق مؤيد ..

_لقد باعني ..

قالت بصدمة زائفة .. ليقول سيف و هو يضحك ..

_لن يجرؤ .. "قال من بين ضحكاته ثم أكمل غامزا لها بمرح "هل نذهب ؟؟

تضرجت وجنتيها بخجل قبل أن تهز كتفيها بحيرة قائلة بحرج

_كيفما تريد ..

أمسك بكفها ثم بسرعة كانا يتركان الحفل للحضور الذي كان يراقب العروسين السعيدين و يودعانهما و هم يغادران بالسيارة البيضاء المزينة .. يلوحان لهما بتوديع .. و ينتظرهما جنه أخرى بعيدا عن الجميع ..

أحتاجك

انتهى الفصل الرابع

الفصل الخامس

أوقف السيارة أمام المنزل الكبير .. نظر لها بابتسامته الرائعة و سعادته لا توصف و حلمه الذي كان يوما صعب المنال ها هو يتحقق و تصبح ملكه .. له وحده ..

امتد الصمت طويلا بينهم .. نظراتهم تشابكت بعشق غير مرأي لأي منهما مع أن حبهم ظاهر .. ابتسمت بخجل و هي تبعد نظراتها عن حصار عينيه الرصاصيتين .. تحاول إبعاد التوتر و الخوف من القادم .. متسائلة باضطراب إن كان هذا شعور كل عروس ..

صوت أنفاسها مرتجفة مرتعشة .. تشعر بنفسها كورقة صغيرة ترتعش محاولة الثبات أمام الرياح العاتية .. سيف كان الأمر مختلف لديه .. فمساحة الأرض لم تعد تكفي سعادته .. سكون الأجواء بالسيارة و شحناتها السلبية و الإيجابية تتضارب بعضها و الشرارات تصيب قلبيهما

سحب نفس عميق كان محمل بعبقها و امتلأت رئتيه برائحتها .. ابتسم لها .. و الصمت لا يزال سيد الموقف .. قطعه سيف بصوت باب السيارة يفتح .. بعيون مضطربة و ابتسامة مرتعشة على وجهها .. و هي تتبعه بنظراتها يدور حول السيارة .. بابتسامة أظهرت أسنانه البيضاء مد كفه لها قائلا بصوت أجش ..

_هيا حلوتي

.. مدت كفها البيضاء الصغيرة لتغوص في كفه الكبيرة .. التواصل بينهم ولد رعشات و شرارات كهربائية أصابت كليهما ..

فارتعشت ريداء على أثرها .. و سيطر سيف على ردة فعله ..

ساعدها في لملمة أطراف ثوبها الأبيض ..

سار معها حتى الباب الداخلي للمنزل .. و بمفاجأة لها كان يخفض جسده ليحملها بين ذراعيه .. شهقت بدهشة من المفاجأة .. و هي ترفع ذراعيها تعقدها حول عنقه .. و وجنتيها تضرج خجلا ..

دفنت وجهها بعيدا عن أنظاره إلى صدره .. تهرب منه إليه .. تسمع صوت نبضات قلبه المتسارعة كسرعة الفهد .. كانت تستيقظ من أفكارها على استمرار تواجدهم عند الباب .. فرفعت أنظارها له متسائلة .. لتجده يتفحص وجهها الجميل .. فاضطربت دقات قلبها لعينيه القريبتين جدا لها .. همسته اللذيذة و لفحة الهواء الدافئ داعب وجهها ..

مأسورة بنظراته دون أن تفهم ما يريد ..

جمعت كل تركيزها لتسمعه يقول برقة

_المفتاح حلوتي ..

_أين ؟؟

سألت بصوت أجش مختنق من العاطفة ..

ليبتسم قائلا بهدوء ..

_مدي كفك للجيب الداخلي ..

فعلت كما أخبرها .. دخل المنزل و هو يحملها بين ذراعيه .. أغلق الباب بقدمه و سار بها إلى الدرجات التي تصل للطابق العلوي .. متحاملا على نفسه .. مستمتعا بقربها و وجودها بين ذراعيه .. و هي مستشعرة بالحرارة المنبعثة من جسده تخترق ثيابه و ثيابها فتلهب جسدها

_هذا يكفي .. أنزلني ..

قالت بصوت مضطرب و هي ترى تنفسه يخرج بسرعة قليلة .. للجهد الذي يقوم به .. صعود الدرجات و حملها كان كثيرا عليه .. حتى و إن كانت نحيفة فثوبها يزيدها وزنا .. هذا و دون أن تعلم أن الجهد القليل يصبح أصعب في حالته.. لكنه تحامل علي نفسه و كابر على مرضه قائلا بهمس خشن من تنفسه الذي بدأ يزيد ..

_سأنزلك في جنتنا ..

تضرجت وجنتيها خجلا حتى كادت تخترق

إشارته لغرفة نومهم زادها توترا و رعبا .. وصل بها أخيرا إلي الغرفة الخاصة بهما .. و قد كانت فيما مضى غرفة جديهما .. لكنها أصبحت لهم بناء على طلب الجد .. متمنيا لهم زواج سعيد و طويل .. فرضخ سيف للأمر و جددها لتصبح ملائمة للعروس الجديد ..

فتحت الباب كما فعلت بباب المنزل و دخل بها .. أنزلها أخيرا في الداخل.. مستغلا دهشتها و تعجبها لما أصبحت عليه الغرفة ليلتقط أنفاسه التي غادرته ..

وقفت مبهورة بما تراه و قد تناست إنها في غرفة نومهم .. تناست أنها عروس و هي تقف صامتة لجمال المكان .. عيونها تدور متناقلة علي أثاثها الأحمر القاني و أضاءتها الصفراء الذهبية الخافتة..

الجدران الحمراء و الإنارة الذهبية التي تعكس ظلالها على الجدران فيبدو المكان



كحديقة حمراء .. كبيت الجنيات الحمراء ..
السرير بخشبه الأبيض و مسند الرأس ببطانته البيضاء السكرية .. فرشه الأحمر المرتفع كثيرا .. الكومودينو السوداء علي جانبي السرير و تعلاهما أضواء صفراء تنعكس ظلالها علي الجدران .. طاولة الزينة التي تشبه الكومودينو بشكلها و لونها لكنها أكبر قليلا .. تمتلأ بالعطور و أدوات الزينة خاصتها ..
فتحة جانبية مفتوحة و ستارة حمراء تزينها مشدودة للجانب و تغلق وقت الحاجة .. دارت في المكان بسعادة كبيرة .. تطلق ضحكات غير مصدقة .. فبدت كزهرة برية في أرض الأقحوان .. بثوبها الأبيض و المكان الأحمر حولها .. ابتسم بتعب لها و قد بدت في قمة جمالها .. منظرها بهذا الشكل آلم قلبه ..

_هناك الحمام .. "أشار للباب الجانبي
عندما توقفت عن الدوران و ابتسامتها تسع
طفلة صغيرة .. ثم أشار لباب آخر في
الجانب الآخر " و هنا غرفة للصغير مؤيد
.. ليبقي بقربك ريثما يكبر ..
_لقد فكرت به ..
هتفت بدهشة و هي تنظر للباب الآخر ..
ليقطب حاجبيه بغضب و هو يهتف
_بالطبع أنا أفكر به لأنه أخاكِ و هو من
مسؤوليتي الآن ..
_آسفة لم أقصد ..
قالت بسرعة و هي تتجه له تستسمحه
لقولها الأخرق .. لا زالت لا تصدق حتى
اللحظة إنه يهتم بها و بكل أحبابها .. بل لا
تزال لا تثق به و هذا جرحه .. كان تعبه
قد أنهك قواه .. يجب عليه أن يرتاح ..
المسكن لم يعد يجدي نفعه هذه الأيام ..
_هنا "و أشار بهدوءعلي الفتحة الجانبية
متجاهلا اعتذارها نظر لها ببطء و بعض
اللوم يتخلل كلماته " غرفة الثياب .. و أعلم
إنك غاضبة بسبب جهاز العروس .. لكن
كانَت مفاجئة لك أنني جلبته لكِ من أوروبا
.. أتمني أن ينال إعجابك ..
قال و هو يتقدمها .. لتسير خلفه بحنق و
قهر من نفسها لأنها أغضبته .. رغم إنه لم
يظهر ذلك كثيرا ... لكنها تشعر بذلك من
ذبذبات الغضب ..
_شكرا لك ..
هتفت و هي تنظر للثياب الرائعة بألوانها
العديدة .. لم ينسى شيء .. فكرت و
هي تدور بين الأرفف على الجدران و على
الثياب المعلقة أثواب سهرة و بدلات أنثوية
راقية جميلة .. متقنة الصنع .. ثياب نوم
.. و ثياب داخلية .. بعض السراويل
الطويلة و القصيرة و الكنزات الصوفية و
القطنية .. قمصان متعددة ..

كانت تدور بين الثياب في الغرفة .. و ابتسامة ذهول .. "اليوم لم تنتهي من المفاجئات " عادت له لتقول باعتذار و شكر في آن واحد توسل في عينيها أن تسامحه ..

_أشكرك من كل قلبي .. لقد كنت مخطأة عندما غضبت فيما سبق بشأن الثياب .. اعتذر منك .. لقد أخطأت كثيرا في حقك ..

قالت بحزن من نفسها و ألم .. فقد آلمته و ظنت به السوء طوال حياتها .. و كان دائما متسامحا .. ابتسم بهدوء لها و هو يمد كفه و يداعب بأنامله الدافئة وجنتها الناعمة ..

_لا بأس عليك يا صغيرتي .. وجودك بقربي هو الشكر بحد ذاته ..

كان سيكمل حديثه لولا النمنمة المؤلمة التي داعبت أنفه .. فكان يدير وجهه بسرعة خوفا من القادم .. ارتعد قلبه رعبا ..

هذا ما كان يخافه .. هذا ما كان يتجاهله طوال الوقت .. و ها قد أختار أكثر الأوقات سعادة ليقتلها ..

بخفية كان يمسك منديل من جيبه الداخلي و يضعها علي أنفه بسرعة كي لا تتساقط قطرات دمه على الأرض .. فكان يقول بصوت مختنق

_سأذهب لأغتسل في الحمام الخارجي .. يمكن استخدام هذا الحمام ..

و أمام نظراتها المستغربة كان يغادر بسرعة كمن يطارده الجحيم .. لكنها لم تفكر كثيرا و هي تنظر حولها و قد تجاهلت خروجه السريع .. عادت ابتسامتها من جديد و هي تنظر للثياب .. قررت أن تختار ثياب نوم لها و تبدلها بالثوب الضخم الذي ترتديه ..

في الحمام الآخر .. كان سيف يشتم بقوة و هو يحاول السيطرة علي خط النزيف في أنفه

هذه كانت النتيجة .. كاد يكتشف ..
فكر بقهر و هو يمسح أنفه الذي أصبح
يسقط القطرات القليلة .. نظراته حمراء ..
مرهقة متعبة .. عظامه تأن من التعب ..
كابر وتحامل على نفسه كثيرا .. يريد
الاغتسال .. و النوم ..
فقط النوم هو ما يحتاجه .. لو تقرب منها
الآن سيخذله جسده و يسقط نائما في
أحضانها .. فكر و المياه تتساقط على
جسده .. أنهى حمامه سريعا و هو يكاد
يسقط من شدة تعبه .. جفف جسده
بسرعة ثم لف المنشفة حول خصره ..
خرج من الحمام متجها إلى غرفتهم الجديدة
.. ليجدها فارغة و صوت المياه يأتي من
خلف باب الحمام .. كم ود لو بقي قليلا
منتظرا عروسه .. يشعر بالقهر و السخط
بسبب مرضه .. لكنه نظر للسرير الكبير و
هو يغريه بالنوم .. لم يقاوم كثيرا و هو يلقى

بجسده على السرير الذي تلقفه بحنان كبير
.. يغوص بين فراشه الوثير .. هي لحظات
قليلة حتى شعر بالنوم يداعب جفونه .. لا
هو ليس النوم .. لقد فقد وعيه من شدة
تعبه و إرهاقه .. فكان رأسه يدور في فلك
النوم و اللاوعي ..
خرجت من الحمام جسدها يلفه قميص نوم
أبيض من الداتيل .. كان قد اختاره لها
سيف مع بقية الثياب .. دارت بنظرها
بالغرفة و الخجل يعتريها من وجود سيف ..
لكن الغرفة كانت ساكنة سكون الموت ..
اتجهت إلى طاولة الزينة تجفف شعرها و
تسرحه .. و نظراتها اتجهت إلى جسدها
المغطي بالقماش الرقيق و الذي يظهر أكثر مما
يخفي .. اشتعلت وجنتيها من فكرة رؤية
سيف لها بهذا الشكل .. لكن صوت
منخفض من خلفها أجفلها و أرعبها .. و
بسبب الإضاءة الخفيفة لم تكن قد رأته .

لكن الآن بسبب الصوت الذي أصدره كان يلفت نظرها .. اقتربت منه بحذر لتجده يغط في نوم عميق .. تجمدت للحظات و هي تعي ما يحدث .. نائم .. العريس نائم ! أخرجت ضحكة مصدومة سرعان ما خفتت ..

اقتربت أكثر منه لتجده يئن بصوت منخفض .. فقرع قلبها ألما لأجله .. صدمتها سرعان ما اختفت و حل محلها العطف و الرقة له .. إنه متعب .. "فكرت" لا بد متعب .. فهو منذ أيام و يدور بين انهاء العمل في مكتبه و انهاء تجديد المسكن لهم و التحضير للزفاف .. فكانت تمد كفها و هي تنخفض لمستوى رأسه .. و أناملها تتسارع لتداعب خصلات شعره المبللة .. خافت أن يصاب بالبرد .. فكانت تجفف شعره بحذر شديد .. بمنشفتها الخاصة .. و هذا جعل قلبها ينبض أكثر من هذه الحميمية التي تلفهما .. اقتربت هذه المرة لتطبع قبلة هادئة على جبينه .. ثم تدور حول السرير و تلقي بجسدها عليه .. هي أيضا كانت متعبة بسبب يوم واحد .. فما بالها بالشخص الذي كان يعمل لأيام عديدة .. بخجل شديد كانت تقترب من جسده أكثر .. لكن دون أن تجرؤ على أن تدس نفسها بين أحضانه .. فقط اكتفت بأن تحتضن ذراعه بين ذراعيها و تنام .. تحصل على القليل من الراحة في دفء زوجها ..

زوجها .. فتحت عينيها فجأة علي هذه الكلمة و هي تنظر له بحنان و حب .. بل عشق شديد .. بجوع كانت عينيها تدور على ملامح وجهه الوسيمة المتعبة ..

ارتسمت ابتسامتها من جديد و هي تغلق عينيها و صورته حية أسفل جفونها و قد طبعت في ذاكرتها ..

على مداعبات ناعمة و أنفاس عطرة دافئة
.. كانت ريداء تفتح عينيها بكسل ..
نظرت لسبب إيقاظها فقابلتها عيون بلون
الرصاص الداكن ترسل الدفء و الرعشة في
أوصالها .. ابتسامة كسولة تزين الوجه
الوسيم .. فتوقف الهواء في رئتيها ..
_صباح الخير عروسي ..
قالها بنعومة لذيذة داعبت أوصالها فكان
وجهها المحمر من أثر النوم يزيد احمرارا من
شدة خجلها .. أخفض رأسه لتصبح أقرب
لوجهها حتى صارت تشاركه أنفاسه و الهواء
بينهم .. قبل وجنتها بخفة كمداعبات
فراشة .. ثم امتد لجسر أنفها ليصل إلى
وجنتها الأخرى .. دفء وجنتيها بل
احتراقهم أسفل شفتيه كان يثيره بقوة و يزيد
رغبته بها و رغبة امتلاكها ..
_لقد تركتك وحدك بالأمس و هذا خطأ
لن يتكرر .. و سأكفر عنه بالحال ..

قال بصوته الخشن الأجش .. لتتقلص
معدتها إثارة من القادم و الوعد الصامت في
عينيه و في كلماته التي أخبرتها بما ينوي ..
لحظات قليلة كانا يتبادلان نظرات العيون ..
أنامله الدافئة تسير على صفحة وجهها
تداعبها برقة و تختبر سخونة وجنتيها الذي
يكادان يشتعلان من النيران .. كفه الأخرى
كانت تتسلل خفية إلى جسدها .. تداعبه
من فوق قماش ثوب نومها الأبيض الخفيف
.. لم تتحدث بكلمة منذ قابلت عينيه ..
لكن مداعباته التي زادت جرأة جعلتها تنادي
هامسة متضرعة باسمه ..
_سيف ..
فأحرق ما بينهم من فراغ و انقض على
شفتيها كجائع منذ سنين و وجد طعامه ..
كظمآن في صحراء قاحلة و وجد ماء ليروي
عطشه .. كانت الجنة بين شفتيها التي
أذابت ما تبقى له من سيطرة .. يهتف

بأسمها بحرقة و عذاب .. و يخبرها كلمات الحب و العشق ..

أناملها ارتفعت بدون سيطرة لتتعلق بكتفيه العاريتين ثم سارت أكثر لعنقه تتخلل خصلات شعره و تشده أكثر في حاجة متطلبة .. قلبها يضرب بعنف .. كطبول هندية أمام مصارعة قلبه في الحياة ..

لحظات قليلة حتى شعرت بنفسها فوق الغيم ..

لمساته .. و همساته تشعل النيران في قلبها لتزيد من جنونه .. لا صوت إلا صوته الأجش الذي فقد قدرته بسبب النشوة و الشغف .. لا رائحة إلا رائحة جسده المعطرة بالعود .. كانت في عالمه بين أسوار ذراعيه و جسده .. كانت في قلبه بين أضلعه .. حيث مكانها ..

استيقظت من نومها و قد كانت تندس بين ذراعيه أكثر مستمتعة بالدفء المنبعث من جسده .. نظراتها تراكضت علي ملامح وجهه تروي ظمأها .. فكرت بنشوة و سعادة .. إنها ملكه .. أصبحت له و أصبح لها ..

هاجم عقلها ذكريات اللحظات الماضية بخجل .. و بارتباك كانت ترفع كفها و تلاعب بأناملها علي ملامح وجهه الوسيمة .. جبينه العريض و الخصلات القليلة المتظاهرة بشغب عليه .. جسر أنفه الطويل و المعكوف قليلا من المنتصف .. ربما كانت بسبب مشاجرة ماضية في صغره .. جفنيه المسدلين و ظلال رموشه الطويلة علي وجنتيه .. ثم ببطء .. ببطء شديد كانت أناملها ترتعش قرب شفتيه المعذبتين لها .. شفتيه اللتان عذبتاها بقبلاته قبل وقت قليل .. أنفاسه داعبت أناملها ..

بخروج همسة صغيرة تكاد تكون آهة .. من بين شفتيه .. جعلتها ترتعش بخجل

و ارتباك و عيونها ترتفع بتردد و حياء شديد .. موقنة بما ستراه .. كانت عيون رصاصية ناعسة تظهر من بين جفنيه النصف مفتوحة .. و شفتيه تحت أناملها كانت تبتسم .. ثم قبلة صغيرة على أناملها من شفتيه ..

فتصبح أسيرته بين ذراعيه .. عيونها تسير بارتعاش على وجهه و أنفاسها تضرب وهي تخرج من رئتيها .. اقترب منها مقبلا شفتيها ببطء و نعومة .. جعلت آهة صغيرة تصدر منها و هي ترفع ذراعيها تحيط عنقه أكثر .. رفع راسه بعيدا عنها .. ليبتسم قائلا بنعومة ..

_صباح مبارك غزالتي العروس ..

_صباح مبارك ..

همست باختناق و خجل ..

ليبتسم أكثر قبل أن يقول و هو لا يزال على نفس الوضعية ..

_هيا لنغتسل .. الوقت أصبح ظهرا و بالأكيد خالد قد بدأ بمغادرة بيت المزرعة ..

رمشت بعينيها قليلا و خيبة صغيرة توجد بين عينيها الياقوتيتين .. ليصدر تأوها قوي ..

_هيا أيتها الكسول لا نريد إضاعة الوقت يجب أن نصلي الظهر قبل أن يزف الوقت ..

قبل جبينها قبل أن يرفع بجسده عنها و يبتعد إلى الحمام .. قال عند باب الحمام ..

_هل تنضمي إلي ؟؟

_أوه .. لا ..

همست باختناق و هي تخفي وجهها بين الأغطية .. تسمع ضحكاته المرتفعة الخشنة .. ثم اختفى خلف باب الحمام .. رفعت الغطاء عن رأسها و ابتسامة خجلة و فمها يفتح بكلمة "أحبك" ..

_ديدا ..
هتف بها مؤيد بسعادة كبيرة بمجرد رؤيته لريداء التي تقف بقرب سيف على باب المنزل يستقبلان خالد و قد جلب الجد و مؤيد .. سارع سيف لتلقي جده و إخراجه من السيارة .. بعد أن شكر خالد و ألقى عليه التحية..
اتجهت ريداء لتلقف الصغير من بين ذراعي "منه" و بدأت بتقبيله في كل مكان بوجهه .. كأم تقابل ولدها بعد غياب .. و تحت نظرات "منه" المتعاطفة و ضحكات الصغير لدغدغة قبلات ريداء .. كان سيف يقول بترحيب ..
_تفضلوا بالدخول ..
ساعده خالد في توصيل الجد إلى داخل المنزل قبل أن يقول بابتسامة اعتذار ..
_لا أستطيع .. ف"منه" قد أصابها الإرهاق بسبب السفر .. في المرة القادمة بإذن الله ..
_أتعبتك معي خالد .. شكرا لك ..
ربت خالد علي كتفه بأخوية بعد أن سمع كلمات الاعتذار الشاكرة من سيف ليقول بتأنيب طيب ..
_لقد سمعتها كثير .. انت أخي كف عن ذلك ..
أخاه .. فكر بألم .. أي روابط أسرية كهذه لم يشعرها من قبل .. فرحته لا تسع الكون .. بألم أكبر كان يبتسم لخالد الذي منحه الابتسامة بالمقابل ..
بعد لحظات كان يغادر المكان برفقة زوجته .. بوداع من سيف و ريداء و مؤيد الذي لوح لهم بفرح ..
_مرحبا ايها الشقي .. لقد اشتقت لك..
قالها سيف و هو يقرص وجنة الصغير الممتلئة .. ليصفق الأخير بكفيه ثم يرفع

ذراعيه طلبا للذهاب إلى سيف ..
صارخا بمرح
_فيف ..
ضحك سيف بقوة و هو يتلقف الصغير قائلا..
_هل هذا يعتبر اسمي ؟؟
_تماما ك"ديدا" ..
قالتها ريداء و هي تقترب منهما فيحاوطها سيف بذراعه .. ليردد مؤيد كأنه يلقن الكلمات..
_ديدا ..
_و أجمل ديدا ..
هتف سيف قرب أذنها .. و أنفاسه تداعبها .. فتخفض وجهها بخجل عندما شعرت بشفاهه تحط على وجنتها.
تقول معترضة بحياء
_سيف ..
_فيف ..

كرر مؤيد و هو يمد كفه لتخلل أنامله شعر سيف فيشد خصلاته للفت انتباهه ..
_أيها الشقي ..
همسها سيف متوجعا .. عندما أطلق مؤيد ضحكاته اللذيذة .. أمام نظرات ريداء و صوت ضحكاتها المستمتعة ..
&&&&&&&&
_سيف ؟؟
هتفت بها ريداء مبتسمة و هي تجلس أمام مقعد الصغير تطعمه رقاقات القمح المغمسة بالحليب .. لتهتف بحلاوة و نثرات من اللون الأحمر يعتلي وجنتيها للتعبير عن خجلها ..
_انتبه لموضع يدك !!
ضحك بقوة و هو ينظر لها و كفه تمسك السكين تقطع البرتقال و التفاح .. ليتناولا الفواكه بدلا من العشاء .. نظراته أبدا لم تتجه لما تصنعه أنامله .. بل كانت تتبعها في كل تحركاتها .. و هي تطعم الصغير ..

تفتح فمها قليلا كمن تأكل هي .. ليحذو الصغير حذوها .. تسقيه من حنانها و تهمهم له ليأكل .. ليصبح سيف مجنونها .. يود لو كان مكان مؤيد .. تقبله بعد كل رقاقة يتناولها .. تلامسه بأناملها .. كم تثيره بكل حركة .. بل تذيب قلبه المسكين .. فيتوسل الرحمة ..

ترك سكينه و ابتسامة خبيثة على وجهه .. اقترب منها ليجلس بجانبها على الأريكة و إن صح القول فهو كان يحاصرها ..

ذراعه تسللت لخصرها الممشوق يحتضنه .. متجاهلا وجود الصغير الذي بدأ يعترض و هو أسير مقعد الطعام الطويل الخاص بالأطفال و الذي جلبه لها سيف لغرفة المعيشة .. شهقت من المفاجأة فسمعت همسته و أنفاسه تضرب صفحة جانب وجهها و تختفي بين خصلات شعرها المنسدلة بجنون على وجهها ..

_موضعها في أمان تام ..

قالها بخبث و هو يقربها منه أكثر ..

لتعترض بخجل تهمس له و هي تحاول إبعاد كفه الكبير الذي تسير بإغراء علي خصرها تداعبه ..

_سيف .. لا تهور مؤيد هنا ..

ضحك بقوة و هو يتركها رغم عنه ..

ليقترب من الصغير صارخا بمزاح لمؤيد .. و الذي صرخ بالمقابل و قد أدرك ما يقوم به سيف من مناكشة رجالية ..

_ما هذا العنف ؟؟

قالت ريداء متفاجئة بضحكات مؤيد العالية و السعيدة رغم قسوة سيف و مزاحه القاسي من عضه بشفتيه ..

_إنه مزاح الرجال .. أليس كذلك مؤيد ؟؟

_ددا ..

قالها مؤيد ضاربا كف سيف القريبة منه

ليخرجه سيف من أسر مقعده .. و يدور به بالمكان كأنه طيار .. اختلج قلب ريداء لرجليها معا .. تضم كفيها لصدرها بسعادة و قلبها يدعو الله أن يحفظهم لها ..

_اجلس هنا ريثما أعود ..

قالها سيف بهدوء و هو يلقي كلماته

_أريدك أن تتناول عشاءك فوقت نومك قد أتي .. و ليس أمامنا اليوم بطوله

نظرت له ريداء بخجل من معني كلماته المخجلة ليغمزها و يرمي لها قبلة بالهواء .. بعثت الابتسامة علي وجهها .. قائلا بحنان

_لحظة و سأعود ..

كان يهرب من نظراتها .. مسرعا لإنقاذ نفسه قبل أن يتهاوى أمامها فاقدا قوته بسبب ضعفه و تدهور صحته .. هو لا يتعلم أبدا .. لقد تجاهل الدواء طوال اليوم .. متحاملا على نفسه .. و يصر على إرهاقها ليكشف أمره .. دخل الحمام باحثا عن أدويته ليتناول اثنتين متجرعا خلفها كأس الماء ..

_انتبه لصحتك حتى تعيش لحظات السعادة الأخيرة بقربها ..

قالها لنفسه و هو ينظر لانعكاس ملامحه في المرآة .. ثم خرج من الغرفة متجها لحبيبته و صغيرهم مؤيد ..

&&&&&&&&

بعد أيام كثيرة كان في غرفة المكتب في منزلهم .. يراجع بعض الملفات و الأوراق الخاصة بالعمل الذي تجاهله طوال الأيام الماضية .. و قد كانت أكثر الأيام سعادة عاشها في حياته .. بل هو لم يكن قد استطعم السعادة من قبل ..

ابتسم لذكرى غزالته الشقية و التي كانت تطعمه الشهد في كل ابتسامة تبتسمها و كل حركة تبدر منها .. كانت تبهج قلبه بكل شيء .. و ذلك الشقي الذي أصبح قطعة

من قلبه .. و كأنه استحضرها من خياله كان الباب يفتح بهجوم كاسح شقي .. و الصغيرة ترتدي ثوب أزرق قصير .. تتفوق في الهجوم على قلبه .. لقد أخبرها إنه يحب اللون الازرق لأنه يزيد من عمق لون عينيها .. ضربات قلبه فقدت إحداها و هو يرى غزالته تسير بساقيها العارية و بدون حذاء تتقدم منه و تسير على موسيقي قرع قلبه ..

_حسنا سيد سيف انتهى اليوم و أنت تجلس خلف مكتبك ..

قالتها بحنق و هي تضم ذراعيها لصدرها .. ابتسم بحنان و هو يشدها له يجلسها على فخذه و يقربها منه ..

_تعرفين أن العمل كثير و غدا يجب أن أتوجه للعمل ..

_لا أصدق إن الشهر قد انتهى ..

قالتها بعبث و أناملها تعبث بأزرار قميصه

ليقول و هو يمسك كفها يقبل أناملها العابثة الناعمة ..

_كان الأجمل ..

_الأيام القادمة أجمل حبيبي ..

هتفت بوعيد و هي تقترب من وجهه تقبل وجنتيه .. انتفض قلبه لكلمة "حبيبي" التي تذيب قلبه بعذوبة بطيئة لذيذة .. لا يعلم إن كانت حقا تحبه .. أو هي كلمة للتقرب فقط .. لم يسأل فيكفيه الكلمة التي لم يحلم بها تقولها له و تخصه بها .. الوعود القادمة قتلته .. لن يكون هناك أيام طويلة صغيرتي .. الوقت محدود في حياتها ..

هتف قلبه بعذاب لم تلحظه هي في عمق عينيه البائستين .. شدته من كفه كما شدت عقله من تفكيره المعذب و هي تنهض عن أحضانه .. تقول برقه

_فيلم السهرة أحبه جدا .. و لقد جهزت كل شيء من مقبلات و لوازم

السهرة .. هيا ..
سار معها مسلوب الإرادة و دون اعتراض..
بعد مدة كان يجلس علي الأريكة في غرفتهم بعد أن تناول دوائه الذي يمده بالقوة .. متململا من الفيلم الذي أشعره بالملل .. يتأفف كل دقيقة علها تستوعب إنه لم يحب الفيلم .. لكنها لم تهتم و هي تجلس في أحضانه .. تشاهد الفيلم بتمعن شديد و تشويق .. تطعمه المكسرات بكفها .. تمنحه ابتسامة .. قبلة .. تعلم بملله من الفيلم .. لكنها تتدلل عليه ..
_ما هذا الفيلم ؟؟
_هندي .. ألا يعجبك ..
قالت بشقاوة و هي تمد كفها مليئة بالمكسرات .. ليعض أناملها بحنق و هو يدرك مكرها ..
_كنت أظنه فيلم تشويق.. فيلم رعب لكن فيلم هندي .. يا إلهي ..
قالها بسخط لتضحك بقوة و هي تقول ببقايا ضحكة معترضة
_إنه جميل .. أنا أحب الفيلم جدا .. رومانسي .. لا أحب أفلام الرعب تصيبني بالجنون ..
هتفت بسخط و لوت فمها اشمئزازا من أفلام الرعب التي يعشقها الكثيرا .. ليبتسم قائلا و كفه ترفع وجهها له ..
_لا تحتاجين للكثير من الجنون .. مجنونتي..
ضحكت بقوة للقبها الجديد .. قبل أن تدور في أحضانه لتقابله قائلة بدلال ..
_تحبه هذا الجنون .. أليس كذلك سيفي؟؟
_سيفك؟؟
قال رافعا حاجبا باستغراب .. لتقول بابتسامتها المغرية متسلطة .. ترفع سبابتها

بتحذير و عيونها تلمع بحب له . .
_إنه طابع الملكية . . هل تعترض ؟؟
_أبدا ديدا . .
ضحكت بدلال و هي تقترب أكثر . . تقبل جانب فمه . . لكنه لم يسمح بابتعادها و قد كانت نقطة البدء لديه . . فيهاجم فمها بوحشية لذيذة . . و دون أن يترك قبلاته كان يرفعها بين ذراعيه . . لتتعلق في عنقه و تهمس بدلال ماكر . .
_ الفيلم لم ينتهي !!
_لدي نهاية أجمل بكثير . .
قالها من بين قبلاته . . و هو يتجه للسرير . . حيث جنتهما الحمراء

&&&&&&&&&

عاد من عمله و كله شوق و عذاب لامرأة بعد شهر من قربها باتت ساعات عمله تصبح نيران تكوي جسده و تحرقه . . أشار للحارس بان يدخل السيارة في مكانها . .

ثم اخبره أن يضع الأشياء الموجودة في حقيبة السيارة في الحديقة الخلفية . .
دخل المنزل ليجدها تلاعب الصغير و تحادثه باللغة الغير مفهومة . . و الجد مستمتع بوجودهم . . بمجرد دخوله كان هجوم كاسح منها و من الصغير الذي يصرخ باسمه . . تتبعهم ضحكات الجد السعيدة . .
_لقد تأخرت . .
بادرت ريداء بالقول . . و هي تتأبط ذراعه . . أخفض جسده ليحمل الصغير المتعلق بقدمه . .
_لا يمكن ذلك . . أنا أبكرت بالقدوم . .
"قال باعتراض و ابتسامة على وجهه . .
توجه لجده المبتسم "كيف حالك جدي ؟؟ هل تناولت دواءك ؟؟
_بخير بني . . ريداء تهتم بي جيدا . .
ضحكت ريداء المحتضنة ذراعه . . و هي تقترب من جدها قائلة بحنان . .

www.liilas.com

_و من لنا كبير غيرك جدي .. بالتأكيد سنهتم بك ..

_ما رأيك أن تظهري ذلك و تحضري الطعام ؟؟ فأنا سأموت جوعا ..

قالها سيف بابتسامة و هو يغمز جدها .. فوضعت كفها على صدره تقول بجزع ..

_خسأ الجوع .. بدل ثيابك و اغسل يديك ستجد الطعام بانتظارك .. "قالت بعذوبة .. ثم مدت كفها لمؤيد الذي يعبث في شعر سيف " هيا حبيبي مؤيد تعال لنخبر الخالة فضيلة ..

أخذت مؤيد من أحضانه .. ثم دارت على أعقابها .. لتتجه إلى المطبخ .. ابتسم بعشق لها .. ثم نظر لجده المتابع لهم بابتسامة سعيدة لسعادة حفيديه .. اتجه لغرفة نومهم ليبدل ثيابه و يتناول دوائه .. بعد أن تناول طعام الغداء .. الذي تخلله الحديث المرح و الضحك على ردة أفعال مؤيد المشاغب .. طلب منه الجد أن يوصله إلى غرفته لينال قسطا من الراحة .. عاد للمطبخ ليجد ريداء تحادث الخالة فضيلة التي أصرت على العمل في منزل المدينة بدلا من المزرعة .. مخبرة إياه إنها لا تريد ترك الصغير و ترك ريداء .. فكان يرضخ لأمرهن بعد أن كانت ريداء توافق على قدوم فضيلة للبيت معهم .. تقف قرب مؤيد الجالس على مقعده الطويل .. المخصص له و المقفول بأمان و تساعده في شرب كأس العصير .. ابتسم بعذوبة لها ثم قال بخفة و سرعة ..

_هناك مفاجأة .. انهي عصير مؤيد ..

قالها بالقليل من التشويق و هو يغمز لها .. لتلمع عينيها بترقب و هي تقول بحماس ..

_ماذا ؟؟ ..

هز رأسه برفض و هو يقول بهدوء مغيظ ..

_لا انهي أولا العصير ..

مطت فمها بغيظ .. و هي تمسك كأس العصير تمده للصغير الذي اعترض بغضب فكانت تخبره أن ينتهي منه بسرعة .. لكن الصغير قد تخالف ضدها متلاعبا بكوبه دون أن يشرب .. فتزمجر بغيظ ... كان قد جلب الضحكة من أعماق سيف ..
بعد لحظات كانت تسير أمامه بسرعة متجهة إلى الحديقة كما طلب .. و الصغير في أعقابها يمسك بكف سيف الذي يسير ببطء أغاظها .. و قد أصبحوا متحالفين بصدق ضد الأنثى المغتاظة
_أين ؟!
قالت بخيبة و نظراتها تدور في الحديقة الخالية من أي شيء جديد .. ثم نظرت له بقهر .. لتجده قد ترك مؤيد و جلس القرفصاء بجانب الباب المطل علي الحديقة و بقربه العديد من العلب الأسطوانية الصغيرة .. نظرت له باستفهام ..

_تعالي ..
هتف بها و هو يفتح إحدى العلب الأسطوانية الشكل .. و بقربه يقف مؤيد مرتكزا على ذراع سيف ينظر بفضول ..
اقتربت منه و أخفضت جسدها له .. و عدم الفهم يلفها .. نظر لها سيف لثواني .. ينظر لما ترتدي .. كان سروال قصير لمنتصف الساق باللون الأسود و قميص أخضر اللون بأكمام قصيرة من الحرير ..
عاد بنظره للعلبة ثم فتحها .. لحظات لم تدري ما حدث كان بودرة من اللون الأحمر تطير فوقها جعلتها تغمض عينيها من المفاجأة بشهقة صدمة .. ضحكاته اخترقت أذنيها ثم سمعته يقول بمرح ..
_هنا ..
فتحت عينيها بعدم تصديق .. لتجده فتح باقي العلب و بألوان متعددة .. أخذ القليل من كل علبة و وضعها علي خشبة دائرية

الشكل مسطحة .. لم تصدق ما تراه بودرة الألوان أمامها .. لقد رأته مرة بالتلفاز و قد تمنت لو لعبت قليلا .. كانت مجرد دعاية .. لكن ها هو أمامها .. يسعدها بكل الطرق .. دون أن يدري إنها تمنت اللعب بالألوان .. يتفنن في إسعادها و بث الفرح في حياتها ..

شهقت بقوة من الفرح .. و سعادتها لا توصف .. أخذت منه الخشبة ثم مرغت أناملها باللون الأصفر و مررتها على وجنته .. ضحك بخفة قبل أن يمسك لون أخضر و ينثره في وجهها ..

ضحكاتهم كانت تتعالى و بدون دعوة كان مؤيد يغرق كفه بأحد العلب و ينثرها بالهواء .. تداول ثلاثتهم اللعب ببهجة .. فرحتها تزداد أكثر و هي تجد سيف و مؤيد يركضون خلفها ينثرون الألوان عليها .. ثم انقلب الأمر لتمسك هي الألوان و تنثره على



سيف و مؤيد الذي يصرخ بابتهاج و فرحة
.. انتهت العلب من محتواها ليقفوا أمام
بعضهم ضحكاتهم متعالية و أنفاسهم
مقطوعة من كثرة الركض و الضحك ..
شعرهم و ثيابهم و وجوههم مغطاة بالألوان
.. كانت تنظر لهم و مؤيد لا يزال يدور
حولهم .. قالت بنفس مقطوع ..
_أفسدنا الثياب ..
_لا تهتمي .. المهم أنك سعيدة و
المفاجأة أسعدت قلبك ..
قالها برقة و حنان و عيونه تلتمع بالعطف
.. ممرا أنامله علي وجنتها الملونة .. لتقول
و هي تغلق عينيها بحالمية ..
_جدا حبيبي ..
ثم رمت نفسها في أحضانه .. احتضنها و
هو يضحك من المفاجأة .. ذراعيه التفت
حول خصرها ..
_كيف عرفت إنني أحب هذه اللعبة ؟؟

_لقد رأيتك مرة تنظرين لاحد الإعلانات
على التلفاز بشغف كبير .. أنا أيضا أردت
تجربة اللعبة .. و لم أفوت على نفسي
رؤيتك مغطاة بالألوان
ضحكت بقوة و هي تشد من احتضانه ..
قائلة بهمس لذيذ ..
_أبدو كعلبة الألوان ..
ابتسم لرأسها الملقى على صدره ..
إسعادها هو كل ما يريد .. و سيفعل دوما
.. طبع قبلة رقيقة علي قمة رأسها المغطاة
بالألوان .. قبل أن يشعرا بالجسد الصغير
الذي اندس بين سيقانهم يطالب بجرعة حنان
.. أخفض سيف جسده بعد أن فك قيد
ذراعيه عن جسدها .. ليحمل مؤيد و هو
يضحك ..
_هيا لنغتسل .. حتى لا تتأثر بشرتك
الحساسة صغيري ..

في المساء و بعد أن تناولوا العشاء .. من بعد يوم طويل باللعب بألوان البودرة .. كانت ريداء قد نظفت المكان و ساعدت مؤيد في النوم و الذي حصل عليه بسرعة تامة لتعبه و لعبه طوال اليوم ..

أما سيف فقد أخبرها إنه سينهي بعض العمل القليل و لكن المهم في غرفة المكتب..

جلست علي السرير تشاهد التلفاز و في حضنها طبق من الفواكه .. اتجه فكرها إلى الحبيب المنشغل .. فابتسم ثغرها بعشق له .. لكن جبينها تغضن و هي تفكر بالمرات العديدة التي رأته يتناول بها أدوية طوال أيام زواجهم .. و قد سألته مرة عن ماهية الدواء ..

لكنه أخبرها إنها مقويات و مسكنات لأنه يرهق نفسه بالعمل .. أخبرته وقتها ألا يكثر منها لكي لا يصاب بالإدمان عليها ..

زفرت بضيق مفكرة إنه يحق يرهق نفسه بالعمل .. يجب أن تحاول معه ليخفف العمل الكثير و الذي لن ينتهي أبدا ..

تنهدت براحة و هي ترى مقبض الباب يفتح ليظهر من خلفه سيف الذي منحها ابتسامة و قال بهدوء ..

_ألا زلت مستيقظة ؟؟

_انتظرك .. و أشغل الوقت بمشاهدة التلفاز ..

ازدادت ابتسامته لها و هو يخلع قميصه و يلقيه علي الأرض .. اتبعه بحذائه و سرواله .. لم يلاحظ نظرة الغيظ علي وجهها و هي ترى الفوضى التي فعلها .. فكان أن اتجه إلى غرفة تبديل الثياب ..

فنهضت من مكانها لتعيد ترتيب الثياب التي ألقى بها على الأرض .. ثم عادت لتجلس على السرير و تعيد الطبق إلى أحضانها ..

خرج من الغرفة ليجد ثيابه غير موجودة .. ابتسم بخفة لقد اعتاد الفوضى في رمي

الثياب .. و قد أخبرته أكثر من مرة عن وضعها في مكانها لكنه ينسى ذلك .. اقترب من السرير ليجد طبق الفواكه في أحضانها ..

_هل تتناول معي الفواكه ؟

بادرته بالسؤال و هي تتلاعب برقة بحبة العنب الصغيرة .. منظرها المغري آلم قلبه الذي يحبها .. سأل و هو ينضم إليها في السرير بعد أن خلع سترة بيجامته

_في السرير ؟؟

ضحكت برقة و هي تبتلع الحبة بنعومة شديدة تساوي نعومتها الخاصة بها .. لتسأل بخبث و تلاعب و هي تقطف حبة أخري من عنقود العنب ..

_هل هناك قانون يمنع تناول الفواكه في السرير ؟؟

كان قد ارتكز على ذراعه بقربها فيما هي ترتكز على مسند السرير الكبير و الذي يلتف على السرير بشكل عمودي خلفها و طبق الفواكه في حضنها .. هجوم كاسح من المشاعر و هو يراقب فمها المعقود كحبة الكرز اللذيذ و قد غرق بسائل العنب المسكر .. كانت قد وضعت حبة أخرى بين أسنانها .. لكن قبل أن تسحقها برقة بين أسنانها .. كان فمه يسارع لالتقاطها منها ..

نظرت له بصدمة مرحة لكنها اختفت و هي تذوب في قبلته القادمة يتذوقان طعم العنب ممزوج بعسل شفاههم المقاتلة بفعل القبلة .. تراجع بهدوء للخلف بعد أنهى القبلة .. لتقضم شفتها السفلية تقول بمكر و وجنتيها قد تلونتا بالأحمر إثر تصاعد الدماء بخجل ..

_لذيذة ؟

ليبتسم ابتسامته العذبة يقول بعذوبة و صوته أجش ..

_غزالتي الجميلة أصبحت جريئة . .
ضحكت بنعومة قبل أن تقول بشقاوة
_انت معلمي . .
_لكنك لا زلت تملكين الخجل اللذيذ . .
قال و هو يمرر ظهر أنامله على وجنتها
الساخنة لتغمض عينيها والمشاعر الجياشة
تهاجم جسدها . . ابتسمت برقة قبل أن
تفتح عينيها و تضع بفمه حبة أخرى من
عنقود العنب . . مضغها ببطء و عيونه لا
تبارح عينيه . .
_هل تريد المزيد ؟؟
كانت تشير إلى الفواكه . . لكن الخبث التمع
في عينيه و هو يلوي فمه يقول بمكر
_من الفواكه لا . . لكن المزيد منك
فأجل . .
أبعدت طبق الفواكه عن حضنها . . لتبتسم
بعذوبة و هي تنسدح قربه . . تندس في
أحضانه . . شعرها البني المشقر يتناثر على

ذراعه . . و كانت تطير إلى عالمه حيث
جنته . . .
&&&&&&&&
بعد أيام عديدة قاربت أن تكون أكثر من
الشهر و النصف . . كانت ريداء تقف أمام
المرآة . . ترتدي ثيابها . . تود أن تفاجأ
سيف بزيارة في مكتبه . .
نظرت لنفسها في المرآة هناك تغييرات طفيفة
تلمسها . . لكنها لا تود الاعتراف بها . . لا
تدري سبب هذه الأنانية . . إنها ترفض
حتى نطق الكلمة . . في عقلها الباطني و
ضميرها تعرف إنها حامل . . بطنها الذي
كان منتفخ بشكل قليل جدا و الذي هو
بالتأكيد ليس بسبب الطعام . . غثيانها
الصباحي القليل و الذي تحاول إخفاءه عن
سيف . . و العذاب الشهري الذي اختفى
منذ تزوجت . . .
يوم الزفاف كان اليوم المثالي للإخصاب . .

هل يعقل أن يكون قد حدث في ذلك الوقت .. أو أي وقت .. لقد عاشت طوال الشهرين و النصف الماضيين في جنة سيف اللذيذة .. قلبها يخبرها أن تتجه إلى العيادة النسائية للتأكد .. و إخبار سيف لإسعاده كما يسعدها دوما .. لكن خوفها و أنانيتها تخبرها أن الحمل سيجعل من سيف أب و هذا سيبعده عن مؤيد ..

إنها بحاجته قرب مؤيد الذي أصبح يعشقه بشدة كأنه طفله .. لا تستطيع إبعاده عن صغيرها بسبب طفل قادم .. أنانية منها .. لكنها الحل الوحيد الذي يراه العقل الأحمق الذي تملكه .. غير مدركة إن حملها سيكتشف عاجلا غير آجل .. إن كان جسدها يساعدها في إخفاء الحمل لكونه صغير ..

فهناك عوامل أخرى ستأتي لاحقا .. و سيكتشف أمرها .. هزت رأسها بقوة تبعد تلك الأفكار عنها .. و هي ترسم ابتسامة ناعمة علي وجهها .. ثم تمسك بحقيبتها و تتجه لأخيها تحمله .. و يغادران المكان إلى حيث وجهتهم ..

في شركة و مصنع النسيج و تحديدا في مكتب المدير .. كان يجلس خلف المكتب يخط بقلمه على ورقته .. أفكاره تتناقل بسرعة إلى عقله ليضعها على الورقة ..

مشاعره تتدافع في قلبه لتنسج الكلمات ..

كل ما كان يدور في عقله من حب و أسف .. اعتذار .. امتنان .. و حتى تأنيب صغير .. كان يخطه على الورقة ..

بعد أن انتهى من الكتابة كان ينظر للكلمات يعيد قراءتها لكنه رفض ذلك .. كي لا يعيد الصياغة أو يمزق الورقة .. الكلمات الأولى تصل للقلب أكثر ..

طرق الباب ثم اتبعه دخول كاسح

من شقراءه تحمل الصغير الذي وضعته على الارض تعطيه الحرية في السير . .

نظر لها بصدمة قبل أن يتدارك الأمر مخفيا الورقة في إحدى الملفات على مكتبه . . و هو ينهض على قدميه مستقبلا مجنونته الشقراء . . التي اندفعت إلي أحضانه . . تقول بخبث . .

_مفاجأة ! ! دائما تفاجئني . . كان دوري في مفاجئتك . . هل نجحت ؟؟

ابتسم لها الشقية الصغيرة . . قبل أن يقبل وجنتها قائلا بحنان . .

_بقوة . . ما سبب الزيارة الجميلة ؟؟

_فكرت أنا و مؤيد أن نهاجم شركتك و سرقتها . . أنا لم أزرها من قبل . .

قالتها بحلاوة و هي تدور حول المكتب تنظر للمكتب الفخم و الأثاث الأبيض و الأزرق البارد . . ثم عادت بنظرها له . .

_لم أكن أعلم إن الشركة بهذه الضخامة لقد زرتها عندما كان والدي يديرها كان مصنعا صغيرا . .

تقدمت منه و هي تردف بهمس . . خشية أن تسبب له الضيق

_أتدري . . لم أكن أظن إن الشركة ستكبر بهذه الصورة . . أعلم إن هناك مشاكل في ماضيك و والدك . . لكن لا أعلم ما هي . .

_و كيف تعلمين بالمشاكل ؟؟

قالها بسخرية و هو يضم ذراعيه لصدره . . بلا إرادة منها . . و كأن كلمة الماضي قادرة علي استحضار السخرية التي تغطي ألمه . . لتبتلع ريقها بصعوبة . . كان سؤال أحمق منها و تدرك إنها أزعجته فقالت باعتذار . .

_أسفة لم أقصد . .

_لا بأس . . الجميع يعلم القصة . . الغريب إنك لا تعرفين شيء عنها . .

قالها بهدوء بعد أن تمالك نفسه و لم يود جرحها .. لتدرك ريداء حقيقة الأمر .. إنها لم تهتم بالأمر .. لم تهتم بأي شيء له علاقة بسيف .. لكنها الآن كانت مخطئة ..

رسمت ابتسامة مرتعشة و هي تتجاهل الأمر قائلة بصوت تحاول أن تبث به المرح ..

_جئت و مؤيد لنخطفك لنتناول الطعام بالخارج ..

نظر لها مطولا .. قبل أن يبتسم و هو يلمس حيرتها و خجلها من ذكر الماضي .. فقال يهون عليها الأمر و هو يتجاهل ذلك قائلا بشيء يشبه الابتسامة ..

_أنا مستعد للخطف .. هيا بنا ..

حمل سترته و اتجهت هي لمؤيد الذي كان يدور في المكان يتعرف عليه و يعيثه فسادا .. باعتراض مؤيد لحمله من قبل أخته و الذي اختفى و هو يمد ذراعيه لسيف مطالبا بحمله ..

_فيف..

و بحنق من ريداء و ضحكات سيف علي الشقي الذي يغيظ أخته كانوا يغادرون المكان تاركين خلفهم ورقة تختبئ بين الملفات...

&&&&&&&&&

في إحدى مطاعم المدينة الراقية كانوا يجلسون حول إحدى الطاولات و مؤيد يجلس علي مقعد مخصص للأطفال .. يتحدثون بهدوء و مستمتعين بشغب مؤيد .. منتظرين قدوم الغذاء ..

قال سيف مبتسما بمبادرة ريداء في دعوة الغذاء ..

_ألا تفكرين بإكمال التعليم يا صغيرة ؟؟ ظلم لك أن تنهي الأمر في الفصل الأخير لك ..

نظرت له ريداء و هي تبتسم بحزن ..

_كان الذهاب للجامعة هو الجحيم .. بعد ما حدث .. أنا لا أعلم إن كنت سأحب الذهاب هناك مجددا ..

_يجب عليك حبيبتي .. بضعة أشهر لن تأذيك ..

قال بتأكيد لها .. و هو يمسك كفها مواسيا ..

_أنت قوية ريداء .. قوية جدا .. من تستطيع الضحك و تحمل مسؤلية بين ليلة و ضحاها تستطيع مواجهة الجميع ..

_أنت بقربي .. لا أحتاج لهذه القوة .. سأكمل الفصل المتبقي لي و أنت بجانبي..

هتفت بابتسامة واثقة .. تستمد قوتها من قوته .. لكنه لا يستطيع وعدها .. هز رأسه بصمت دون أن يرد .. هو يريدها أن تكمل دراستها .. حتى تستطيع مواجهة كل شيء عندما يتركها ..

يريدها قوية لمواجهة الجميع و مواجهة العواقب بعد موته .. أتى طعامهم ليقطع تفكيره في عذاب مرضه .. و عذاب آلامه .. ابتسم مبعدا ألمه و باشر في تناول الطعام .. بعد أن انتهوا كانوا في انتظار كوب من الشاي و قطع الحلوى التي هي عبارة عن تشكيلة من البسكويت اللذيذ ..

_عمك لم يعترف بطفله لسنوات عديدة .. كان ينكروجوده ..

_ماذا ؟؟

قالت بعدم فهم و صدمة عندما قال فجأة بشكل بارد جاف .. ليبتسم لها بسخرية..

_الماضي الذي لا تعرفينه ..

_أوه .. لا داعي لذلك إن كنت لا تريد ..

هتفت بسرعة تهمس له .. لكنه قال ببرود

_يجب أن تعرفي ماضي زوجك .. "لم تنطق بكلمة و هو ينظر لها تابع الألم

في باطن كلماته الباردة .. أركز ظهره للخلف علي مقعده و أنامله تتلاعب بمفرش الطاولة المزخرف .. قبل أن يكمل " عندما تزوج بالسيدة التي أنجبتني كان يربطهم فقط ورقة بشكل سري .. زواجهم كان عرفي .. لا حقوق .. لا مسئوليات .. فقط ترفيه و إشباع رغبات .. مجرد ورقة رقيقة تربطهم ببعضهم .. كان شاب طائش يتلاعب بالجنس الآخر و الذي كان غير مبالي سوي بالمال القليل الذي يدره عليهن .. تلك السيدة كانت تظن نفسها ستفوز بالعازب الثري .. و كانت خطتها هي ربطه بطفل .. لكنه كان أذكى أو أدنى من ذلك .. عندما مزق الورقة و أخبرها إنها ليست أكثر من امرأة باعت نفسها من أجل المال و المتعة و الطفل ليس له .. رغم إنه كان الوحيد في حياتها ..

_التحاليل ؟؟ كان يجب عليها تقديمك لتحليل ال"dna" لتظهر إنها صادقة

قالت ريداء مدافعة .. ليبتسم بسخرية مريرة ..

_كانت تعلم مخاطر الأمر .. هي أذكى من ذلك .. تقديمي للتحليل يعني ورقة موتها بالمقابل .. فالسيد الأعظم كان أقسى ما يكون .. كان النقيض لوالدك .. فكرت تلك السيدة إن من الممكن لوالده لديه القدرة على التحكم بعنفوان و قسوة الابن .. لكن بمجرد وقوفها أمام منزل جدي .. فكان الجحيم فتح في وجهها .. مشاجرات .. تحرشات و سمعة سيئة .. حتى نفت إبني طفله لتحمي نفسها .. و عندما أصبحت بالسابعة من عمري .. كانت تودعني بالملجأ .. و تركتني هناك .. أشبه بسجن .. كانت أسوأ الأيام ..

توقف للحظة و هو يستعيد صرخات الطفل

الذي ينادي و يصرخ باسم والدته .. لكنها كانت تتجاهل صرخات الاستغاثة من طفلها .. شد قبضة كفه و نفس الطفل يتلقى التعذيب و التجريح من أطفال الملجأ الأكبر سننا .. أخرج نفسه من تلك الذكريات و هو يعود لرداء التي تنتظر بترقب .. ليكمل متجاهلا حياة الملجأ الحقيرة ..

_في سن الثالثة عشر .. أتى جدي للملجأ و قد عرف بمكاني أخيرا بعد البحث عني مطولا .. أخبرني جدي إن ابنه قد توفي في مرض اللوكيميا .. و قد تعذب كثيرا و هو يهتف و ينادي باسمي طالبا السماح .. و قد اعترف بي كابنه .. حتى مات دون أن يجد الرد .. كان جدي يبحث عن تلك السيدة حتى وجدها .. كانت تعاني من جروح حادث ألم بها .. حتى ماتت متأثرة بتلك الجراح .. أخذني الجد و الذي كان صبورا جدا في تحمل ردات فعلي الغاضبة .. لكن عمي استطاع أن يروضني .. بقدومي لمنزل الجد رأيت القبول و الرفض لوجودي .. قبول كان من جدي و عمي الذي كان خير معلم و أفضل إنسان مر بحياتي .. و قابلت الرفض من العمة و والدتك و أنت .. كانت نواياهم واضحة في كرهي و رفضي و هو المال ..

أما أنت فكنت صغيرة على معرفة نواياك ..

_أنا آسفة .. كنت حمقاء .. كنت لا أحب قدومك لأنك تفسد على كل شيء ..

قالت بأسف و تبرير لأفعالها .. لكنه ابتسم لأول مرة بصدق منذ دخوله في جدار الماضي ..

_كنت أحب إغضابك .. فيتحول لون الياقوت في عينيك ليصبح كعمق البحر ..

اشتعلت وجنتيها خجلا .. مبتسمة له .. ليكمل هو بهدوء ..

_استلم عمي عمل أخيه .. كوصي على طفله حتى أبلغ الرشد .. حتى توفي في إحدى المرات و هو يرسل لي المال لأكمل دراستي .. كم كرهت المال و كل شيء وقتها .. كنت اكره نفسي لأنني كنت السبب في فقدك والدك ..

_لا تقل ذلك .. أبي أبدا لم يحملك الذنب و لا حتى أنا .. عندما توفي كان يوصيني بك يخبرني إنك ظلمت كثيرا و يجب أن اهتم بك و لو قليلا .. أن أتقبلك في حياتي .. و أخبرني أن أرسل لك إنه أحبك كطفله .. أبدا لم يقل إنك سبب موته حتى و هو يلفظ أنفاسه بين ذراعي..

قالت بألم و هي تضغط علي كفه تواسيه و تستمد قوتها منه كي لا تضعف و تبكي ذكرى والدها .. أكمل يقول باحترام للرجل الذي أحب

_فكرت أن أدمر المال الذي كان سبب كل قهر و ظلم و غضب تعرضت له طوال حياتي .. فبسببه ذلك الرجل أنكر وجودي .. و بسببه تلك السيدة كانت ترمي بي في الملجأ .. و بسببه تعرضت لرفض عمتي لي .. و بسببه توفى عمي .. لكنني فكرت كثيرا قبل أن أفعل ذلك .. عمي تعب كثيرا في صنعه لي و المحافظة عليه من أجلي .. فكان يجب أن أحافظ عليه بالمقابل من أجل ذكراه .. من أجل تضحيته ..

_من أجل والدي .. يا إلهي .. أنت فعلا تحبه ..

قالت بسعادة و هي ترى طيبة قلبه تجاه والدها .. فطوال حديثه و هو يذكر والديه ب"تلك السيدة و ذلك الرجل" لقد آذوه كثيرا .. كثيرا جدا .. و جراح الماضي لا تزال في قلبه ..

_كان الأطيب طوال حياتي ..
قال معترفا .. لتبتسم له قائلة بصدق ..
_و أنت مثله تماما ..
لم يرد .. و هو ينظر لها .. نظراته
اجتاحت نفسها و روحها بهجوم كاسح ..
لقد عرى روحه أمامها و إن كان بشكل
مبطن .. فآلام قلبه لا تزال محفوظة في
جدران ماضيه .. عيون الرصاص ثبتت
عيني الياقوت حقها .. ابتسمت له بارتعاش
و هي ترى لمعان عينيه الدافئتين متسائلة
بحيرة ..
كيف للرصاص أن يكون دافئ و مشتعل ..
بل و يرسل لها شرارات و نيران تصيب
قلبها ..
انتبه كلاهما و فك أسر عيونهم بتهليل مؤيد
الذي قد تناسوا وجوده في خضم الحديث
.. كان الصغير يرحب بطبق الحلوى و ألوان
الزينة الموضوعة علي قطع البسكويت ..

ابتسموا له و مدت له ريداء إحدى القطع
لتغوص كفه الصغيرة في زينة الحلوى .. باعثا
الضحك في نفس الثنائي الكبير .. فيعود
المرح للمائدة بعد استذكار الماضي و ذلك
بفضل الصغير المشاكس ...
&&&&&&&&&
بعد يوم متعب طويل قضاه في العمل كان يعود
لمنزله حيث جنته و حوريته في انتظاره ..
ابتسم لذكرى الشقية الشقراء و الذي
أصبحت تسرى في روحه و قلبه و تتغلغل
تحت جلده ..
ثلاثة أشهر قضاها بقربها كانت كثيرة جدا
عليه .. لا الم غير ألم المرض الذي يتناساه
بقربها و بابتسامتها و الصغير .. سعادة و
فرح و بهجة و جنة يعيشها قبل موته ..
تفكيره بالمرض ما يعكر مزاجه أحيانا و
بصحته التي أصبحت تفقد قوتها حتى
بوجود الدواء الذي يتناوله يوميا أكثر من مرة

و بذلك الذي تخفيه ريداء و ينتظر أن
تخبره . .
يلمسه لكن يحتاج تصريحها . . لا يعلم سبب
إخفاءها عن الأمر . . هل يمكن أن تكون
بانتظار شيء ما ؟؟ هل لديها خطط هي
الأخرى ؟؟ هناك هاجس آخر يعكر حياته
. . هو حداد . . هل يعقل أن تكون لا تزال
تحبه ؟؟ لذلك هي لم تخبره ؟؟ و ما
السبب غير ذلك ؟؟
و عند الطريق المؤدي إلى المنزل كان يرى
سيارة يعرفها جيدا تخرج من الباب الخارجي
للمنزل . . متجهة في الطريق الآخر . . قلبه
اشتعل بنيران الألم و الغيرة . .
و شيء آخر لم يرد ذكره كي لا يرتكب الحرام
. . زاد من سرعة سيارته و شياطين
الجحيم تتقافز أمامه . .
أوقف السيارة أمام المنزل مسببا صوتا
مزعجا من صرير العجلات على الأرض
الصخرية . .

قبل ذلك بمدة . . كانت ريداء تقف أمامه
تبتسم بكياسة و لطف . . تستقبل دعوته
للخطبة كشيء عادي . . مفكرة بحيرة . .
كيف يمكن إن هذا الرجل الذي تعلقت به
طوال فترة شبابها و مراهقتها . . كانت
تحبه !
هل يعقل إن هذا كله كان وهم و إنها أبدا لم
تحب حداد من قبل ! إنها لم تتألم . . لم
تشعر حتى بوخز صغير و هي تستمع له
يدعوها و سيف لخطبته على صديقتها . .
أومأت له بالموافقة . . و هي تنفي فكرها
من كل ذلك . .
_بالتأكيد سنأتي . . مبارك لك و لها
بلغها تحياتي . .
_حسنا . . يجب أن أذهب الآن . .
قال حداد و هو يترك فنجان القهوة و يبتسم

قائلا بهدوء
_بلغي سلامي لسيف .. في انتظاركم بعد يومين .. مع السلامة ..
راقبت خروجه من المنزل بهدوء شديد .. ثم تبتسم بحلاوة و راحة ..
_لم أعد أحبه .. أنا أحب بل أعشق حبيبي و سيد الرجال سيف .. لم تكن تدري إنها كانت متخوفة من ترسبات بقايا حب حداد .. حتى اللحظة التي شعرت بها بالراحة و هي تقابله بشيء عادي و هادئ ..
سمعت صوت صرير سيارة في الخارج فاتجهت للشباك لتري سيارة سيف .. انتفض قلبها بحب له .. بل طار لاستقباله .. و قبل أن تصل باب غرفة المعيشة كان سيف يقف هناك و وجهه شاحب من الغضب ..
_ما الذي كان يفعله هنا ؟؟
صرخ بغضب .. ليصيبها الغباء بسبب صراخه الذي تتعرض له للمرة الأولى ..
_ماذا ؟؟
_لا تمثلي الغباء .. لقد رأيت ذلك الحقير حداد يغادر المنزل .. أخبريني هل أتى يطلب السماح و الغفران و يخبرك كم كان أحمق بعدم حبك ..
قالها بصوت فقد السيطرة على غضبه و الغيرة تعمي بصيرته و تعقله .. أمسك ذراعيه بكف الف ككماشة قاسية .. صدمتها ألجمتها الصمت و هي ترى نيران الغضب و الألم في عينيه ..
_هل أخبرته إنك ستعودين له بعد الفكاك مني .. هل خططتم لقتلي ؟؟
_ما هذا الهراء الذي تقوله ؟؟
هتفت ريداء بصدمة متلعثمة بالحروف .. ليهزها بقهر ..
_هراء ؟؟ هل تنكرين إنك لا تزالين

تحبينه ؟؟ هل تنكرين إنك لا تريدين
وجودي بقربك ؟؟
شهقت بعنف من كلماته القاسية .. لتقول
برفض لتلك الكلمات الحادة كنصل
سكين...
_أنكر كل ذلك .. كيف تفكر بذلك؟؟
قالت بألم و دموعها متحجرة في عينيها ..
ليتركها قائلا بقهر مرددا ..
_كيف أفكر ؟؟ أخبريني إذا ما السبب
الذي يمنعك من إخباري عما تخفينه عني
.. رفضك له أم لي ؟؟
_أنا لا أخفي شيئا عنك .. عما
تتحدث ؟؟.
هتفت ببكاء و هي تحتضن نفسها ..
ليصرخ متألما من شدة وجعه و سيطرته
بدأت تنهار .. بدأت الرؤية مشوشة غير
واضحة .. فصرخ بوجع ..
_عن الطفل في احشائك ؟!

شهقت مقطوعة الأنفاس لكنه لم يلاحظ ذلك
و هو يجد نفسه يرى الأرض تتحرك من تحته
و الدنيا تدور من حوله .. اسمه يتردد من
بعيد بألم .. لكنه لا يستطيع النطق ..
استسلم أخيرا للهوة السوداء التي تقترب منه
لتبتلعه بظلامها .. فيتهاوى على الأرض
فاقدا الوعي .. و شهقة عنيفة تصدر من
ريداء و هي تصرخ بجزع
_سيـف ؟!!!

انتهى الفصل الخامس

أحتاجك

www.liilas.com

الفصل السادس والأخير

في الساعة التالية كانت تقف في أحد الأروقة تنتظر خروج الطبيب من غرفة المعاينة .. متجاهلة حقيقة كونها تقف عند العناية المشددة .. تنتظر بذهول و لا تزال تحت تأثير صدمتها .. بقربها خالد الذي يمدها بالعون و المساندة ..

متذكرة الساعة الماضية .. لحظة سقوطه بشكل مفزع في وسط الغرفة مفترشا أرضها ..و قد كانت تظنه قد مات .. شحوب وجهه و تنفسه الذي يمكن أن يكون قد قطع ..حديثها و كلماتها له لإيقاظه و التي كانت محملة بالألم و الخوف .. الفزع الكبير لحد أن شعرت بجدة كلماتها تجرح حلقها الجاف من شدة فزعها و قد جف حلقها و اختفت الدماء من عروقها ..

كانت تتصرف بغريزة و هي تتجه بأعصاب ترتعش كورقة جافة خفيفة في مهب الريح و تستدعي الإسعاف .. و الذي لم يتأخر

كثيرا .. رغم بعد المسافة عن مركز المدينة .. استقبله الطبيب و حتى اللحظة لم يظهر لطمأنتها .. تاركا اياها وجبة سهلة للخوف..

لولا وجود خالد الذي كانت تهاتفه بعد وصولهم المستشفى .. و الذي لم يتأخر أبدا في القدوم .. يساندها .. ينقذها من الوقوع فريسة لشبح الخوف و الفزع .. باثا في قلبها الاطمئنان رغم خوفه هو الآخر بسبب المدة الطويلة من الانتظار..

أخيرا كان الطبيب يخرج من الغرفة و يقربه طاقم العمل الذي تم استدعائه .. كأن الروح قد عادت لها دفعة واحدة .. و بقربها يقف خالد الملهف لسماع أخبار طيبة .. نظر لهم الطبيب قبل أن يهتف بهدوء ..

_المؤشرات الحيوية قد عادت لطبيعتها الحمد لله .. لكن السيد سيف غرق في غيبوبة .. علمنا إنه احد مرضى الطبيب هاني .. و قد تم استدعاءه .. سيتحدث معكم فور وصوله و يشرح لكم عن حالة السيد .. عن إذنكم ..

قالها بسرعة ثم غادر في أعقابه احدى الممرضات .. نظرت ريداء لخالد بعدم فهم و ألم .. و تبدو كمن فقدت عقلها ..

مرددة في تفكيرها .. مؤشرات طبيعية ..غيبوبة ..

_هل قال غيبوبة "سألت بصوت هامس مختنق" سيف ليس مريض .. إنه كامل الصحة ..

قالت بألم لا تريد استيعاب أي فكرة تخبرها بوجع حبيبها .. ليقول لها خالد مواسيا ..

_اهدأي أختي .. سيأتي الطبيب حالا و يخبرنا عن أمر سيف ..

نظرت له بعيون فارغة من أي تعبير و مشاعر .. و كأنها مخدرة .. دون أن

تنطق بكلمة .. قلبها يطرق بعنف كبير خوفا من خسارته .. و عقلها يعيش بدوامة من التفكير .. شعرت بأنها تقف علي قدمين من هلام .. فآثرت الجلوس كي لا تسقط

_لوكيميا ..

هتفت بها بعنف و صدمة .. تشهق لاستيعاب الهواء الذي انقطع فجأة من حولها ثم عاد فجأة و بشكل أقوى .. ليؤلم رئتيها ..

_السيد سيف مريض لدي منذ فترة .. لكنه مريض عنيد .. هذه الغيبوبة كانت أثر إرهاقه و تعب جسده المريض و الذي لا يرحمه أبدا ..

_كنت أظنه تعب من العمل ..

قالت بألم و هي تحاول التنفس ..ليكمل

الطبيب و هو مراعيا حالة ريداء المصدومة..

_إنه العمل .. لكن جسده ضعيف جدا .. المرض ينهش في جسده بلا رحمة .. أخبرته إنه يلزمه عملية طالما نحن قادرين على السيطرة عليه .. لكنه رفض الأمر..

_كيف تسمح لمريض أن يموت أمامك و أنت تستطيع مساعدته ؟؟

قالت بألم موجهة عتابها للطبيب .. فنهرها خالد بعتاب ..

_ريداء ..

لكن الطبيب ابتسم لها مهدئا من روعها قائلا بهدوء ..

_أنا لم اتركه يموت أمامي سيدتي .. لا أستطيع إجباره على شيء .. كما أنني لا زلت أبحث عن متبرع له بنخاع شوكي .. و وقتها سأحاول جهدي لأقنعه ..

_أنا آسفة .. لم أكن أقصد ..
قالت بندم و قد بدأ الوعي و الهدوء يعود لجسدها و عقلها .. فهز الطبيب رأسه قائلا بهدوء ..
_لا بأس .. السيد سيف الآن في غيبوبة .. لا نعلم الوقت الذي سيستيقظ فيه .. ما علينا فعله هو إيجاد المتبرع له .. فزمرة دمه نادرة ..
_سأقوم بالتحليل و أتمنى أن ينجح الأمر..
هتفت بها ريداء و هي تنهض سريعة و تتجه إلى الخارج بعد أن شكرت الطبيب .. ابتسم لها الطبيب لخالد المبتسم بإحراج لتصرف ريداء القلقة على زوجها ..

في غرفة الكشف كانت ريداء تنظر لخزعة الدماء التي تأخذ منها .. تدعو الله من كل قلبها على أن تكون هي المتبرع .. صدمتها كانت كبيرة بمرض زوجها .. لم تعرف الكثير عن المرض .. لكن كلمة "سرطان" تستطيع شل تفكير أي شخص عاقل .. الطبيب أخبرها إنهم يحتاجون لمتبرع يتطابق زمرة دمه و أنسجته مع أنسجة سيف و زمرة دمه .. إنها بنفس زمرة دمه كما تظن .. تحتاج فقط لتأكيد الأنسجة .. لسانها لم يتوقف عن الدعاء لسيف .. خرجت من غرفة الكشف و اتجهت إلى العناية المشددة .. لكي تبقى بقرب سيف .. ريثما تطمأن على نتائج التحاليل ..

&&&&&&&&&

بعد يومين .. كانت تجلس مهمومة .. حزينة على مقاعد الانتظار .. تعيد بذاكرتها ما حدث قبل يوم .. عندما كانت تنتظر بلهفة النتائج .. و بعد أن أخبرت الجميع من جدها .. و خالد و أقاربه بوجوب قيامهم بالتحليل اللازم لتطابق الأنسجة و وجود المتبرع .. في حال لم تكن

هي المتبرع .. و لم يتوانى أحدهم عن فعلها .. حتى الجد أجبر ابنه و حداد على القيام بتلك التحاليل .. أملا في أن يكون أحدهم ذلك المتبرع ..

لكن أصابها الألم و خيبة الأمل و هي تنظر للممرضة التي كانت تبتسم لها مبشرة بجملها .. و التي كانت تظن إن ريداء لا تعرفه ..

لكن ريداء لم تهتم .. فهي لا تزال تشعر بالغضب لكونها لم تخبر سيف الذي لابد قد تألم كثيرا طوال فترة معرفته بجملها دون أن تخبره .. و تريد أن تعرف كيف علم بجملها ..

لهفتها اختفت و هي تسمع الممرضة تخبرها إن التطابق لم يحصل بين الأنسجة .. ثم اختفت تدريجيا .. حتى ماتت .. و هي تسمع نفس الكلمة . . .

"لا تطابق "بين كل من قدم علي القيام بالتحليل .. بكت كثيرا .. كثيرا جدا ..

لكن دون فائدة ..

&&&&&&&&

_ما العمل الآن ؟؟

هتفت بها ريداء و هي تنظر للطبيب بيأس .. ليبتسم لها الطبيب قائلا بهدوء ..

_الانتظار .. لا تيأسي سيدتي ..

_جده و أنا و كل من حولنا قام بالتحليل .. حتى مؤيد الصغير على أمل أن يكون هو المتبرع .. لكن كل ذلك انتهى و لا تطابق ..

قالتها بصوت باكِ .. ليخبرها الطبيب بأمل..

_أنتِ حامل .. من الممكن أن يكون الطفلَ هو ذلك المنشود ..

_حقـا ؟؟

_اجعلي الأمل بالله كبير سيدة ريداء .. رحمة الله واسعة .. و يضع سره في أصغر خلقه ..

_و نعم بالله ..
لسانها لم يتوقف عن الدعاء .. ثم قالت فجأة وقد تذكرت ..
_كيف سنقوم بالتحليل لنتأكد ؟؟
_هذا لا يحدث إلا في حالة الولادة .. قالها الطبيب بنفس هدوءه .. لتفغر فمها بقهر ..
_لكن أنا بالشهر الثالث فقط .. هل ننتظر ستة أشهر و نحن لا نعلم إن كان هو المنشود أو لا ؟؟
_لا يوجد أمامنا سوى الانتظار .. و الدعاء له ..
هزت رأسها بالموافقة على كلامه .. ربتت على بطنها تهمس له بصمت أن يكون هو المتبرع لوالده .. نهضت من مقعدها متجهة لزوجها الذي لا يزال في ظلام غيبوبته ..
&&&&&&&&
_سيدة ريداء ..

هتف بها شخص من خلفها .. و هي تقف تنظر من زجاج باب غرفة العناية المشددة.. سبعة أيام و هو قابع في هذه الغرفة تنتظر استيقاظه دون فائدة ..
يجبرها الجد و خالد على الذهاب للمبيت في المنزل دون أن ترى مؤيد الذي أخذه خالد ليبقى تحت عناية "منه" له .. ترضخ ريداء لأمرهم فلا قوة لديها لمناقشتهم .. ثم تعود طوال اليوم لتكون قريبة منه ..
نظرت للرجل الذي يرتدي بذلة سوداء .. لقد رأته من قبل .. لكن لا تعرف أين .. قطبت حاجبيها تود التذكر دون فائدة ..
_أنا مجدي .. المساعد الشخصي للسيد سيف ..
قالها الرجل مبتسما بعملية .. و هو يرى حيرتها .. تذكرته .. لقد كان أحد الشهود في عقد قرانها على سيف ..
ابتسمت له بهدوء و هي تفكر بقلق من أن

يكون هناك مشاكل في العمل ..

_هل الأمور بخير ؟؟

سألت بقلق .. ليسارع بالقول مطمئنا إياها ..

_بخير .. أنا هنا من أجل السيد سيف و ما أمره لي مسبقا .. لكن يبدو أن خططه تغيرت ..

_لم أفهم ..

قالت ريداء بجبين مقطب .. ليدخل مجدي كفه في جيب سترته ثم يخرج منه غلاف أبيض .. مده لها قائلا ..

_هذه الرسالة لكِ من قبل السيد سيف .. أخبرني قبل دخوله المستشفى أن أرسلها لكِ في حالة اختفى يوما من حياتك .. لكن يبدو أنك بحاجتها الآن .. لأن خططه في الهروب من حياتك في احدى الأيام كما أسر لي مسبقا لم يحدث..

_يهرب .. يختفي ؟؟

سألت ريداء بعدم فهم و دون استيعاب .. و هي تنظر للغلاف في كفها ..

_حسنا أخبرني عندما أعطاني الرسالة بسر كوني المساعد الشخصي .. و قد أخبرني وقتها إن هذا يعتبر سر كأسرار العمل .. فقد كان يخطط عندما يشتد عليه المرض أن يتركك ليتجرع آلامه وحيدا ..

_هل كنت تعرف بأمره ؟؟

سألت بصدمة .. ليهز رأسه بهدوء قائلا بألم و حنق من نفسه ..

_لقد وعدته ألا أخبر أحدا .. فقد كاد يفقد وعيه مرة و كنت الشاهد على ذلك.. فأخبرني بالأمر وقتها ..

ابتلعت لعابها و شعرت كأن زجاج مكسور يحتك في حلقها .. لا قدرة لديها على ابتلاعه .. تراجعت بألم لتجلس على المقعد و قد هزها الألم و القهر ..كان يريد تركها

.. ليحارب مرضه وحيدا .. لم يثق بها .. لم يثق بقوتها لتكون بقربه .. كان يريد تركها و يموت .. كغيره .. . ككل من يحبهم .. كان سيخذلها .. دمعة وحيدة كانت عالقة في أهدابها قبل أن تفك قيدها بعد أن أصبحت محملة بالعبر و زاد وزن حزنها .. فسقطت على وجنتها .. مسحتها بسرعة و تلك الغصة مستحكمة في حلقها .. لا تستطيع ابتلاعها أبدا .. هزت رأسها شاكرة لمجدي و أخبرته أن يهتم بالعمل ريثما يعود سيف ..

غادر مجدي المكان و قد شعر بأن زوجة رئيسه تحتاج للوقت مع نفسها .. بعد الكثير من اللحظات كانت تنظر للرسالة في كفها .. مزقت الغلاف و قد ذاب قلبها حبا و خوفا على حبيبها و قد كان يبحث له عن المبررات .. و زاد فضولها لتعرف ما تحتوي الرسالة ..

فتحت الورقة بكف مرتعش و قلب ينبض بشدة بين أضلعها .. تثاقلت عينيها الياقوتيتين و اللتان انتفختا من كثرة بكاءها .. على الخط المميز له و الذي يميل باضطراب على الورقة .. لامست الكلمات بأناملها كأنها تداعبه .. تلامسها لأنها تخص صاحبها .. سحبت الأنفاس المتعددة و بدأت بقراءة الأسطر الأولى و الكلمات التي زادت من وثب قلبها .. و بدأت عيونها تتناقل بسلاسة و جوع بين الأسطر الممتلئة بالحبر الأسود ..

"حبيبتي ريداء ..

أجل حبيبتي و مصدر سعادتي .. و ضحكة صباحي و كل أيامي المتبقية .. لا أعلم يا حلوتي إن كنت تدركين إنني أحبك ..

أحبك بكل نبضة قلب .. و بكل نفس أخرجه من جسدي .. و بكل خلايا جسدي المريض .. هل شعرت بهذا الحب

الذي أكنه لك حبيبتي ؟؟
هل لامست ذلك بقلبك و عينيك الياقوتيتين ؟؟ لا يهم إن كنت تعلمين أم لا .. فأنا أحبك يا نبض القلب .. حبيبتي سأبدأ كلماتي لأخبرك كم أنا جبان .. جبان و لم أتحلى بالشجاعة الكافية لأن أواجهك .. تخاذلت دوما عندما أخفيت حبي منذ اللحظة الأولى التي رأيتك فيها .. كنت فتاة جميلة .. صغيرة و كفراشة تحت أشعة الشمس ..
لا زلت أذكر ذلك اليوم عندما دخلت المنزل مع جدي و كنتِ بانتظاره .. شعرت وقتها بالجنون و أكثر بكثير من مرحلة الإعجاب .. فكنت مأخوذا بعيونك اللامعة و شعرك الذهبي .. كل ذلك تهدم في لحظات عندما ألقيت تلك النظرة المتجمدة و الرفض كان صريح في عينيك فزاد من ألمي .. فلم تكن جراحي قد

التامت بعد .. و قدومي من الملجأ كان الدليل .. فكان لابد لي من أن أشملك في دائرة الغضب التي سأشنها على الجميع .. كان يجب أن أغضب و أثور و أعلن حالات التمرد و العصيان لقدري الذي حكم علي طفل بالألم و الرفض و القسوة ..كان يجب أن أكرهكم جميعا .. لأسباب كثيرة إحداها مكوثي لسنوات في ذلك الملجأ الحقير و كان المفترض أن يطلق عليه إلا سجن ..لا يهم هذا أيضا فكل ما حدث سابقا هو ماضي و انتهى بآلامه و جروحه و غضبه..فالأيام القليلة الماضية معك يا حبيبتي أنستني حتى طعم العلقم الذي تجرعته سابقا ..
أياما قليلة لم أعرف المعنى الحقيقي للسعادة إلا وقتها ..لم أضحك من كل قلبي إلا في هذه الأيام .. كانت أكثر مما تمنيت و شعرت وقتها إنني في جنة .. لكن قدري

كان يعاكسني دوما ..

حقيقةً حبيبتي .. لم أخطط لكل تلك الأحلام و السعادة .. لم أظن إنني سأكون بهذا الكم من السعادة يوما .. فكنت أعلم في قرارة نفسي أنني لن أذق طعمها ..

عندما علمت بمرضي الخبيث .. خططت نعم و أخبرت نفسي أنني أستحق العيش و لو قليلا في راحة بال و بقربك ..

كنت أنانيا .. صفة أخرى سيئة تلتصق بي و تقف بقرب الأخريات .. كنت أنانيا عندما أردتك بقربي لأقضي القليل معك .. و لحماقتي و أنانيتي لم أدرك أنني أظلمك بوجودي و أنا سأتركك لا محالة ..فوضعت القرارات مرة أخرى عندما وجدت أني أتعلق بك أكثر رغم أني لم أعرف شعورك .. لكنني فكرت إن الابتعاد الآن أفضل قبل أن تتعلقي بي .. فقررت أن أعيش أيام قليلة فقط قليلة ثم أتركك لألعق جروحي و أعيش مرضي وحيدا .. فهذا الأفضل لك حبيبتي ..

كم وددت لو كنتِ فعلا تبادليني ذلك الحب و العشق حبيبتي .. كنت سأسأل .. هل تدركين المرات العديدة التي أمسكت بها لساني لكي لا يسأل السؤال الأحمق "هل تحبينني ؟؟" ؟؟ بالتأكيد لن تفعلي .. فذلك الشعور بالنبذ لا يزال ينهش قلبي دوما ..

ضحكاتك الصباحية و وجودك بقربي كان دائما مهددا في عقلي .. كنت أود أن أضعك بين أضلع صدري لتكوني هناك حبيبة قلبي الدائمة و الأبدية ..

كل ما كان يهمني هو أنني أحبك و أعشقك بشدة .. و لم أهتم إن كنت تحبينني ..فأنت بقربي دوما .. لكنني كنت مخطئا .. فقد تمنيت دائما لو أنك أحببتني و لو قليلا .. قليلا فقط .. كنت أخاف أن أعود يوما فأجد كل شيء محض خيال

في تفكيري الغبي .. لكن لم يحدث لدهشتي .. فحتى اللحظة لم أصدق أنك ملكي..لكن .. دائما هناك لكن حبيبتي.. لكن الأيام الماضية .. شعرت بالتغيير .. خوفك .. رعبك من أن يكتشف سرا .. لا أعرف ما هو .. فأصبحت الهواجس تطاردني من جديد .. تقتل العقلانية المتبقية في تفكيري .. فكنت أراقب كل حركاتك ..خوفا منك و عليكِ .. لم أشك بكِ بالتأكيد .. فأنت أنزه من أي تفكير غبي قد يتملكني .. لكن الخوف كان أن السعادة التي أصنعها لكِ لم تعد تكفيكِ..
خوفا من أن يكون أصابكِ شيء ..فكنت أراكِ تتجهين بسرعة للحمام كل صباح .. استمع لصوت تقيؤك .. و يصاب قلبي الخوف و الرعب عليكِ .. هل تدركين كم القلق و الخوف الذي أصابني خوفا من أن تكوني مريضة ؟؟

كنت أيضا جبان .. فلم أخبرك بوجوب الذهاب للطبيب ... خوفا من تلك الكلمة التي قتلتني مسبقا .. فكنت أتجاهل الأمر .. لكني لم أكف عن مراقبتك دوما ..حتى رأيت ذلك حبيبتي .. لا أدري إن كان ذلك بصالحي أم بصالحك .. رأيت أشرطة كشف الحمل التي جبنتي و لم تستخدميها .. رأيتها مرة عندما طرقت باب الحمام و من شدة ارتباكك كنت تخبئينها في خزانة الأدوية التي نسيتِ كثرة استخدامي لها .. كان هو الدليل علي تلك الحقيقة التي غابت عن عقلي .. فأصبحت أدرك للارتعاش التي تصيبك كلما لامست بطنك .. و ذلك إلى جانب التقيؤ الصباحي .. ثم لإجفالك كلما ذكر الجد كلمة "حفيدي" ..
لكن ذلك لم يصيبني إلا بالقلق أيضا و الخوف .. فعاد لي شعور النبذ و الخوف من أن تتركيني .. و إلا ما السبب الذي يجعلك

تخفين عني الأمر حبيبتي .. ما السبب الذي يجعلك تكرهين الحمل و إنجاب طفلا مني؟؟ لا يهم فأنا لا زلت أثق بكِ .. أنا أثق بكِ و بقوتكِ .. لربما لديكِ مبرر لذلك ..لا اعلم هل سأنتظر لحين سماعه.. و سماع تلك الكلمة منكِ حبيبتي..لكنى حقا أود ذلك .. فهل فات الاوان ..؟

سامحيني لأنني كنت جرحا آخر في حياتك و أصبحت فصل من فصول حياتك و قد انتهت بالبعد .. سامحي أنانيتي و تمني لي الرحمة ..و قبل أن اهتف بكلمة الوداع .. أردت أن أخبرك إن كل ما أملك هو مسجل باسمك..و أنت الوصية على أموال الطفل .. طفلنا .. أرجو أن تحبيه و لو قليلا حبيبتي ..

هذا ما يمكنني فعله لك في هذه اللحظات.. أحبك صغيرتي و لم أعرف الحب و السعادة إلا معك و مع الصغير .. اهتمي بنفسك و كوني قوية .. كوني قوية من أجل مؤيد و من أجل الطفل ..و لا تتخاذلي يوما فأنت أكثر قوة و شجاعة مني و من الجميع .. أما أنا فأتمنى لك الحياة الأجمل و اياما أكثر سعادة ..

المحب لك على الدوام .. سيف"

شهقاتها ارتفعت .. بل أنها بدأت بالنحيب .. دموعها أغرقت الورقة و ضاعت بعض الكلمات بسبب الدموع .. احتضنت الورقة لصدرها و هي تقول بنحيب

_أنا آسفة .. آسفة لكل الألم الذي كان من نصيبك .. آسفة لما سببته لك

..امتدت كفها لبطنها الغير ظاهرة إلا قليلا حتى اللحظة ..رغم مرور الثلاثة أشهر .. و قالت بعزم ..

_سأفعل كل ما بوسعي كي لا يتركنا .. أعدك طفلي الذي أحب .. أحبك كثيرا و ليس كما يظن والدك إنني لا اريدك يكفي

انك بذرة حبنا لأتمسك بك يكفي انك جزء من حبيبي لأحبك..

&&&&&&

أنهت صلاتها في مصلى المستشفى و أتبعته بدعاء طويل .. تتوسل الله أن يشفي سيف من المرض الخبيث و يعيده لها سالما ..

عدلت من وضعية حجابها الذي ارتدته في الأيام الأخيرة .. لترضي ربها و يتقبل دعائها في صلاتها ..

ثم غادرت المصلى المخصص للنساء .. و اتجهت إلى حيث يتواجد سيف .. مر أسبوعان و هو لا يزال في العناية المشددة .. و عقله في غيبوبته .. لا تدري متى سيستيقظ .. تقضي اليوم بطوله .. قريبة منه .. تحدثه دوما كأنه مستيقظ و يستمع لها .. متجاهلة العالم بأسره .. حتى مؤيد لم تعد تراه إلا في وقت عودتها للمنزل ليلا لتنام .. تحت إصرار جدها الذي باتت صحته متدهورة جدا مؤخرا حزنا على حفيده الحبيب سيف ..

عمتها خديجة تهتم به و تراعيه .. العمة التي أظهرت ندمها لكونها كان حاقدة عليه فيما مضى .. بل منذ علمت بشأنه .. كانت تريد كل ما يملك لابنها .. لكنها استيقظت أخيرا من حقدها و أنانيتها و يبدو ذلك جليا في قلقها الدائم و سؤال ريداء عن سيف .. و حزنها و دعائها له بالشفاء ..

استيقظت من أفكارها عندما رأت الطاقم الطبي يخرج من العناية المشددة .. فانتفض قلبها بقوة كاد أن يتوقف علي أثرها عن النبض .. تجمدت في مكانها و الخوف من الخبر الذي قد يحمله الطبيب لها .. لكن ابتسامة ظهرت على وجه الطبيب الذي رآها تقف شاحبة .. ليستقبلها بقوله ..

_ سيدة ريداء .. لقد استيقظ زوجك

من غيبوبته .. حمدا لله ..
شهقت بعنف طلبا للهواء .. و شعور السكون و الراحة ملأ قلبها .. لتشعر كما لو أن جمودها انتهى و أصبح جسدها بدون عظام .. كالهلام ..
_الحمدلله .. الحمد لله ..
القوة التي غادرتها فجأة أتتها بسرعة لتركض باتجاه الغرفة التي يقبع بها زوجها ..
فتحت الباب بسرعة لتراه ككل مرة جسده متصل بالأجهزة .. وجوده في هذا المكان كان يمزق فؤادها .. لكن هذه المرة ارتعش قلبها و هي ترى نظراته تتجه إليها ..
_سيف ..
رآها تقف على الباب تنظر له بألم .. آلم قلبه بالمقابل .. فاجأه الحجاب الذي يزين وجهها .. لكنه أسعده بالمقابل ..
جسدها بدي أنحف .. رغم بروز بطنها التي بدأت تظهر الآن بشكل أوضح ..

اقتربت منه بتوتر و خوف .. ليرى شحوب وجهها و فقده لنضارته .. الهالات السوداء حول عينيها الحزينتين الذابلتين .. "آه .. ما الذي فعلته بك حبيبتي يا إلهي .." همس بها بألم و عذاب .. لكنه ابتسم لها بترحيب لتتقدم أكثر متجهة له .. أنفاسها تخرج مرتجفة من جوفها ..
_أنا آسفة .. سامح غبائي و أنانيتي أرجوك ..
هتفت بها و هي تركع بضعف قرب السرير تمسك كفه و دموعها تتراكض على وجنتيها . .انتفض قلبه كمن مسه الكهرباء و هو يراها بهذا الشكل .. كيف تظن نفسها المذنبة و هو من أخطأ بحقها .. لقد كان غبي جدا ..
_اهدأي حبيبتي .. أنا المخطئ هنا ..
هزت رأسها بالرفض و هي ترفع وجها مليئا بالدموع و الندم

_لم احبه قط .. كان قلبي غبي عندما حاول الوقوع بحبه .. أنا أحبك أنت .. فقط أنت .. أقسم إنني أحبك أنت ..

_ريداء حبيبتي ..

هتف بخشونة .. و هو غير مصدق .. الهاجس الذي هاجمه مرارا من أجل حبها لحداد انتهى بكلمة واحدة منها .. غرد قلبه بين أضلعه بقسوة و هو يرفع كفها له ليشدها مساعدا إياها على الوقوف من مكانها .. فطاوعته بسهولة .. كي لا تؤلمه ..

_لماذا فعلت ذلك حبيبي ؟؟

هتفت بألم و عيونها تلتمع بالدموع التي تهدد بالسقوط من جديد .. فاجترع ألمه بصمت و هو يقول بصوت خافت مختنق ..

_كي لا تصابي بالخوف و القلق .. أنتِ لا تحتاجي لمواجهة الموت من جديد ..

_باختفائك من حياتي ؟؟ هل تظن إنك بهذا الشكل لا تسبب لي الخوف و القلق؟

قالت بعتاب في صوتها .. نظراته المشبعة بالألم و الحزن تتجه لها كسهام فتذيب قلبها عطفا عليه .. فأكملت هي

_لقد قرأت الرسالة التي كانت ستصلني في حالة تركتني .. كيف تفعل بي ذلك؟؟

_ريداء حبيبتي .. أعلم إن مواجهة المرض معي هو الألم بعينه .. أردت أن ابتعد كي لا آلمك أكثر .. كنت غبيا عندما أدخلتك في حياتي .. كنت أنانيا .. أنا آسف ..

_لا تقل ذلك .. هل تدرك أن الأيام الأجمل في حياتي هي تلك الأيام معك .. بقربك ؟؟ كيف تكون أنانيا و أنت كنت مصدر سعادتي و بهجتي ؟؟ أرجوك سيف لا تتركني .. لا تستسلم لمرضك حبيبي ..

قالت بتوسل و هي تحتضن كفه و تجلس على مقعد قريبة جدا منه ..

_لا أستطيع .. لا أستطيع أن أرى دموعك في كل لحظات مرضي .. سامحيني حبيبتي .. اتركيني أصارع مرضي وحدي .. فهذا سيقلل ألمي ..

نشجت بقوة و هي تستمع لكلماته ..

تهتف بصوت باكي ..

_لن أفعل .. لن أتركك تستسلم للمرض هل تفهم .. أنا بحاجتك بجانبي .. أنت لن تتركني وحيدة ..

_أنت قوية .. قوية جدا .. تحملتِ الكثير و ستتحملين فراقي أيضا ..

قالها بألم و هو يغمض عينيه .. يبتلع غصته .. لتقول هي بقهر و سخط من تفكيره المستسلم ..

_لماذا أنت استسلامي لهذه الدرجة ؟؟

أنا لست قوية .. لست قوية .. لا قدرة لدي لاحتمال فراق آخر .. أنا بحاجتك .. هل تدرك تلك الحاجة لأن أشارك أحدهم حياته تكون ذراعيه حول جسدي .. شاركني أحلامي و واقعي .. الحاجة لأن يكون وجهه هو أول شيء يطالعني في الصباح .. يلقي علي تحية الصباح بابتسامة .. بقبلة .. إنها الحاجة إلى الاهتمام .. لأن تكون لي و أكون لك .. و هذا لن أحصل عليه إلا بوجودك قربي في حياتي ..

_سيكون لك مثل هذا الشخص ..

سيكون هناك وجه يطالعك بابتسامة كل صباح ..

قال بألم و هو يدرك الاحتراق الذي سببه معني كلماته القاسية على قلبه .. لتقول هي بعزم ..

_لكن ليس وجهك .. ليس ابتسامتك .. ليست أنفاسك و ليس أنت .. أنا لا احتاج إلا سواك في حياتي .. فلا تخذلني أرجوك فأنا احتاجك ..

غصة الألم استحكمت قلبه بقوة .. توسلها

وتمسكها به كان صعب جدا عليه . .
فأكملت تقول بزيادة جرعات التأنيب لقلبه الدامي و عقله المتألم . .

_لقد شعرت بالسعادة معك و بين أحضانك . . في ابتسامتك و لطفك . .
فلا تسلب مني تلك الابتسامة و تمنحني بدلا منها الألم سيف . .

كيف له أن يرفض أمام كل هذا الإصرار . .
كيف يمكنه أن يجرحها أكثر ؟؟ لقد أراد الهروب منها . . لكنه أبدا لم يخطط لأن يواجهها في مرضه . . أبدا لم يفكر إنها قد تعلم إنه مريض . . تشبع ألمه كثيرا و هو ينظر لتوسلها و دموعها المسترسلة على وجنتيها . . ابتلع غصته و ألمه . . لا يرد أن يسبب لها الألم بعد أن منحها السعادة . .

_من أجلك حبيبتي . .
قالها بصوت مختنق ليتهلل وجهها من الفرح و السعادة . . سيحارب مرضه . . سيعرض

نفسه لألم العلاج من اجلها . . لكنه سيبقى بقربها . . سيشفى بإذن الله و يعود لها من جديد . .

&&&&&&&&&&

"_هذا ليس ابني . ."
هتف صوت غاضب أمامه و هو ينظر للطفل الصغير صاحب السبعة أعوام. .

"_الطفل سيبقى هنا ريثما يأتي والده لأخذه"
هتف صوت بارد كالصقيع . . و نظرات امرأة ميتة لا حياة فيها

"_أم عاهرة و أب غير مسؤول . ."
كلمات ساخرة تقع على مسامعه . .
صدرت من ثرثرة نساء . . يعتبرن أنفسهن ملائكة يعتنين بالأطفال . .في مكان موحش. .

"_هنا على الرأس الأصلع . ."
صوت متوحش لطفل مجرم و ابتسامة غليظة

شرسة على وجهه .. ضربات قوية تضرب على رأسه ثم رمال موحلة غطت رأسه و الصغير مقيد بلا حول و لا قوة .. ليهتف لسانه بألم و دمعاته تسقط على وجنتيه ..كلماته تتردد منذ تركته تلك السيدة .. يناجي روحها عليى أمل العودة ..

"_أمي لا تتركيني .. أمي .."

"_سيف هذا الرجل هو جدك سيأخذك معه .. قدم الاحترام لجدك سيف .. "

قالت السيدة الكبيرة من خلف مكتبها ..

"_أنت طفل غبي و منبوذ من الجميع حتى والدي سيأتي اليوم الذي سيكرهك فيه و يضعك مرة اخرى في ذلك الملجأ .. "

"_لا تطأ قدمك المكان من جديد أيها اللقيط .. "

"_وغد .. أنت تفسد أي شيء تلمسه.. "

شهق بعنف يحاول أن يخرج رأسه من وحل الذكريات التي باتت أشباحا تطارده حتى في نومه ..

_سيف .. حبيبي انهض .. حرارتك مرتفعة جدا ..

اتاه صوتا بعيدا .. فحاول نزع نفسه من مكانه المقيد .. من دوامة الظلام التي تحيطه .. لكن فمه كان مغلقا و لم يستطع أن يتحدث .. يشعر بجسده يحترق .. يشتعل بنيران كالجحيم و لكنه يرتعش يحتاج لأن يتدثر بغطاء ..

شهق بعنف كأن سكينا اخترقت قلبه و هو يشعر بشيء بارد يمس جسده .. جبينه و بطنه و فخذيه ..

_اهدأ حبيبي .. ستكون بخير .. فقط ريثما يبدأ مفعول الدواء ..

أتاه صوتها اللطيف الباكي هذه المرة .. و هو يحاول أن يسيطر علي انتفاضات جسده القاسية ..كانت ريداء تغير كل دقيقة

كماداته الباردة على جبينه و بطنه .. و دموعها تسكب على وجنتيها .. إنها المرة الاولى التي تراه بهذا الضعف .. بخلاف الأيام التي قضاها في الغيبوبة ..
حاول كثيرا منذ استيقاظه من الغيبوبة عدم إظهار ألمه .. حاول كثيرا .. لكن اليوم كانت حرارته جسده تسبب له الضعف الشديد ..ارتعاشة جسده.. هذيانه .. صراخه على والدته و والده .. توسله .. حقنه الطبيب بدواء خافض للحرارة .. و اخبرتها الممرضة أن كانت تريد وضع الكمادات عليه ريثما تخفض حرارته .. و وافقت بسرعة ..

&&&&&&&&

_ماذا الآن دكتور هاني ؟؟
قالت ريداء بألم بعد أن خرجت من غرفة سيف .. و قد كان ينال قسطا من الراحة.. بعد يوم معاناته مع ارتفاع الحرارة

_سيدة ريداء .. موافقة السيد سيف على مواجهة المرض و علاجه هذه خطوة جيدة. .جيدة جدا .. لكنه طريق طويل .. العلاج يكون بأربع خطوات ..
_المهم ان يشفى .. لقد وافق على العلاج دكتور ..
قالت بألم و هي تنظر له .. ليقول بهدوء..
_سنبدأ العلاج الآن .. مخاطرين بأن الجنين هو المنشود ..
_و ماذا إن لم يكن ؟؟
سألت بصوت مرتعش .. رافضة فكرة عدم التطابق للجنين .. ليبتسم لها الطبيب مطمئنا ..
_سأتواصل مع بنك التبرع في لندن .. و سنجد بإذن الله ..
_و لماذا لم تفعل من قبل ؟؟
قالت بهدوء رغم غيظها .. إنه كان هناك حل .. لكنه لم يتقدم خطوة ..

_أخبرتك من قبل أنني كنت مقيدا بموافقة سيد سيف .. لا أستطيع إجبار المريض على العلاج ..
تنهدت بقهر .. فلديه كل الحق .. لا يمكنه إجبار المريض على العلاج .. سألت الطبيب بعملية ..
_كيف سيتم العلاج الآن دكتور ؟؟
_تفضلي للمكتب لنتحدث في إجراءات العلاج ..
في المكتب كانت تجلس على المقعد أمام المكتب و من خلفه يجلس الطبيب ..
تحدث بهدوء و شكل عملي ..
_أخبرتك ان العلاج سيتم على أربع خطوات و الخطوة الخامسة ستكون بعد إجراء العملية .. قبل عملية الزرع سنقوم بتركيب قسطرة وريدية مركزية حتى يسهل علينا إعطاءه المحاليل و الدم و مكوناته و المضادات الحيوية و اي علاج اخر عن

طريق الوريد .. بعمل فتحة صغيره في جدار الصدر و يتم إدخالها في الوريد العنقي الأيمن المؤدي للأذين الأيمن ..
_هذا مؤلم جدا ..
قالت بألم و هي تتخيل الشق الذي سيحدثه مشرط الطبيب في جدار صدره .. لكن الطبيب طمأنها قائلا
_علي الإطلاق .. هذا يجنبه الألم لحظة إعطاءه العلاج .. و تمهيدا للمرحلة الثانية .. مرحلة العلاج الكيميائي و العلاج بالإشعاع .. و هنا يبدأ القضاء على الخلايا السرطانية بقدر المستطاع.. و هذه المرحلة قد تطول كثيرا لكون المرض قد انتشر كثيرا .. و تعتمد على قدر تحمل المريض للعلاج ..
_و من بعدها الزراعة ؟؟
سألت و هي تعلم كون العلاج الكيميائي الحارق بقوة .. هز الطبيب رأسه قائلا

_لا . . ليس بعد . . في المرحلة الثالثة سيتم وضع السيد سيف في غرف معقمة وحيدا . . عزله كليا . . و يتم إعطاءه العلاج المكثف حتى يتم القضاء علي أي خلايا سرطانية متبقية . . و من الممكن في هذه المرحلة أن نعود للعلاج الكيميائي و في بعض الحالات إشعاع جسدي كامل . . و هذا العلاج المكثف يعمل على القضاء على النخاع . . هذه المرحلة متعبة قليلا له . .

_لم أكن أظن أن العلاج صعب جدا و مؤلم لهذه الدرجة . . لقد عرفت إنه مؤلم لكن لم أعرف كيفية ذلك . .

قالت بألم و هي تتكأ علي ظهر المقعد من خلفها و تضع كفها على وجهها تعتصر عينيها . . لقد شعرت بالألم . . لا ليس الألم . . انه احتراق في قلبها لما سيحدث لحبيبها . .

_علاج السرطان بشكل عام مؤلم . . فما بالك بالتخلص منه . . بعد عزله سنبدأ المرحلة الرابعة و هي عملية الزرع . . نقوم بجمع خلايا النخاع من المتبرع و الذي نأمل أن يكون الجنين . . و سيتم فصل مكونات الدم عن طريق أجهزة مخصصة لذلك ثم سنحقنها في الوريد المركزي للمريض مثل نقل الدم . .

_و من ثم ؟؟

_عملية الزرع لا تعد النهاية . . فلا زال الوقت طويلا للعلاج . . لكن الآن سننتهي من العلاج و العملية . . و لندعو الله أن تنجح تلك الخطوات . .

قال بهدوئه المعتاد . . لتمتم ريداء بكلمات داعية . .

_بإذن الله . .

&&&&&&&&

كم مر من الوقت ؟؟ تساءلت ريداء و هي تجلس بقربه تحتضن كفه . . ترتدي الثياب الخاصة بالعناية المركزية . . دموعها لم يعد

لديها سيطرة لكبحها كلما وجدت نفسها بعيدة عن عينيه .. تذكرت الأيام الماضية .. التي طالت لتصبح أسابيع و أشهر .. تألمت عندما كانت تنظر لهم و هم يشقون صدره بشق صغير لوضع القسطرة الوريديه المركزية .. و نظراته لها كانت تبثها بالقوة من خلال النافذة الزجاجية الصغيرة .. و العلاج الكيميائي الذي يحرق جسده داخليا و يزيد آلامه أكثر بكثير .. كل جرعة يأخذها طوال الأيام الماضية كانت تبكيه بعيدا عنه .. تسمع ألمه و أناته الخفيفة التي تصدر منه .. تتمنى أن ينتهي الأمر سريعا .. سريعا جدا ..

ركلة قوية ضربت بطنها التي برزت الآن بشكل واضح .. كونها في نهاية الخامس ..

_ريداء ..

هتف بصوت خافت .. فكانت بسرعة تمد كفها لتمسح وجهها سريعا من دموعها المنسكبة .. ترفع وجهها له و تراه ينظر لها بجفون نصف منغلقة .. وجهه أصبح ضعيف جدا .. حتى جسده أصبح ضعيفا نتيجة العلاج الكيميائي و الإشعاعي .. وشعر راسه وحاجباه اختفي كليا

_لا تبكي حبيبتي ..

قال بألم .. مبتلعاً ريقه الجاف بشدة .. و احتراق جوفه نتيجة العلاج الذي يحرق داخله .. بوهن رفع كفه يمسح وجهها ..

_لا تفعلي .. فهذا يؤلم أكثر من العلاج صدقيني ..

_لن أفعل .. صدقني لن أفعل مرة أخرى .. فقط كن بخير من أجلنا جميعا ..

قالتها بأمل .. ليبتسم لها بجفوت ابتسامة ضعيفة ..

_جميعهم بالخارج .. يرسلون لك أمنياتهم بالشفاء .. لا يتركونني أبدا ..

قالت بأمل لأن تشعره بأن هناك أناس يحبونه

ينتظرون شفاءه .. فتح عينيه بعد أن كان
قد أغلقها ليقول بهمس مستغرب ..
_من ؟؟
_خالد و العمة خديجة .. انها تهتم
بالجد الذي يأتي في بعض الأوقات .. و
ابنها حداد .. جميعهم هنا ..
_العمة ؟؟
سأل بألم ... لتبتسم هي له مخففة وجعه
.. تربت على كفه .. تزيح عنه آلامه ..
قائلا بهدوء
_إنها نادمة جدا .. تود لو تخبرك بنفسها
إنها آسفة على كل ما أحدثته من قبل ..
لكنها خائفة أن تزيد من ألمك .. كما إنها
قامت بالتحليل لعلها تكون هي المتبرع ..
_عمتي ؟!
سأل بتعجب .. لكنه انتبه أخيرا لشيء لم
يسأل عنه في خضم آلامه .. قال و قد
تناسى العمة و شعورها النادم و التي أتى
متأخرا .. لا .. ليس متأخرا فهو أراد
من كل قلبه أن يصبح مقبولا في حياتهم ..
و لا يشعر بالنبذ الحارق من جديد ..
_ريداء .. من المتبرع ؟؟
ارتبكت نظراتها لوهلة صغيرة و قد التقطها
.. قبل أن يسأل بشك ..
_ليس أنتِ ؟؟
تنفست الصعداء و هي تبتسم قائلة ..
_لا .. للأسف ليس أنا .. إنه شخص
مجهول .. لكن لا تعرفه ..
اسدل جفنيه بهدوء .. و قد شعر بالراحة
.. أزعجه بل آلمه .. أن تكون ريداء
المتبرع .. لا يريد لجسدها أن يشك بدبوس
صغير .. و يرفض أن تعطيه النخاع منها ..

بعد أيام .. كانت تقف خارج الغرفة بانتظار كشف الطبيب و بعد انتهاء شهرين من العلاج الكيميائي الذي يضخ في جسد سيف .. تقف على أعصابها خوفا من القادم .. أي خطوة من خطوات العلاج معرضة للفشل هذا ما أخبرها به الطبيب..

ابتسمت بتوتر لخالد الذي لم يتركها أبدا طوال فترة وجود سيف في المستشفى .. شعرت بألم في قدميها .. تشعر بهم متورمتين .. من كثرة الوقوف .. أخبرتها الطبيبة إنها تحتاج للراحة .. كي لا تفقد الجنين .. لكن اي راحة من الممكن أن تحتاجها و زوجها الحبيب يرضخ لأكثر العلاجات ألما ..

جلست على أحد مقاعد الانتظار بتوتر .. تنتظر خروج الطبيب .. لحظات حتى ظهر الطبيب و علامات الغضب على وجهه ..

التاع قلبها بقوة و هي تنهض بصعوبة ..

_ما الأمر دكتور ؟؟

نظر لها الطبيب و قد ارتدى قناع الجمود من جديد .. يدور بنظراته بين خالد و ريداء حتى قال أخيرا بهدوء

_لقد فشلت الخطوة الثانية .. سنبدأها من جديد ..

_اه يا إلهي .. مرة أخرى من عذاب تلقي الكيميائي .. هذا لا يعقل ..

قالت ريداء و هي تجلس علي المقعد بعد أن خذلتها قوتها و سيطرتها .. و قلبها ذاب بين أضلعها .. ليقول لها خالد بهدوء..

_اهدأي ريداء .. و ادعو له أختي .. فهو ما يحتاجه الآن .. لا البكاء و الحزن..

سمعت كلمات خالد بقلب باك .. ذكري سف و هو يتلقى علاجه و ألمه يزيد ..

أناته و عذابه طوال الشهرين الماضيين سيعاد من جديد .. قبضت علي قلبها المتألم .. تود لو تريحه قليلا .. لكنها لا تستطيع .. لقد وعدت سيف ألا تبكي ..

_كيف قابل فشل هذه المرحلة ؟؟

سألت بألم و صوت باكي .. ليقول الطبيب الذي ينظر لها من علو .. يحزنه أيضا فشله بهذه الخطوة ... و يحزنه بل و يغضبه زيادة الألم للمريض بدلا من التخفيف عنه ..

_بالصبر .. أخبرني إن هذا ما كتبه الله له .. و هو مؤمن بقضاء الله ..

شعرت بالراحة الشديدة .. سخر عقلها قائلا .. ماذا كنت تنتظرين منه ؟؟ ان ينوح و يبكي .. أنه أكثر صبرا منك .. شدت من عزيمتها لتبقى بقرب حبيبها .. فإن كان هو راض بقضاء الله و قدره .. لَم ستبكي هي و تحزن .. لَم عليها أن تضعف و هو في حاجتها .. يحتاجها بقربه ..

تخفف عنه آلامه .. تعيد ابتسامته و تمنحه الأمل ..

&&&&&&&&

في الايام التالية كان يعاد برنامج العلاج الكيميائي .. و هذه المرة كان تحمله و سيطرته على الألم يفلت منه أحيانا كثيرة .. لكن ريداء لم تعد تبكي أمامه .. تبثه بابتسامة .. تخبره بعض الطرائف الذي يقوم بها مؤيد و التي يقصها عليها خالد ..

فلا تغفو عينيه إلا علي ابتسامتها التي تزيد من عزمه على تحمل ألم العلاج .. و تجعله أقوى .. ابتسامتها التي تحاول بث القوة بها .. لكن رغما عنها تخرجها مشبعة بالتعب و الإرهاق .. فيخبرها تكرارا بالكلمة التي تسمعها من الجميع .. أن تأخذ قسطا من الراحة فهي حامل .. لكنها ترفض ذلك بعناد .. اي حمل أتى بهذه الظروف القاسية ..

لكنه سيكون مفيد لهم .. و هي تدعو الله دوما أن يكون الجنين المتبرع لوالده ..

_كيف حال الجنين ؟؟

سأل سيف بصوت ضعيف .. لكنه مبتسم رغم ألمه .. لتقول هي و كفها امتدت لتمسك كفه و ببطء شديد كانت تضعها على بطنها .. ليشعر بتكور بطنها الظاهرة كونها على وشك انتهاء الشهر السادس ..

_إنه بخير .. _هل هو صبي ؟؟

سأل سيف و هو يتحسس بطنها بإجفال .. مفكرا إن الكائن الحي هنا .. هو ملكه .. بذرة حبه مع ريداء ..

_لا أعلم .. رفضت أن أعرف جنسه..

إنها لا تهتم بجنسه .. بقدر ما تهتم بخروجه الذي سينقذ والده .. و سيعود للعيش معهم أسرة واحدة سعيدة .. تتبعت نظرات سيف الذي قال بغصة

_المهم أن يأتي بكامل صحته بإذن الله ..

_آسفة ..

همست بخفوت و ألم .. و ألم حقيقي يضرب ظهرها لكنها أخفته بمهارة .. لينظر لها مستفهما لتكمل ريداء

_آسفة لأنني لم اخبرك بحملي و أسعدك به كما تسعدني دوما ..

_لا تعتذري حبيبتي .. أخبرتك أن وجودك بقربي هو مصدر سعادتي ..

قال بهدوء معاتب و هو يحتضن وجهها .. ابتسمت له دون أن تمنحه رد خوفا من أن يخرج ردها تأوها و هي تواجه ضربة أخرى من الألم أسفل ظهرها .. يصاحبه تقلصات في بطنها .. و لم ينتظر منها ذلك و هو يغلق جفنيه تعبا ..

_لم يتبقى الكثير .. جرعة فقط و تمنى أن تنجح هذه المرة ..

_بإذن الله ..

قالها بخفوت .. و هو لا يزال مغمضا عينيه .. تأملته مطولا ثم أغمضت عينيها بألم من تقلصات أخري أصابتها ممتنة لإغماضه عينيه ..
انتظرت حتى تراخت كفه عن وجهها و قد علمت إنه نام .. فتركته بهدوء و هي تصدر أخيرا تأوها صغيرا .. ثم خرجت من الغرفة .. استندت على الجدار بقرب الباب بعد أن خلعت ثياب النايلون ..
وضعت كفا على بطنها و أخرى على ظهرها .. تكتم آلاما عديدة .. تغمض عينيها و تكز على شفتيها كي لا تخرج تأوها .. دمعة فرت من عينيها لشدة ألمها دون أن تدرى .. إنها لم تشعر بهذا الألم من قبل ..
_ما الأمر ريداء حبيبتي ؟؟ هل سيف بخير ؟؟
هتف صوت أنثوي بقلق صادق و جزع ..
نظرت لمصدر الصوت لتجدها العمة خديجة

.. فأطلقت تأوها و هي تجيبها ..
_إنه بخير .. أنا أشعر بألم شديد عمتي ..
و أشارت لبطنها و ظهرها .. هاجمتها موجة ألم في بطنها و على أثرها كانت تنحني .. متمسكة بشدة في كف عمتها ..
_آه .. يا إلهي أحتاج للذهاب إلى الحمام ..
قالت و شعور قضاء الحاجة تراودها .. فقالت العمة بسرعة ..
_أنت تلدين ريداء ..
ارتعبت بقوة من الكلمة .. إنها تريد الولادة لكي تنقذ سيف .. لكن حدوثه بشكل مفاجئ أخافها .. فكانت تهتف بسرعة دون أن تدري ما تفعله ..
_لكن .. الوقت مبكر .. انا بالكاد في اخر اسبوع من السادس كما ان سيف يحتاجني ..

_اهدأي حبيبتي و لنذهب للطبيبة ..
سارت مع العمة ببطء و الخوف يتملكها من فكرة الولادة ..
عند الطبيبة .. قامت بالكشف عليها لتخبرها إنها تلد ولادة مبكرة ..
_لكنها لم تنهي الشهر السادس ..
هتفت عمتها بقلق .. لتبتسم الطبيبة مهدئة العمة قبل ريداء ..
_إنها ولادة مبكرة .. كثير من الأمهات يلدن في مثل هذا الوقت من الحمل .. كما أن السيدة ريداء لم تهتم كثيرا بنفسها و تتخذ الراحة .. إلى جانب الحالة النفسية التي تأثر أيضا بالحمل و الجنين .. الآن لا زال هناك وقت قبل الولادة .. يجب عليك السير قليلا لتسهيل الولادة ..
سأرسل لكم ممرضة ..
خرجت الطبيبة بعد أن أخبرتهم التعليمات .. ساعدتها العمة في النهوض عن السرير و السير قليلا .. أتت ممرضة لتتركها العمة قائلة بسرعة عندما نظرت لها ريداء بقلق خوفا من تركها ..
_سأهاتف فضيلة لتجلب الثياب لك و للطفل .. فقد اشترينا بعض الثياب .. ريثما تصبحون سالمين أنت و والده و تجهزون كل شيء .. سأعود حبيبتي ..
و تركتها لتتجه لمهاتفة الخالة فضيلة ..
سرعان ما انتشر خبر ولادة ريداء لكن دون علم سيف الذي لا يزال نائما .. فزيارة ريداء له انتهت و التي مدتها ساعة كل يوم .. و لا زيارة لها إلا باليوم التالي ..
تجهزت ريداء للولادة و الألم يزداد كل دقيقة .. الطلق يصبح أقرب لحظة بلحظة ..
حتى أصبحت تبكي من شدة الوجع ..
تمسك بكف عمتها التي تهدأ من روعها و تخبرها أن دعاء التي تلد مستجاب و عليها أن تدعو لسيف بالشفاء .. فكانت تدعو

بصمت و تصرخ بكلمة "يا رب" كلما زاد ألمها ..
_هذا مؤلم عمتي ..
قالت بصوت باكي .. لتشد العمة من كفها قائلة مهدئة من روعها ..
_أعلم حبيبتي لكنه سيزول خلال لحظات .. اهدئي حبيبتي ..
أتت الطبيبة مرة أخرى بعد قضاء بعض الوقت .. لتكشف عليها و تخبرها إنها ستذهب لغرفة العمليات لبدأ الولادة .. كما أخبرتها أن الطبيب هاني المسؤل عن حالة زوجها قد علم بالولادة المبكرة و يخبرها إن هذا في صالحهم .. ثم تركتهم ليجهزنها للعملية ..
_عمتي .. لا تتركيني ..
هتفت بها ريداء و هم يتجهون بها لغرفة العمليات للولادة .. تتمسك بكف عمتها بقوة

_انا هنا حبيبتي .. لن أتركك ..
طمأنتها العمة بصوت حاني .. قبل أن تتركها ريداء مجبرة و هم يصلون لغرفة العمليات ..

&&&&&&&&

الساعة التالية كانت أكثر أوقات ريداء ألما .. صرخات مكتومة و أخرى تخرج بدون إرادتها .. حتى أعلنت الطبيبة معلنة عن بدأ إتمام الولادة .. تنفست ريداء الصعداء بعد أن أنهت ألمها .. سمعت صوت الطبيبة يقول بسعادة ..
_إنها فتاة ..
ابتسمت بتعب و هي تنظر لهم من بين جفونها و تنفسها السريع .. كانوا يتفحصون الصغيرة ..
_لابد و أن نضعها في الحضانة .. حتى يكتمل نموها أكثر .. لا تستطيعين رؤيتها الآن .. لأنها تحتاج الذهاب إلى الحاضنة

كانوا يأخذون الصغيرة إلى الحاضنة بعد ان ألقت عليها نظرة من بعيد و هم يضعونها في السرير الخاص .. لتهمس لها ريداء بألم و رجاء ..

_أنت أملنا الوحيد صغيرتي .. من بعد الله ..

مرت عدة أيام .. ألزمتها الطبيبة الخاصة بها البقاء في سريرها .. كان قلبها مشتعلا تود الذهاب إلى سيف .. لكنها لم تستطيع بفعل أوامر الطبيبة .. مجبرة إياها على تناول طعامها كله و ملازمة الفراش ..

ما يصبرها إنها قريبة منه .. فهو في القسم الخاص بالأورام و هي في قسم الولادة .. في نفس المستشفى .. من المفترض أن اليوم هو ظهور نتيجة الخطوة الثانية .. لسانها لم يهمل الدعاء لحظة واحدة ..

عند سيف كان ينتظر قدومها كل ساعة .. لكنها لم تأتي .. أتى موعد الجرعة الأخيرة من العلاج الكيميائي و لم تظهر أيضا ..

انشغل قلبه عليها رغم ألمه و عذابه من العلاج .. ظهور خالد عند قدوم الطبيب لإخباره بنتيجة المرحلة القشة التي قسمت ظهر البعير ..

_هي بخير ؟؟

سأل بقلب يخفق بين أضلعه حتى آلمه خوفا من خطر أصابها .. ابتسم له خالد مهدئا من روعه و قلقه ..

_بخير .. ألزمتها الطبيبة بالراحة .. فقد تعبت كثيرا خلال الحمل .. لا تقلق أنت عمتك بقربها ..

لم يدرى سيف أنها أنجبت طفلتهم .. فما يظنه إن خالد يقصد راحتها أثناء الحمل .. فهز رأسه قائلا بتنهيدة .. رغم شوقه لها

_هذا جيد ..
تقدم الطبيب منهم فلم يسمح لخالد بالرد .. نظر له الطبيب بعد أن تناقلت نظراته على الورق في كفه .. ليقول بابتسامة ..
_حمدا لله .. لقد تمت هذه الخطوة بنجاح .. لقد تخطينا نصف المهمة .. الآن نحن في بداية الخطوة الثالثة ..
لهث لسان سيف بالحمد و الشكر لله .. قبل أن يوجه انتباهه للطبيب الذي أكمل قائلا..
_ في هذه المرحلة سيتم عزلك تماما في حجرة معقمة .. و سيتم إعطاءك علاج مكثف حتى يتم القضاء علي أي خلية سرطانية متبقية .. و قد نعود لاستخدام العلاج الكيميائي .. هذه المرحلة لن تطول كثيرا .. هل أنت مستعد ؟؟
سأله الطبيب بابتسامته الطيبة .. ليهز سيف رأسه بالموافقة .. رغم تردده من الأمر .. فمعنى أن يتم عزله .. إنه لن يراها إلا بعد مدة طويلة .. سحب نفسا عميقا أحرق جوفه .. قبل أن يرى مغادرة الطبيب و خالد يتحدثان معا ..
نظراته لا تزال عالقة على باب الغرفة و على النافذة الزجاجية يود رؤيتها ..الشعور بأنفاسها .. لكن لم يحدث .. و لم تأتي حبيبته ..

في الجانب الآخر كانت تصارع الجميع بعد أن علمت بنجاح المرحلة و سيتم عزله في اليوم التالي لبدأ المرحلة التالية ..
_أريد رؤيته .. الحديث معه ..
قالت بقهر و هي تضرب كفا بالفراش ..
نظرت لها العمة بحزن ..
_لقد اختفى بطنك .. سيعلم بالأمر ..
_هو يحتاج لأن يعلم .. عمتي أرجوك ..
قالت بألم و عيون دامعة .. لتتنهد العمة بقلة

حيلة .. لتهتف ريداء بحزم و إصرار ..
_أنا أريد رؤية الدكتور هاني ..

&&&&&&&&

ساعدتها العمة بالوصول إلى غرفة العناية المشددة .. لقد وافق الطبيب علي رؤيتها لسيف و قد يسعده وجودها بقربه قبل البدء في الخطوة التالية ..
ارتدت الثياب النايلون و ولجت داخل الغرفة .. سارت ببطء باتجاهه .. كان مغمض العينين .. محبطة من أن يكون نائما ...
شعر بأنفاسها .. الكهرباء الخاصة بها مست جسده عن بعد ..
فتح عينيه ليجدها أمامه .. مرهقة .. متعبة .. لكنها تبدو أجمل مما رأى ..
شوقه لها عذبه ..
_ريداء ..
_اشتقت لك ..
بادرته بسرعة و هي تمسك الكف التي

امتدت لها بحنان كبير .. ليبتسم لها قائلا ..
_أنا أيضا .. انتظرت قدومك ..
_لم أود أن أخذلك .. روحك هتفت لي فأتيت ..
قالت بحب عاشق له و لروحه .. جلست على المقعد بقربه عينيه الرصاصيتين الذابلتين تحاصران عينيها الدافئتين ..
_لقد نجحت المرحلة .. ستبدأ الخطوة الثالثة غدا ..
_أنت لها .. ستتحمل كل آلامك و تصارعها من أجلي .. من أجلنا جميعا ..
هتفت بصوت مختنق .. و قد جبنت من أن تخبره بالحقيقة .. شاكرة ثياب النايلون الواسعة .. لكن كفه لم تمهلها و هي تسير لبطنها هاتفا
_بإذن الله .. أخبريني عن صحته ..

توقف عن الحديث و هو يسير بكفه علي بطنها القليلة البروز .. أقل مما مضى .. فتح عينيه بصدمة و هو يستوعب ما حدث ..

_هل فقدنا الجنين ؟

قال بجزع من فكرة فقده للجنين لكن ريداء أمسكت بكفه بسرعة تقول بلهفة و تصحح اعتقاده ..

_لقد خرجت مبكرة للدنيا .. ارادت ان تكون معنا ولا تفوت هزيمة والدها البطل للمرض من اجلها واجلي "ابتسمت بحب وعادتقول " إنها بخير ثم وضعها بالحضانة..

_فتاة .. هل أنجبت ؟؟ كنت اريد أن أكون معك ..

قال بألم و هو لا يزال ينظر لمكانها حيث كانت ابنته .. لتقول ريداء

_لا تحزن .. لقد كان الأمر مفاجئ لي .. سيكون لنا الوقت الكثير معا بإذن الله و ستكون معي في كل الأطفال القادمون إن شاء الله .. سأكون وقتها ذات خبرة بالإنجاب و لن أتألم كثيرا ..

أنهت كلماتها بمشاكسة .. ليضحك بخفوت قبل أن يقول بقلق ..

_هل تألمت كثيرا ؟؟

_أنا بخير حبيبي .. انظر لي في كامل صحتي ..

هز رأسه بالإيجاب و نظراته تسير بقلق على جسدها يتأكد من صحة كلامه .. و كأن عملية الولادة تسببت بنقص في جسدها .. عاد بنظره لعينيها الجميلتين ماسورا بنظراتها قبل أن يقطع الصمت قائلا بلهفة ..

_هل هي جميلة ؟؟

_إنها صغيرة جدا و جميلة و تمتلك صوتا قويا ..

ضحك على مزاحها الخفيف قبل أن تكمل ..

_لم اختر لها اسما .. ننتظر شفاءك لنختار
لها معا .. لا نريد إغضاب الفأرة
الصغيرة..
ابتسم قبل أن يقول بغضب مصطنع ..
_لا تطلقي على ابنتي ألقاب مشينة ..
_سنرى إن كنت ستبقى بصفها دوما ..
أنا واثقة إنك سترمي بي و بها خارجا
عندما تسمع صراخها ..
قالت بنفس نبرة المزاح .. ليبتسم قائلا
بصوت أجش ..
_لا يمكنني الاستغناء عنك حبيبتي ..
اختلج قلبها لكلماته قبل أن تبتسم بحنان و
لطف ..
_لا تفعل .. فأنا لن أسمح لك .. كن
بخير أرجوك ..
_بإذن الله حبيبتي ..

&&&&&&&&

_أخبرني أن الأمر نجح أرجوك !؟

هتفت ريداء بتوسل و هي ترى الطبيب
يخرج من غرفة العزل .. حيث يقبع سيف
منذ أكثر من أسبوعين ..
أنهى المرحلة الثالثة من العلاج و التي دامت
لأكثر من أسبوع .. و قد تلقى العلاج
الكيميائي و خضع جسده بالكامل لعلاج
إشعاعي .. و تم قتل أي خلية سرطانية
متبقية .. و أصبح الجسد جاهزا لتلقي
النخاع السليم..
حيث تم فصل مكونات الدم و ضخها في
جسد سيف عن طريق الوريد المركزي
..كمرحلة رابعة و نهائية في العلاج ..
دامت هذه المرحلة أسبوع اخر ..
تقف دوما في هذا المكان كل يوم طوال فترة
الأسبوعين الماضيين .. تنظر له من خلال
النافذة الزجاجية تراقبه .. قريبة منه لكن
بحاجز يفصل بينهم ..
أسبوعين قد استعادت بهما قوتها و بدأت

الصغيرة بالتعافي و الاكتمال بالنمو . . ظهرت ملامحها قليلا . . تتلقى الصغيرة كلمات الشكر من فم والدتها لكون أنسجتها تطابقت مع أنسجة والدها . . تهمس لها ريداء كل يوم عن سيف و عن حبها لسيف في فترة الرضاعة اليومية التي تحتاجها الصغيرة . . الآن تقف أمام الطبيب تنتظر إجابته بلهفة . .

_كل شيء بخير . . حمدا لله . . تقبل جسده النخاع بشكل جيد . .

_هل انتهى كل شيء ؟؟ نجح الأمر أخيرا حمدا لله . .

قالت ريداء بلهفة و الجميع حولها عائلتها بانتظار النتيجة مستبشرين سعداء بحديث الطبيب . . لكن البسمة تجمدت على وجوههم عندما تحدث الطبيب بلطف . .

_ليس بعد . . العلاج لم ينتهي عند هذا الحد . . فلا زال هناك الخطوة الأخيرة بعد

نقل النخاع . . مرحلة تثبيت النخاع . . الجسد دائما يكون في حالة دفاع و دخول جسم غريب عليه سيؤدي لرفضه و لفظه من الجسد . . و يتم إعطاء المريض مضادات حيوية حيث تقل مقاومة الجسم للعدوى نتيجة استخدام مثبطات المناعة . . لمنع طرد النخاع المنقول . . ريثما تستقر خلايا النخاع المنقولة من المتبرع في عظام المريض لتبدأ تصنيع خلايا الدم . .

_هل يحتاج للكثير من الوقت ؟؟

سأل خالد بهدوء و هو يرى حزن ريداء بعدما كانت تظن إن زوجها سيعود لها من جديد . . هز الطبيب رأسه بهدوء قبل أن يقول

_هذه الفترة قد تطول نحتاج لأسابيع طويلة من ثلاثة إلي أربع أسابيع . . انتظرنا كثيرا و لم يتبقى إلا القليل . . يلزمنا الصبر فقط . .

تنهدوا جميعا بقلة حيلة . . فليس أمامهم

شيء سوى الصبر و الدعاء .. تحدث الطبيب مرة أخرى ..

_يحتاج سيف الآن لنقل دم و صفائح دموية .. الصفائح الدموية سيتم أخذها من مشيمية الجنين التي احتفظنا بها .. لكن نحتاج لنقل دم من أحد يحمل الزمرة نفسها ..

_أنا .. أنا ..

هتفت بها ريداء مع شخص آخر .. نظروا جميعا للشخص الآخر و لم يكن إلا حداد .. نظرا لبعضهما قليلا دون أن يتحدثا حتى قال الطبيب حاسما للأمر ..

_سيدة ريداء أنت أنجبتِ منذ أسابيع قليلة .. و بحاجة للدماء .. فلا نستطيع تعريضك لفقر الدم .. لهذا سيكون السيد هو المتبرع ..

نظرت ريداء للطبيب و من ثم نظرت لحداد قبل أن تهز رأسها بالموافقة .. مستسلمة

للأمر ظاهريا .. لكن في قلبها و عقلها لم تعترض لشيء داخلي أسعدها ..

تبرع حداد بالدم لسيف سيعني الكثير لكليهما .. ففي هذه الحالة سيثبت لسيف إنه لم يعد منبوذا .. و أن حداد ليس عدوه .. إنه ابن عمته و يهتم به .. بغض النظر عن غيرته منه .. التي ستبيدها ريداء يوما بإثباتها لسيف إنها تحبه هو فقط .. هو حبيبها الوحيد .. مالك قلبها و عقلها و روحها ..

&&&&&&&

نظر لنور شمس الصباح الدافئة من نافذة الغرفة .. متأملا خلق الله من الطيور و الأشجار .. رائحة الشجر الأخضر المنبعثة من الخارج و التي تغطي على الرائحة الكريهة للمعقمات ..

تنفس براحة و هو يشعر كمن ولد من جديد .. لا ألم لا عذاب .. مرضه انتهى بمعجزة

إلاهية .. لحظات عذابه انتهت أخيرا ..
نظر للعلاج الذي لا يزال يحقن به بعد مرور ثلاثة أسابيع .. و الدم الذي يضخ إلى جسده .. دم ابن عمته .. حداد الذي كان يغضبه مسبقا ..
كيف كان شعوره عندما أخبرته ريداء أن حداد من يتبرع له بالدماء ؟؟ الصدمة و الدهشة فقط .. لم يغضب .. فلم يكن في حالة يسمح له بالغضب .. و لم يرفض .. لكنه الآن ممتن .. ممتن له جدا .. هو و المتبرع المجهول صاحب النخاع ..
طرقات على باب الغرفة التي نقل لها مؤخرا .. أتبعه بدخول ريداء و مؤيد تمسكه بكفها .. اختلج قلبه شوق للصغير ..
اتبعه دخول العمة خديجة بخجل و اعتذار في نظرات عينيها و ابتسامتها التي تمنحه لها .. بين ذراعيها تحمل الصغيرة ..
هذه الزيارة الثانية لعمته .. ففي المرة الأولى

التي كانت قبل يومين زاره الجد الذي بكى أمامه و هو يخبره عن حزنه و ألمه لفكرة فراقه .. طمأنه سيف إنه بخير و قد آلمه حزن جده و بكاءه .. و زاره خالد و حداد و العمى تحمدوا لله علي سلامته ثم خرجوا .. نظر سيف لمؤيد الذي اقترب منه مندهش للأسلاك الموصولة بجسد سيف .. و كيس الدماء .. ليقول بتساؤل ..
_واوا سيف ..
ابتسم له سيف قبل أن يقول بحب ..
_لقد اشتقت لك أيها الشقي ..
حملته ريداء لقرب سيف كي يقبله و يحتضنه .. طالبا منه تقبيله .. ففعل مؤيد بترحيب ..
أنزلته ريداء ليبدأ استكشاف الغرفة بفضول .. تقدمت العمة و معها الصغيرة .. لتقول لريداء ..
_أعطيه الصغيرة ليراها ..

أخذتها ريداء من بين أحضانها و بابتسامة لصغيرتها النائمة كانت تضعها بين ذراعي سيف الذي شعر بقلبه ينبض خوفا و يتراقص فرحا للكائن الصغير بين ذراعيه .. تناقلت نظراته بشغف على ملامح وجهها الجميلة و بشرتها البيضاء كالمرمر .. تماما كبشرة والدتها .. أنفاسه تهدجت عندما تململت الصغيرة بين أحضانه ثم فتحت عينيها لتحتبس أنفاسه في رئتيه و عينين بلون الياقوت تقع عليه ..

هذا ما يسمى من النظرة الأولى .. وقع صريعا بحب ابنته .. ضمها برفق له غير مصدقا إنه يحمل ابنته بين ذراعيه .. غير مصدقا شعور الأبوة الذي هاجمه بهذه اللحظات ..

ابتسمت له ريداء و عيونها دامعة و عندما شعرت إنه قد يتأذى بحمله للصغيرة كانت تمد كفها و تأخذها منه .. تنفس بهدوء مبتلعا تأثره تحت قناع الهدوء ..

قبل أن ينظر لعمته التي تعيش بدوامة بكيفية الحديث معه .. و قد رأى حيرتها واضحة أمام عينيه .. فقال بابتسامة ..

_كيف حالك عمتي ؟؟

_سيف بني .. أنا اعتـ....

قالت بألم و ندم لكن قبل أن تكمل كان سيف يقاطع اعتذارها ..

_عمتي .. لا تفعلي .. كل ما مضى انتهى .. المهم أنك هنا تخبريني بأفعالك إنك بجانبي ..

لا يريد منها أن تصغر من نفسها و تعتذر له .. لقد انتهت تلك الأيام .. كلماته اللطيفة الدمثة أخجلتها أكثر .. التمعت عينيها بالدموع ..

تقدمت منه بسرعة تحتضن رأسه بحنان أمومي أجفل سيف بقوة .. تقبل رأسه و جبينه .. و دمعة سقطت من جفنها

على رأسه ..
_لم أكن سأسامح نفسي لو أن مكروه أصابك و لم أخبرك أنني أحبك .. أنا آسفة لكل تلك الكلمات الفظيعة التي ألقيتها على مسامعك .. آسفة بني ..

ازداد توتره و اضطرابه .. و هو يختبر تلك المشاعر التي تجتاحه بقوة .. شعور الأمومة التي انفجرت في وجهه كانفتاح السد أمام مياه النهر .. فأجفلته و صدمت قلبه .. لكنها أنعشته أيضا ..

راقبته ريداء بقلب ينبض فرحا لحبيبها .. رأت تلك المشاعر على وجهه ..

فسارعت لتأخذ الصغيرة من بين ذراعيه .. انسلت الطفلة طواعية من ذراعي والدها .. ليرفع ذراعيه بعد أن أصبحت حرتين .. يمسك كفي عمته التي تحتضن وجهه .. مبتسما بتوتر .. ليقول ببعض المزاح الذي هو غلاف لمشاعره المتراقصة و المغردة في قلبه ..

_هل أكون ممتن للمرض الذي أظهر مشاعرك الحقيقية ؟؟ هوني عليك عمتي .. كل ذلك مضى .. فلا تكثري الأسف عمتي ..

ابتسمت له العمة بمحبة و حنان .. و هي تراه يقبل كفيها كما تمنى دوما أن يفعل ..

قطع تواصلهم بالنظرات صوت ريداء المرح تقول

_حسنا .. حسنا .. هل انتهينا من لحظات اللقاء .. سيف هنا .. أعطني انتباهك ..

ابتعدت العمة عن سيف قليلا .. لتسمح له بالنظر لريداء التي تنظر للصغيرة .. لتقول مبتسمة و هي ترفع عينيها له ..

_لقد تساءلت عن المبرع لك بالنخاع .. حسنا .. "عادت لتنظر للصغيرة و الامتنان يملأ نظراتها "ها أنت تنظر لها ..

بدون فهم كان ينظر لها .. لكن الفهم ضربه
بسرعة كصفعة قوية .. ابنته من تبرع له ..
قالت ريداء قبل أن يسأل ..
_بدون ان تغضب .. فهذه الفأرة لم
يشكها دبوس .. النخاع و الصفائح
الدموية تم أخذه من المشيمية و الحبل
السري .. التبرع كان آمن جدا ..
نظر اليها بصدمة الجمته لكنه رفع يديه لعمته
مشيرا لها ان تعطيه الصغيرة نظر إليها مجددا
ودمعة كانت معلقة نزلت على خده ببطء
قال وهو يحاول ان يخرج الحروف دون
شجن..
_شكرا صغيرتي لقد منحني الله على
يديك فرصة للحياة انت مصدر سعادتي
انا و والدتك. .انت هبة الله
قبلها بحب ابوي كبير. .لم يدرك ابدا انه قادر
على ان يحويه عاكسا مقولة فاقد الشيء لا
يعطيه لكنه فقد حنان الاب وسيعطيه
مضاعفا
كان المشهد مؤثرا الكل كان يحبس دموع
تهدد بالسقوط. . لكن مؤيد بدد كل ذلك
بتشبثه بذراع سيف وهو يردد
_وأنا .. وانا قبلة أنا ..
ضحك الجميع على كلمات مؤيد وغيرته
الواضحة من الصغيرة بينما اقتربت ريداء
واخذت الصغيرة منه بينما قربت عمته مؤيد
ليقبله
في اللحظات التالية كانت العمة تأخذ
الصغيرة و مؤيد و يغادرون الغرفة . .تاركين
سيف و ريداء وحدهم ..
_اشتقت إليك ..
بادرته ريداء مبتسمة بخجل .. و هي
تتقدم لتجلس بقربه بعد أن أفسح لها المجال
.. ارتعش قلبه لمنظر وجنتيها المحمرتين ..
_و أنا أيضا غزالتي ..
_اشتقت لهذه الكلمة من فمك .. لقد

طالت المدة كثيرا ..

قالت بحب و شوق يفضحها في عينيها .. ابتسامة فمه الرائعة عادت تتألق من جديد .. مد كفه يداعب وجهها بحنان ..

أغمضت عينيها بشغف .. و هي تقرب وجنتها من كفه أكثر ..

_أذاب الشوق قلبي .. الأيام القليلة المتبقية بكل تلك الأشهر الماضية .. نفذ صبري حبيبتي ..

ابتسمت له بخجل .. و وجنتيها تشتعل باللون الأحمر لمغزى كلامه .. اقتربت منه بخجل لتقبل وجنته ..

_هذا ليعيد صبرك ..

_حقا ؟؟

همس بإحباط أمام مشاكستها .. لتغمزه بحلاوة ..

_ألا تعجبك .. إذا هاتها ..

_غزالتي ..

هتفها بتحذير مازح يغطي على الغليان الذي يصيب قلبه لقربه دون أن يمسها .. لتبتسم بحنان قائلة ..

_لا أستطيع تعريضك للخطر .. لم تنتهي من علاجك بعد ..

لوي فمه بحنق أمام قلقها .. لتقول بجنية

_هيا سيف لا تغضب .. أخاف أن تتعرض للخطر .. فمناعتك لم تعد في قوتها ..

_لم أفعل حلوتي .. أنا فقط اشتقت لك ..

هتف بحنق .. لتبتسم له بحب ..

_عدة أيام فقط ..

ابتسم لها بموافقة .. راجيا الله أن يمنحه الصبر من شوقه لحبيبته ..

_فليلهمني الله الصبر .. كانت قبلة ليس أكثر ..

قالها بابتسامته و الغيظ يلمع في عينيه ..

لتضحك هي بتغريدة البلابل فتذيب السيطرة المتبقية بقلبه ..

&&&&&&&

مرت أيام المرض و مرت أيام العذاب .. انتهى الألم و الجرح .. مرضه الخبيث ذهبت أيامه مع الريح ..

دخل غرفته نظراته تدور في أنحاء الجنة الحمراء .. و الاشتياق يضرب قلبه .. براحة كبيرة كان يشتم رائحة اللافندر و هو مغمض العينين .. مستمتعا بتلك الرائحة البعيدة كليا عن رائحة المعقمات و الأدوية في المستشفى ..

دفء غرفته ضرب أعماقه .. أنفاسها هنا تخالط الهواء يشعر بذلك .. على النقيض من برودة غرفة العناية المركزية و غرفة العزل..

سار ببطء غير مصدق وجوده في المنزل و أنه بخير سالما من مرضه .. لمس أغطية

الفراش برقة .. و سار ببطء على خشب السرير يتلمسه ..

ابتسم بحنان يخالف العبث في عينيه و الذي يعاد يستوطنه من جديد عندما شعر بها .. بدخولها إلى الغرفة بعد أن أودعت الصغار في الغرفة الأخرى .. و لحقت به .. انتظر قليلا ليرى ما ستفعله ..

وقفت عند باب الغرفة غير مصدقة وجوده .. تشكر الله علي عودته سالما ..

ابتسمت بعشق و هي تسير إلى حيث يقف .. وضعت كفا على كتفه تلمسه برقة .. و شعور عدم التصديق لا يزال يدور في عقلها و قلبها ..

انخفضت كفها إلى جذعه لتشد بأناملها على قميصه تتنفس دفئه و رائحته .. بذراعيها حاصرت خصره .. تشده لها أكثر و أكثر .. تضع رأسها على ظهره .. تريحه هناك .. حيث هناك مملكتها .. بيتها و راحتها

سندها و حبيبها .. تنفست بعمق ..
تنفست براحة .. بشغف قوي كانت ترفع
رأسها و تطبع قبلة على كتفه ..
على أثر تلك القبلة كان يتصلب للحظة ..
لكن عند هذا الحد كان يدور في دائرة
ذراعيها .. و بسرعة كان يزرعها في
أحضانه ..
_اشتقت لك .. اشتقت لكل شيء فيكِ
.. اشتقت لعيني الياقوت .. و خصلات
العسل .. اشتقت للبشرة الندية ..
اشتقت للثغر اللذيذ .. اشتقت لك ..
تهدجت أنفاسها و هي تستمع لكلماته ..
سحبت نفسا مرتجفا و هي محاصرة من
عينيه الرصاصيتين .. ابتسمت بتلعثم و
هي تقول بهمس
_أنا أيضا اشتقت لك .. اشتقت لك
كثيرا .. حمدا لله على سلامتك ..
أنرت المنزل بقدوم سيده .. و سيد قلبي

ابتسم بحنان لكلماتها .. لكن رقت ملامحه
و هو يرى الدموع تلمع في عيني الياقوت ..
فتصبح كبحيرة بلا ضفاف ..
_لِمَ الدموع غزالتي ؟؟
_سعيدة بعودتك ..
قالت بصوت مرتعش .. ليضحك بخفة
على حماقتها ..
_بهذه الطريقة تعبرين عن سعادتك
حلوتي..
بأطراف أنامله كان يمسح الدمعة العالقة على
رموش عينيها الطويلة الكثيفة ..
_لا بكاء حلوتي .. لا داعي لها .. ها
أنا هنا أمامك و احتضنك ..
قال ذلك و هو يعود بها لأحضانه من جديد
.. مرت لحظات و هو على تلك الحالة ..
محتضنين بعضهم كزوجين من الحمام ..
رفعت نفسها من أحضانه و هي تمسح
عينيها قائلة بخجل لحماقتها في استقبال

حبيبها بالدموع ..
_حسنا .. عليك أن تغسل جسدك من آثار المستشفى و المرض .. لا نريد أي شيء يذكرنا بمرضك .. و لا حتى رائحة..
_على شرط أن تساعديني بذلك ..
قال بخبث و هو يتناقل بنظره على جسدها .. ضحكت بخجل و وجنتيها تحمران من الخجل ..
_حسنا ..
في الساعة التالية .. كان يجلس على السرير بعد أن ساعدته بالحمام و في فرك جسده .. لكن ذلك لم ينتهي عند هذا الحد ..
فكان يصر على إشراكها بالحمام .. اقتربت منه بسعادة ثم اندست بين أحضانه ..
إبتسم لها بحنان و هو يستقبلها في أحضانه..
بعد طول انتظار كانت قبلة تروى عطشهما لم تدري من بادر منها أولا .. لكن بمجرد وجودها بين أحضانه .. كانت القبلة تشتعل بينهم .. أغمضت عينيها بشغف و رغبة .. و هي تستمتع بقبلته الدافئة .. و هو يزيد من عمق قبلته الرقيقة .. و التي تحولت لتصبح أعمق و اعمق ثم انتهت بشراسة ..
افترقا عن بعضهما لحاجتهما للهواء ..
صدرها يرتفع و ينخفض بسرعة كبيرة .. و هي تنظر لوجهه و الدماء تتصاعد إلى وجنتيها و تندفع في عروقها .. ابتسم لها بحنان قبل أن يعود بها من جديد بين أحضانه تسند رأسها على كتفه .. دون الاقتراب من الشق الصغير الذي احدثته القسطرة ..
رفعت رأسها لتقول له بهمس ..
_أحبـك ..
توقفت الأنفاس في رئتيه للحظة بسيطة .. و تلك الكلمة أجفلته .. كيف لرجل بقوته أن تضعفه كلمة صغيرة كهذه .. لكنها

بمعاني و مشاعر كثيرة . . لو تعلم تلك الجميلة ما قد تفعله تلك الكلمة في قلبه من نيران و أعاصير . .

ابتسم لها بجنان قبل أن يشدد من احتضانه و يغمر وجهه بعنقها الدافئ يهمس لها من بين قبلاته التي يطبعها علي عنقها . .

_أعشق كل شيء فيكِ . . أعشقك حلوتي . .

من بعد تلك الكلمة كانت الجنة الحمراء تحتضن حبهم الكبير . . و تكاد الاغطية تشتعل من نيران عشقهم . .

انتهى

الفصل السادس والأخير

أحتاجك

أحتاجك

الخاتمة

_سيف؟؟ إنها مزعجة ..

قال مؤيد بتذمر و هو يصعد السرير الكبير حيث ينام سيف .. بعد أن كان نائما في غرفته داخل غرفة سيف .. تشاركه الصغيرة "هبة" .

ضحك سيف بقوة مادا ذراعه ليساعد مؤيد و أجلسه على بطنه .. قائلا بالموافق على حديث مؤيد .. و صرخات ابنته تعلو أكثر و أكثر ..

_إنها مزعجة فعلا .. الفتيات مصدر إزعاج يا صغيري ..

_أسمعك سيد سيف ..

قالت ريداء بحنق و هي تحاول إسكات الطفلة ليبتسم سيف و هو ينهض على السرير .. و يتجه و مؤيد حيث ريداء التي تحمل الطفلة الباكية تقف عند الباب المشترك بين الغرفتين

_قلت الفتيات .. و ليس السيدات ..

قالها و هو يقبلها على خدها .. لتقول بجنق .. و هي تهز الصغيرة التي توقفت عن البكاء عندما رأت والدها ..

_و ما الفرق ؟؟

_الفرق كبير .. فالسيدات مصدر إغراء حبيبتي..

و وجه لها نظرة ذات مغزى و عيونه تتجه إلى رداء النوم القصير بأكتاف رفيعة ..

تضرجت وجنتيها بخجل .. قبل أن تغطي ذلك بغيظ مصطنع .. و تضع الطفلة بين ذراعيه ..

_خذ هذه .. فاللئيمة كانت تريد رؤيتك .. سأبدل ثيابي و أرى طعام الإفطار ..أمامنا يوم طويل ..

هز رأسه بالموافقة و اتجه ليجلس على السرير حتى يتمكن مؤيد من رؤية الصغيرة.. الصغيرة التي تمكنوا أخيرا من اختيار اسم لها "هبة" اسم اختارته لها ريداء دون أن يعارضها هو .. فهي كانت الهبة التي منحها الله له .. لتعيد البسمة لوجهه و تنزع المرض عنه بعون الله ..

_انظر أليست الآن أجمل دون بكاءها ..

حركت الصغيرة فمها عندما مد سيف إبهامه لها .. عيون الياقوت التي تملكها كانت تنظر له و لمؤيد بفضول ..

_إنها جميلة ..

ثم ضم شفتيه ليناغيها .. فحركت الصغيرة فمها من جديد ..

_تريد أن تأكل .. سنتناول فطورنا الآن..

قال مؤيد ببراءة .. ليضحك سيف بقوة عليهم قبل أن يقول محذرا مؤيد ..

_إياك أن تفعلها حبيبي .. لا يجب أن تأكل مثلنا حتى تصبح قادرة على المشي

_لن أفعل ..

وعده بسرعة و هو يعود للصغيرة من جديد

_تبدو كجليس الأطفال ..

قالتها ريداء و هي تراه يحمل الصغيرة بين ذراعيه الكبيرتين .. و مؤيد متعلق بكتفه و يلاعب الصغيرة .. ابتسم لها سيف مقابل مزحتها و قلبه اشتعل لمراها الجميل ..

أشعة الشمس المتسللة من النافذة خلفها تعطيها هالة كبيرة من الجمال و الروعة .. فتشع بريقا آلم قلبه ..

_لم تلقي التحية على زوجك غزالتي ..

_هذا خطأ مني و لابد من تصحيحه ..

اقتربت منه تقبل وجنته بخبث .. ليزمجر بغيظ .. لتغيظه أكثر و هي تأخذ الصغيرة من بين ذراعيه ..

_هيا اذهب لتغتسل حبيبي ..

لوى فمه بحنق و هو يخلع سروال بيجامته و يلقي به على الأرض .. ثم يتجه إلى الحمام..

_سيــــف! ..

هتفت بها ريداء بحنق .. ليقول و هو لا يزال يسير ..

_أنا محتشم .. سروالي الداخلي طويل..

ليس كثيرا إن صح القول و حمدا لله إن مؤيد لم يلاحظ سيف الشبه عاري فقط اعطى اهتمامه للطفلة .. لكن ريداء قالت بحنق..

_و أين ذهب سروالك الخارجي سيد سيف ؟؟

عند باب الحمام وقف قائلا ببراءة ..

_لقد خلعته ..

و أشار لمكانه لتجده على الأرض ..

ليشعر بالذنب عندما رأى الغيظ على ملامحها ..

_حسنا فهمت سأرفعه عندما أنهي حمامي .. أنا مريض حلوتي ..

_آه يا إلهي .. لقد انتهى مرضك منذ ثلاثة أشهر حبيبي ..

قالت بحنق عندما بدأ باستعطافها دائما
كلما أخبرته بترتيب الفوضى الذي يقوم بها
.. سمعت صوت ضحكاته قبل أن تهتف
بتسلط ..
_هيا خذ حمامك .. فلدينا يوم طويل
حفل الشواء اليوم .. و نريد الذهاب إلى
المزرعة باكرا ..
_حسنا ..
قال بها و هو يدخل الحمام .. لتنظر
للصغيرة ومؤيد الذي يتابعها بنظراته الفضولية
.. ثلاثة أشهر عادت لهما السعادة من
جديد .. رغم عدم التصديق الذي يراوده
أحيانا إلا إنه سعيد .. سعيد جدا بوجود
حبيبته و عائلته ..
خرج من الحمام ليجدها ارتدت ثيابها و تريد
أن تجهز أشياء الصغار .. ابتسمت له و هي
تتجه لحيث وضعت الصغار في غرفتهم ..
لكنه قطع طريقها قائلا..

_إلى أين ؟؟
_سأذهب للصغار ..
قالت ببراءة .. ليبتسم .. أكملها بضحكة
.. و هو يقول ..
_أين غرامة التأخير ؟؟
لوت فمها بحنق .. ثم ابتسمت و هي
تقترب منه تهتف بحلاوة ..
_صباح الخير ..
ثم قبلته علي فمه سريعا .. لكن قبل أن
تتركه كان يشد على احتضانها قائلا ..
_سأرد التحية .. صباحك أجمل ..
ثم بتملك شديد قبض على شفتيها ..
لتذوب بشغف و إثارة شفتيه .. تأوهت
بتلذذ .. ليزيد هو ضغطه على جسدها
الذي يلاصق جسده العاري ، لا يستره سوى
المنشفة التي تلف نصفه السفلي .. تركها
ببطء شديد ناظرا لغيام عينيها الياقوتيتين
.. مبتسما بحنان لتقول هي بعشق ..

_أحبك ..
ازدادت ابتسامته و هو يحتضنها بقوة معبرا عن حبه بالفعل .. بكاء الصغيرة كان السبب لابتعادهم عن بعضهم .. تركها مزمجرا لتبتسم له و تقبله على وجنته ثم تتجه للصغيرة هاتفة بسرعة ..
_هيا فلتجهز بسرعة ..
ثم اختفت خلف الباب .. بسخط كان يتجه ليرتدي ثيابه و هو يردد
_هي فعلا مزعجة .. مزعجة هبة ..
&&&&&&&
_سيف .. أنهم يتحدثون كثيرا ..
قال مؤيد بتذمر و هو قادم من حيث تجلس النساء و الذين يتحدثون بصوت عالي فبات صوتهم كدوي النحل .. ابتسم له سيف و هو يحني جسده ليلتقطه و يرفعه على مقعد صغير فيصبح قرب نار الشواء ..
_أنت من ذهب هناك .. خذ هذه و لوح بها أمام النار كي تنضج اللحمة ..
أخذ مؤيد المروحة الصغيرة الورقية .. و لوح بها أمام النار سعيدا بهذا الفعل .. نظر سيف حوله ..
تحت العريشة الصغيرة كان جده يجلس مع العم يوسف والد نور و "منه" و اللتان تجلسان في الجهة الأخرى تحت العريشة الأكبر مع ريداء و صديقتها التي أصبحت خطيبة حداد .. و بقربهم تجلس العمة خديجة مع والدة الفتاتين .. ينتظرون نضوج الشواء المسئول عنه الرجال .. كمبادرة طيبة منهم .. في مكان الشواء كان يعمل خالد قرب حداد يساعده في تجهيز اللحم .. و بقرب سيف يعمل يوسف يشاركه بالشواء ..

(وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ)
فكر سيف بتلك الآية من القرآن الكريم .مرضه عاد له بالخير .. فمن كان

ليصدق أن تكون له عائلة سعيدة بروابط قوية .. من كان يعلم إن هذا ما كان يريده دوما و ها هو يحققه أخيرا .. ابتسم براحة سعيدا بوجودهم حوله .. عائلته .. البعض منهم يربطهم الدم و الآخر الصداقة و الأخوة ..

سمعوا صوت بكاء لأحدي الفتيات .. نظر لحيث تجلس النسوة ليجد زوجة يوسف تسارع لالتقاط طفلتها .. في حين كانت طفلته نائمة في أحضان عمته ..

_ابنة العم يوسف مزعجة جدا ..

قال مؤيد بحنق و الذي يحرسه ذراع سيف المحيط بخصره الصغير كي لا يقترب من النار و هو يرتكز على المقعد .. ليضحك سيف بقوة .. و هو ينظر ليوسف الذي ابتسم و قال لمؤيد ..

_سمعت ذلك .. لا تقل عن صغيرتي "ملك" مزعجة ..

_الفتيات مزعجات .. يصرخن دائما .. أنا لا أبكي أبدا و عبد أيضا ..

أشار للطفل الذي ينام منذ وصولهم إلى المزرعة .. ينعم بنوم هانئ .. رغم الضوضاء من حوله .. عبدالقادر أو عبد كما يطلق عليه مؤيد ابن خالد الذي أتي قبل ريماس بشهر واحد ..

ضحك يوسف و شاركه الأمر سيف على حديث مؤيد الطفولي .. أتي خالد يحمل أعواد الشواء الجاهزة .. يسأل بهدوئه و ابتسامة تزين محياه ..

_ما الأمر ؟؟

_مؤيد منزعج من الطفلتين .. يقول إنهن مزعجات جدا ..

أجابه سيف بمزاح .. سعيد بحنق مؤيد من الفتيات .. ليكمل يوسف و هو يستمع لضحكات خالد المستمتعة ..

_في أول الأمر فقط .. سيتحولن لاحقا

لفراشات .. تعشق وجودهن ..

قال و هو ينظر لحلاوة العسل خاصته نور حياته تحمل طفلته .. منحته ابتسامة عندما شعرت بنظراته .. فبادلها الابتسامة دون أن يشعر به أحد .. أما خالد فقال بهمس ..

_قد يطول الأمر لظهور رقتهن .. لكن ستسعد ببحر حنانهن ..

هتف بكلماته العاشقة لحلوته سمراء الشعر بخصلاتها الغجرية .. تقابلت نظراتهم و هي تبتسم لشيء قالته إحداهن .. منحته تلك النظرة العاشقة فرقص قلبه طربا .. ثم انتبهت لاستيقاظ طفلها الذي كان نائما في مقعده الخاص .. فقطع وصالهم العاشق

_استيقظ عبد ..

قال مؤيد بفرح و هو يطالب بسيف لينزله عن المقعد ففعل سيف بسرعة و راقب ركضه لحيث مجلس النسوة .. نظراته اتجهت لغزالته الجميلة و الحبيبة .. و إشراقتها عادت لها من جديد ..

_و إن طالت المدة كثيرا .. فقلبك سيصل أسرع ..

همس بحب شديد دون أن يسمعه أحدهم ..

راقبها تنهض برشاقة و تتقدم جهتهم كغزالة برية .. بعد أن تحدثت ببعض كلمات للفتيات .. شاهد خالد يتجه لزوجته التي تمسك بصغيرهم .. و يوسف الذي اتجه لحيث يقف حداد .. فبقي هو وحيدا قرب نيران الشواء .. متسائلا أي النيران أكبر .. نار قلبه المشتعلة بانتظار قرب غزالته أم نار الشواء .. فيجيبه داخله إنه يحترق بقسوة لذيذة .. بادرها قائلا بهمس ..

_مفترض أن هذا حفل شواء بمناسبة سلامتي من المرض ..

ضحكت ريداء بنعومة و هي تمسك ذراعه .. و تقترب منه قائلة ..

_أنت تهرب من العمل حبيبي ..

عينيها الياقوتيتين التمعتا بقوة تفشي عن حبها الشديد .. لتكمل قائلة و هي تنظر للحم الناضج

_الرائحة تبدو لذيذة .. اريد أن أتذوق إحداهن فأنا المشرفة على جودة الطعام

ابتسم لها و هو يعمل بكف واحدة و ذراعه الأخرى تحتضنها ريداء .. و لا قدرة لديه لسحبها منه .. أخذ قطعة لحم جاهزة ليطعمها لها .. مست أناملها بلسانها لتزيد عذابه .. و الخبث يلمع في عينيها ..

قهقه بجلاوة لها و هو يسمع كلماتها تقول و هي تغمض عينيها مستمتعة بطعم اللحم المشوي ..

_امم .. لذيذة جدا .. عمل جيد ..

_حمدا لله ..

قال سيف براحة مصطنعة و هو يرفع عينيه للسماء شاكرا الله .. كأنه ينتظر حقا النتيجة إلي جودة الطعام .. ضحكت ريداء بقوة لتذيب قلبه حتى أصبح كالماء لا قوامة فيها ..

_هل أخبرتك اليوم أنني أحبك ؟؟

سألت بحب و عشق و عيونها تلمع فأصبحت كأمواج البحر .. ليبتسم بمحبة..

_عندما استيقظت .. لكن لا ضير من سماعها مرة أخري ..

_أحبك ..

هتفت بها ضاحكة بخفوت لتكمل بعتب مازح ..

_أنت لم تلقها علي مسامعي اليوم ..

بصدمة مفتعلة قال

_ألم أفعل ؟؟ يا لي من رجل مهمل ..

"نظر حوله قبل أن يهتف بخبث شديد

و الرغبة تلمع في عينيه" لكن المكان غير مناسب حبيبتي . .

شهقت بخجل من كلامه قبل أن تقول بغيظ و وجنتيها تضرجان باللون الاحمر

_سيف . ! !

_أحبك ! !

همسها بشغف شديد وصلت قلبها كسهام سريعة . . ارتعش لها قلبها المسكين و رقت ملامحها فأصبحت في قمة رقتها و حلاوتها . . و لم يتبقى ذرة واحدة في قلب سيف الذي انتفض حبا لها . .

إغفري لي . .
إني هنا ، احتجت صدرا ، أردت حضنا .
لا أريد أن يرى وجعي أحد آخر . .
إغفري لي إني أحتاجك ! !

*النابلي *

أحتاجك

تمـــت بحمد الله

بقلم : مها هشام
تدقيق : حسن الخلق
تصميم : Omima